

سردم

العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي - العربي
تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة السابعة - العدد "28" صيف وخريف 2010

موقع المجلة على الإنترنت
www.serdam.org

المراسلات
عن طريق مدير التحرير
nawzadaa@yahoo.com
آسيا سيل: ٠٧٧٠١٤٢٠٩٠٩

مطبعة دار سردم للطباعة والنشر

المقالات تعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة
يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية

رئيس مجلس الادارة
والمدير المسؤول

شيركو بيكس

مدير التحرير

نوزاد احمد اسود

المستشار الثقافي

محيي الدين زهنگنه

المدير الفني

جمال درويش

دراسات وبحوث

- | | | |
|----|------------------------|---------------------------------------|
| 5 | د. أحمد الخليل | انثروبولوجيا الكرد، دراسة سوسولوجية |
| 30 | فيروز حسن و شيروان عمر | الموقع الجغرافي لاقليم كردستان العراق |
| 51 | د. صباح موسى علي | الصحافة الكردية، البدايات وآفاقها |
| 66 | فؤاد يوسف قزانجي | فجر الثقافة السريانية |

دراسات تاريخية

- | | | |
|----|----------------|------------------------------|
| 73 | مرشد يوسف | تطور الفكر الديني في كردستان |
| 79 | د. أحمد الخليل | الجيل الثالث من أسلاف الكرد |

دراسات أدبية ونقدية

- | | | |
|-----|-------------------------|---|
| 88 | ياسين النصير | فان ايروتيك للشاعر قوباد جلي زاده |
| 93 | د. خالد يونس خالد | الرحالة ابن بطوطة الكردستاني |
| 106 | عبدالكريم يحيى الزبياري | تناص الألوان في قصيدة النثر، فرهاد بيربال نموذجاً |
| 109 | رحاب حسين الصائغ | اثر القص في التماثل السياسي |

شعر

- | | | |
|-----|------------------|--------------------------------------|
| 116 | محمد صالح ديالان | نرجس |
| 118 | شيركو بيكوس | قصائد الى حلبجة وكركوك |
| 122 | لطيف هلمت | قصائد الى الأم |
| 125 | محمد حسين رسول | خالد جوتيار |
| 127 | لقمان محمود | اين أذهب |
| 128 | كزال ابراهيم خدر | حلقة الليل ونافذة العشق |
| 130 | كولزار جلال | عشق كرسالي |
| 131 | به جان ماتور | قصائد مختارة للشاعرة الكردية التركية |

قصة

- | | | |
|-----|--------------|--------------|
| 132 | نجاه نوري | اسطورة العمى |
| 139 | سيامند هادي | اقصوصة قصيرة |
| 140 | معتصم ساليهي | عيون المارد |

مسرح

- | | | |
|-----|------------------|--|
| 144 | محي الدين زهنگهه | شمعة من اجل المسرح |
| 149 | محي الدين زهنگهه | قصر حية (اوراق) |
| 159 | صباح الانباري | مساهماتية النص التجريبي في قصر حية (أوراق) |

حوار

- | | | |
|-----|-----------------------------|--------------------------------------|
| 165 | اجراه: د. محمد أحمد البرازي | مع المؤرخ الكردي الدكتور أحمد الخليل |
|-----|-----------------------------|--------------------------------------|

شخصيات كردية

- | | | |
|-----|----------------|--------------------|
| 172 | ابراهيم باجلان | علاء الدين السجادي |
|-----|----------------|--------------------|

محطات ثقافية

- | | | |
|-----|------------------|-------------------------------------|
| 178 | د. شعبان مزوري | الكرد في مذكرات الميجرنوئيل |
| 181 | فاروق حجي مصطفى | تأملات في حال حقوق الانسان |
| 183 | جان ايزيدخلو | قرايين |
| 185 | يوسف يوسف | نوروز ومنظومة الكرد الاجتماعية |
| 189 | حواس محمود | الشاعر الكردي عبدالله گوران |
| 193 | جمعة الجباري | هل تحققت امنيتك يا بيره ميرد |
| 199 | عبدالكريم زيباري | التداخل الاجناسي في الادب الكردي |
| 202 | لقمان محمود | الحياة اليومية في حالاتها الانسانية |
| 204 | فتح الله حسيني | اشرافات كردية |
| 206 | خالد النجار | الفنان التشكيلي عمر درويش |
| 208 | رزگار شواني | كركوك تحتضن مهرجان المحبة والسلام |
| 212 | رزگار شواني | وتحتضن معرضا لمرآة المهنية |

www.serdam.org



أنثروپولوجيا الكرد

دراسة سوسيولوجية في الشخصية الكردية

د. أحمد الخليل

مدخل: أسس الشخصية

الشخصية- سواء أكانت شخصية فرد أم شخصية شعب- أشبه بجبل الجليد، يظهر ربعه للعيان، ويختفي ثلاثة أرباعه في أعماق المحيط، وقد لخصنا- في الحلقة الثانية من هذه السلسلة- تعريف (شخصية الشعب) بأنها « السمات العامة التي يُعرف بها شعب ما، من حيث الصفات الجسدية، والمزاج، والذهنية، والثقافة، وأنماط السلوك في المواقف المختلفة ». وثمة أربعة أسس (مقومات) لشخصيات الشعوب، هي:

١ - الأساس الأنثروبولوجي Anthropology: ويتمثل في محورين: الأول هو الخصائص السلالية الدائرة في فلك الإثنولوجيا Ethnology (علم أجناس البشر). والثاني هو المعطيات

الدائرة في فلك الإثنوغرافيا Ethnography (علم وصف الشعوب).

٢ - الأساس البيئي (الإيكولوجي Ecology): ويتمثل في خصائص جغرافيا التكوين التي نشأت الجماعة (قوم/ شعب/ أمة) في أحضانها، منذ بدايات فجر وجودها، وتأثير تلك الجغرافيا في بناء الشخصية على الصعيد البيولوجي والإثنوغرافي والمعرفي والنفساني والاجتماعي.

٣ - الأساس الثقافي: ويتمثل بالدرجة الأولى في المنظومة المعرفية والنفسانية والأخلاقية المتكاملة، التي واكبت الجماعة (قوم/ شعب/ أمة) في عهود التكوين الأولى، وهي تشمل: الميثولوجيا، والدين، والرؤية الوجودية، ومستويات الوعي، وخصائص المزاج، ومنظومة

المثل العليا، وما يتفرع عن هذه المنظومة من المبادئ والقيم، وما يترتب عليها من المواقف والسلوكيات.

٤ - الأساس الكفاحي (الصراعي): ويتمثل في أنواع التحدّيات التي واجهتها الجماعة (قوم/ شعب/ أمة) خلال صيرورتها عبر مراحل التاريخ؛ كالمغصّات، والعوائق، والصعوبات، والتهديدات، والأخطار، وأشكال القهر، إلخ.

ومن المهم جداً أخذ أمرين في الاعتبار عند التعامل مع هذه الأسس:

- أولهما: ألا نتعامل مع كل أساس بمعزل عن الأسس الأخرى؛ إذ ليس ثمة شخصية تكون نتاج أساس واحد، وإنما يكون في كل تجلٍ من تجلياتها نسبة معينة من كل أساس من الأسس السابقة الذكر.

- وثانيهما: ألا نتعامل مع كل أساس على أنه في حالة سكون وجمود، وإنما من منظور أنه كان على الدوام في حالة تحوّل، وقد يكون التحوّل تصاعدياً (نحو الأفضل)، أو ارتكاسياً (نحو الأسوأ).

والآن ماذا عن الشخصية الكردية من المنظور الأنثروبولوجي؟ قبل الإجابة عن هذا التساؤل، أرى من الضروري تذكير نفسي بالضوابط التي قررت التزامها في هذه الدراسة، ومنها إفصاح المجال للآخرين؛ كي يقولوا كلمتهم في الشأن الكردي عامة، وفي الشخصية الكردية خاصة، شريطة أن تكون أقوالهم علمية وموضوعية. ونحن الآن في أمس الحاجة إلى تلك الأقوال، ولا سيما أنني لست متخصصاً في الحقل الأنثروبولوجي. فماذا قال الدارسون الآخرون؟

أقوال كتاب أوريين

■ قال الرحّال الإنكليزي كلوديوس ريج، في الربع الأول من القرن التاسع عشر، يصف الكرد الغوران (ذكر نيكيتين أنهم سكان شمالي الطريق الذي يربط كرمناشاه ببغداد حتى نهر سَـيَروان (ديالى) شمالاً، ومن هناك إلى هَـوَرامان): «إن الغوران يختلفون عن طبقة المحاربين في سيماء وجوهم وفي

لهجتهم، فلو جوهم ملامح أكثر نعومة وخطوط أكثر انتظاماً، حتى ليُخيّل إلى الناظر من جانب وجوهم أنهم من اليونان» (نيكيتين: الكرد، ص ٢٠٤).

■ قال هنري فيلد Henry Field (١٨١٩ - ١٨٨٣)

في دراسة أجراها على (٣٢٤) كردياً: الكردي بشكل عام ذو طول متوسط، وجذعه (من الكتفين إلى الحوض) من النوع الطويل، وسيقانه قصيرة إلى حدّ ما، وجبينه عريض، ورأسه عريض، ونسبة حوالي (٤٠٪) من الكرد الوجه عندهم يتراوح ما بين متوسط الطول والطويل، وثمة نسبة مماثلة ذات وجه عريض ومتوسط العرض، وأنفه محدّب غالباً، وشعره كثيف غالباً. (جمال رشيد: ظهور الكورد في التاريخ، ٢٤٣/١، ٢٤٦).

■ أورد الأنثروبولوجي

الفرنسي إرنست شانتر Ernest Chantre ، في كتابه (الكرد) المنشور عام (١٨٧٩)، نتائج دراسة أجريت على (٣٣٢) رجلاً كردياً، و(٦٢) امرأة كردية، فذكر أن المظهر العام للكردي يوحي بالقسوة (الهمجية)؛ وطابع شخصيتهم قاس (صلب)، وعيونهم صغيرة نارية الريق، وغائرة في المحاجر، والرجال بشكل عام سمر الألوان، وطوال القامة، ونحاف، وذوو قوة

غير معهودة، إنهم يمشون بخطوات ثابتة، ويرفعون رؤوسهم عالياً بفخار.

(Susan Meiselas: Kurditan In the Shadow of History, P 8).

وذكر إرنست شانتر أيضاً أن نسبة (٦٦ ٪) من عيون تلك العيّنة كانت سوداء، وكان شعر (٢٠٤) أشخاص بني اللون، وشعر (١٨) شخصاً بين البني والأسود، وشعر (١٠) أشخاص أشقر اللون، ونسبة (٣٧ ٪) من أنوف الرجال مستقيم، ونسبة (٥٠ ٪) منها محدّب، ونسبة (٨ ٪) منها مقعّر، ونسبة (٦٦ ٪) من أنوف النساء مستقيم. أما الوجه فضيق، والذقن قوي، والصدر عال.

(Susan Meiselas: Kurditan In the Shadow of History, P ٨).

■ قال الإنكليزي سَـوَن في أوائل القرن العشرين، وكان قد عاش في جنوبي كردستان فترة ليست قليلة: «إذا نظرنا إلى الكردي في تكوينه الجسدي فلا شك في أننا نجد أنفسنا أمام نموذج متكامل. إن الكرد الشماليين رجال نحاف طوال القامة، وقلمما تجد البدين المفرط البدانة بين الكرد، أنوفهم طويلة، إلا أنها معقوفة قليلاً في الغالب، أفواههم صغيرة، وجوهم

بيضوية الشكل ومستطيلة، ... ويغلب فيهم اللون الأشقر، وإذا وضعنا طفلاً كردياً من هذا النوع بين مجموعة من الأطفال الإنكليز، لم يمكننا التمييز بينه وبينهم؛ لأن له بشرة بيضاء مثلهم». (نيكيتين: الكرد، ص ٦٥).

■ قال سون أيضاً: «أما في الجنوب فتكون الصورة أكثر توسعا، والمشية أكثر ثقلًا، وبين (٤٠) رجلاً من العشائر الجنوبية- اختيروا عشوائياً- كان تسعة منهم أقل من ستة أقدام طولاً، رغم أن معدل الطول كان بين بعض العشائر خمسة أقدام وستة إنشات. خطواتهم واسعة ولكنها بطيئة، وتحملهم المشاق في العمل كبير، والجبليون منهم ذوو قوام مستقيم». (نيكيتين: الكرد، ص ٦٥).

■ قال سون أيضاً: «لقد رأيت بينهم [= الكرد] العديد من الرجال الذين يحملون وجوهاً غامضة، الشعر رائق ومسترسك، والشارب طويل سابل، والبشرة صافية. كل ذلك يقدم حجة مقنعة- إذا أمكن اعتبار الوجه معياراً- على أن الأنجلو- سكسون والأكراد يرجعون إلى أصل واحد». (نيكيتين: الكرد، ص ٦٥).

■ قالت الباحثة الإنكليزية ليدي درور Lady Drower، في النصف الأول من القرن العشرين، متحدثة عن

مختار بعشيقاً أو باعدزى، في المناطق الأيزيدية: « وكان وجهه- مثل وجوه الكثيرين الذين رأيناهم في القرية- كبيراً إلى حد ما، من النوع السكندينا في تقريباً... كان من بين أطفال القرية البعض شقرٌ وذوو عيون زرقاء مثل الساكسونيين». (ليدي درور: طاووس ملك اليزيدية، ص ٤١).

■ قال الكاتب الأرميني أبو قيان يصف الشخصية الكردية: « من الممكن معرفة الكردي من النظرة الأولى برحولته وقيافته المهيبة المعبرة، التي تشير في الوقت نفسه إلى الهزء من الخوف، بالإضافة إلى أن وجه الكردي يتصف بعيون كبيرة برّاقة (نارية)، وحواجب كثيفة، وجبين عال، وأنف طويل معقوف، وخطوات متينة، أو بعبارة أخرى: صفات الأبطال القدماء ». (مينورسكي: الأكراد، ص ٣٥ - ٣٦).

■ قال الباحث الروسي فلاديمير مينورسكي Vladimir Minorsky: بصورة عامة الشخصية الكردية مختلفة إلى درجة أنه يصعب الاعتماد على الصفات الأنثروبولوجية، ومن الممكن العثور عند الكرد على الوجه المدور الأرميني، والسامي العربي، والنسطوري المسيحي على الأكثر. (مينورسكي: الأكراد، ص ٣٥).

■ قال الباحث الروسي باسيل نيكيتين Basil Nikitin: « يجري بعض الباحثين تمييزاً بين الكرد الذين يسكنون شرقي كردستان، والذين يقطنون غربيها. إن الكرد الشرقيين الذين صوّروا من قبل ستولز يتميّزون بسُمرة بشّرتهم، وشكل جمجمتهم من نوع brachycephalic (الرؤوس العريضة)، ويشبهون في ذلك الفُرس الذين يجاورونهم، وهذا بخلاف الكرد الغربيين الذين درسهم بعناية فون لوشان Von Luschan، من وجهة النظر الأنثروبولوجية، في مناطق كوماثين (قرب قره قُوج) في دِمَرُود داغ وفي زنجيرلي، وقد تبين أن بينهم نسبة كبيرة شقر اللون والشعر، وشكل جمجمتهم من نوع dolichocephalic (الرؤوس الطويلة)، وتوصل لوشان إلى أن الكرد في الأصل شعب أشقر اللون، أزرق العيون، ونوع جمجمتهم dolichocephalic، ويفسّر كون بعضهم سمر البشرة، مع أن نوع جمجمتهم من صنف dolichocephalic، بتزاوجهم مع الترك والأرمن والفرس. (نيكيتين: الكرد، ص ٦٣ - ٦٤).

■ قال دانا آدمز شميدت Dana Adams Schmidt، خلال جولته في منطقة بارزان عام (١٩٦٢): «وفي الثامنة صباحاً

بلغنا قرية (بابان)، واعتزني الدهشة حالاً لما رأيت الأطفال الشقر، والرجال ذوي العيون الزرق في الطرق، هؤلاء لا بد أن يكونوا نموذجاً بارزانياً متميزاً، نحافٌ وذوو وسامة؛ لا بد أنهم امتزجوا وتزوجوا كثيراً حتى كان منهم هذا الجنس الممتاز». (دانا آدمز، شميدت: رحلة إلى رجال شجعان، ص ٢٦٤).

■ قال جوناثان راندل Jonathan Randl: لا يمكن تمييز الكردي الأسمر والقصير القامة عن أبناء أوروبا الجنوبية، أو عن العرب أو الفرس، لكن توجد أعداد كبيرة من الكرد الشقر والطويلي القامة، ومن ذوي العيون الزرق، ويعيشون في شريط ضيقٍ يمتد من بحيرة أورميه في غرب إيران، ويمر عبر معظم مناطق شمال العراق، وصولاً إلى الحدود السورية، وقبل نصف قرن أكد ويليام ويستيرمان، أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا، «أن بإمكان الأكراد ادّعاء أنهم حافظوا على نقاء عرقهم، وحافظوا على السمات الرئيسية لثقافتهم لمدة زمنية، أطول مما فعله أي شعب يعيش في أوروبا اليوم». (جوناثان راندل: أمة في شقاق، ص ٣٤).

■ قال جوناثان راندل أيضاً خلال هجرة الكرد الضخمة

عام (١٩٩١): «لخص مراسل شبكة سي. بي. إس الأمريكية ألان بيتزي أسباب قيامه بتغطية أخبار الأكراد في الجبال على الهواء مباشرة، وعلى مدى (٢١) يوماً، قائلاً: الأطفال جميلون، والرجال شرسون وذوو إباء، والنساء جميلات وغير محجّبات، وقد دهش العالم الخارجي عندما تبين له أن بعض الأكراد أشقر وذو عيون زرقاء». (جوناثان راندل: أمة في شقاق، ص ٨٥).

أقوال كتاب عرب

الباحث السوري منذر الموصلي أبرز من كتب في الشأن الكردي على نحو متكامل، إذ جمع في كتابه (عرب وأكراد) معظم ما يتعلق بالكرد من حيث التاريخ، والجغرافيا، والشخصية، والمجتمع، والعقيدة، والأدب، وها هو ذا يقول في وصف الكرد: «الكردي بهي الطلعة، ممشوق القوام، صحيح الجسم، تحدّث كلوديوس ريج عن الأكراد، فقال: إن الأكراد بوجه عام أقوياء أصحاء، لم أشاهد مطلقاً أناساً ذوي أجسام قوية صحيحة من الجنسين، النساء والرجال، كما شاهدت في كردستان. وتحدّث عنهم البريطاني مستر هبارد عضو لجنة تخطيط الحدود الروسية-التركية عام (١٩١٤): ولما دنوا منا شاهدت فيهم سرحناً وقامات تدل

على نقاوة دم أصحابها وحسن بنيتهم». (منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص ١٣٣).

وقال منذر الموصلي أيضاً: «قسم من الأكراد يميل إلى الامتلاء، لكنهم موصوفون إجمالاً بالجسم المعتدل والبشرة البيضاء والحنطية، تبعاً لمناطق تواجدهم. الشعر خرنوبي اللون على الغالب، لكن يوجد من هو أشقر الشعر قليلاً، العيون عسلية أو زرقاء، أكراد الشمال عيونهم زرقاء. الكردي قاسي القسّات، ويطلق شاربته فيجعله كثيفاً، لأن العناية به دلالة الرجولة والفروسية». (منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص ١٣٣).

وأضاف منذر الموصلي قائلاً: «الأوصاف الإثنوغرافية وصفاتهم الطبيعية الأنثروبولوجية تبعدهم عن أن يكونوا ساميين - حسب التعريف الكلاسيكي الدارج، بل تجعلهم من انحدرات آرية ... ومن المهم أن نذكر أن الملامح العامة للأكراد ليست واحدة بالدقة، بل إن هناك تمايزاً نشأ عن الاختلاط والامتزاج بسكان منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي هذا يقول العالم الروسي كونيك: إن أوصاف الكرد الشماليين في تركيا، وفي شمال غربي إيران، تكشف عن مميزات آرية واضحة. أما أكراد كردستان الجنوبي فيمتازون

هاتين المجموعتين من حيث توافر الغذاء، لكن من الضروري أن نأخذ الفروق الخَلقية (الجينية) عند المجموعتين في الاعتبار أيضاً.

(P 73. The Kurds: Mehrdad Izady).

وقال مهرداد أيضاً: لقد لاحظ معظم الرحالة الأوروبيين، خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، في تقاريرهم أن الكرد من الفلاحين وسكان المدن الذين يسمون (گوران) Goran، أكثر سمرّة من ذوي اللون الأفصح، والأكثر طولاً، الذين يسمون (كورمانج) Kurmanj. ويبدو أن الطابع الآري، لغوياً وثقافياً وسلالياً، بدأ يهيمن على المجموعات القوقازية الأصلية منذ الألف الثاني قبل الميلاد، مع استمرار هجرة المجموعات الهندو-أوربية إلى غربي آسيا، واستقرارها هناك؛ مثل الميتانيّين Mitannis، والحثيين Hittites، والميديين Medes، والساغارتيين Sagarthians، والسكيث Scythians، والفرس Persians، والالان Alans، إن بعض هذه الهجرات كانت بأعداد ضخمة، إلى درجة أنها أحدثت تحولاً جذرياً في الأساس الثقافي، وليس في الأساس العرقي. (P 73. The Kurds: Mehrdad Izady).

القوقازي الأصلي. وشقرة العنصر الألبّي، وأحياناً العنصر النوردي (الشمالي). (P 73. The Kurds: Mehrdad Izady).

إن هذا النمط الأخير (الألبّي/النوردي) يُشاهد كثيراً في مناطق زاخو وأورميه وشُنو Shunu، وفي مناطق كَرَمَدَشاه وهَمَدان، كما أنه يُشاهد في أقصى شمال غربي كردستان في جبال البحر الأسود، وتقلّ مشاهدته كثيراً في في شرق وغرب كردستان، ويمتزج النمطان (الأسمر والأشقر) في وسط وغرب كردستان. إن اللون الشقر شكّل ثلث عينة مؤلفة من (598) كردياً، كانوا موضوع دراسة أنثروبولوجية، أجراها هنري فيلد Field Henry في العراق عام (1952)، وكثافة هذا النمط ظاهرة في زاخو، وتبدأ بالتناقص كلما اتجهنا جنوباً نحو كركوك وسليمانية. (P 73. The Kurds: Mehrdad Izady).

وأضاف مهرداد قائلاً: يتراوح طول سكان المدن والقرى، بصورة عامة، بين (5.3 – 5.7) أقدام، وهم أقصر من سكان الجبال الرحّل (البدو) الذين يتراوح طولهم بين (5.7 – 6) أقدام-القدم = 30.5 سم- وإن معظم هذه الفروق في الطول يمكن أن يُعزى إلى الفروق بين مناطق

ببشرة داكنة، وشعر داكن، وبأغلبية ساحقة من العيون البنية، وبقامة متوسطة الطول، ورأس أقرب إلى الاستدارة". (منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص ١٣٤).

أقوال كتّاب كرد

ونتناول أخيراً بعض ما ذكره الباحث الكردي الدكتور مهرداد إيزادي Mehrdad Izady بشأن أنثروبولوجيا الكرد، وهو متخصص في حقل الدراسات الكردية، ومحاضر في قسم حضارات ولغات الشرق الأدنى بجامعة هارفارد Harvard، وكتابات علمية رصينة جادة، وقد جاء في كتابه (الكرد: دليل موجز) A: Kurds The Handbook Concise ما يلي:

من حيث الخصائص الطبيعية characteristics physical وحدها لا يمكن تمييز الكرد من جيرانهم، ولا يوجد ثمة تجانس في الأشكال بين الكرد، والاختلافات الموجودة بينهم في هذا الميدان موجودة بين الإثنيات المجاورة لهم أيضاً، وبالرغم من أنهم يشبهون شعوب جنوبي أوروبا، وشعوب شرقي المتوسط، في اللون وخصائص علم الأعضاء physiology، إلا أن في شخصيتهم خصيصتين متلازمتين ومستمرتين، هما: سمرّة العنصر

ويضيف مهرداد: من هنا يمكن القول بأنه لا يوجد تجانس عرقي كامل في المجتمع الكردي، ويتضح ذلك من النظرة الأولى إلى الفروق بين الكرد في مختلف مواطنهم. إن الأمر المؤكد بالنسبة إلى التكوين الكردي الأصلي هو التنوع في الأصول، ويمكن أن يعزى ذلك مباشرة إلى الهجرات والغزوات التي تعرضت لها كردستان خلال آلاف السنين، ومثال على ذلك أن رشّات (رشقات) pepper a من الصفات المغولية موجودة في أجزاء كردستان التي حلّ فيها بعض الأتراك منذ القرن الثاني عشر الميلادي، إلا أن الإثنية الكردية تشرّبت أولئك الوافدين وهضمتهم. P, The (74). Kurds: Mehrdad Izady). وذكر مهرداد أن فصيلة الدم في كردستان بشكل عام هي (B)، ويبدو أن هذه الفصيلة تمنح مناعة طبيعية لمقاومة الكوليرا، الذي ما زال يهاجم كردستان على فترات. أما فصيلة الدم (A) فتقاوم وباء الطاعون الذي ضرب أوروبا بقوة، وكان أقل تأثيراً على الكرد في الماضي. وإن ندرة فصيلة الدم (O) في كردستان، نسبياً - وهي فصيلة مقاومة لمرض الجدري الشائع في الشرق الأوسط بشكل عام- تشير إلى أن هذا المرض لم يتغلغل في جبال

كردستان. إن هذه المعطيات ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار في أية دراسة تاريخية تتناول الديموغرافيا الكردية، وخاصة عند تحديد أعداد السكان وعلاقة ذلك بجوائح الأوبئة الفتّاة. (The 74 P, Kurds: Mehrdad Izady).

نتائج

إن المعلومات السابقة توصلنا إلى النتائج الآتية:

أولاً: ليس ثمة تجانس عرقي كامل (١٠٠٪) في المجتمع الكردي، ومع ذلك فهم يشكّلون إثنية لها طابعها الخاص، ويؤكد آريينس كيرس Ariens Kappers ذلك قائلاً: "الكرد، بالرغم من اختلافاتهم الأنثروبولوجية، يشكّلون في الحقيقة عنصراً متميّزاً". (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٢٤٦/١).

ثانياً: الطابع الأنثروبولوجي الكردي العام مزيج من الصفات الشرق أوسطية والأوربية، وإن النمط الكردي الذي تكثر فيه القامة الطويلة، والبشرة الفاتحة والشقراء، والعيون الزرق، يوجد - على الغالب - في مناطق شمالي كردستان. أما النمط الذي تكثر فيه القامة المتوسطة، والبشرة السمراء، والعيون السود، فيوجد - على الغالب - في جنوبي كردستان.

وثمة مزيج من النمطين في المناطق الوسطى من بلاد الكرد. ثالثاً: ثمة تشابه إثنوغرافي بين الكرد والشعوب العريقة التي تجاورهم (العرب والفرس والأرمن)، إضافة إلى وجود طابع مغولي (تركي) بين الكرد بدرجة محدودة في بعض الأجزاء، نتيجة استيطان قبائل تركمانية قليلة في بلاد الكرد منذ القرن الثاني عشر الميلادي. ، ويكاد هذا الطابع المغولي يضيع في خضمّ الطابع الكردي العام.

رابعاً: لا يمكن اتخاذ المعطيات الأنثروبولوجية، مدخلاً علمياً صائباً إلى معرفة الشخصية الكردية؛ على الصعيد الروحي والذهني والجمالي والاجتماعي، وبعبارة أخرى: لا تعتبر الخصائص الأنثروبولوجية مفتاحاً للشخصية الكردية، ولا يصحّ، من المنظور العلمي، أن نقول مثلاً: الكرد أذكى أو غير أذكى لأن أنوف كثيرين منهم محدبة، والكرد ذوو مزاج حادّ لأن شوارب كثيرين منهم كثرة وعريضة، ولا أن نقول إن المرأة الكردية ذات شخصية قوية، لأن اللون الغالب عليها هو الحنطي، إن الدراسات العلمية المعاصرة ترفض اتخاذ خصائص العرق (العنصر) أساساً رئيساً لمعرفة الشخصية، وتركز في الغالب على البيئة والثقافة.

توضيحات

وفي الختام نسوق التوضيحات الآتية:

أولاً: إن ما ذكره الدارسون بصدد الكرد على الصعيد الأنثروبولوجي يعاني من ثغرات علمية عديدة: منها أنها في أغلبها انطباعات وملاحظات ووجهات نظر شخصية، تفتقر إلى المعيارية في دراسة الجينات وقياس أحجام الجمجمة والأجزاء الأخرى من الجسم. ومنها أيضاً أن الدراسات العلمية القليلة لم تشمل عينات من جميع أجزاء بلاد الكرد، وإنما اقتصرت كل مرة على عدد قليل من الكرد، وفي أجزاء محدودة من بلادهم. وبتعبير آخر: لا توجد إلى الآن - في حدود ما نعلم - خريطة جينية كردية شاملة ومتكاملة، ولا قاعدة بيانات إثنوغرافية كردية تفصيلية ودقيقة، يعتمد عليها في تحليل الشخصية الكردية من المنظور الأنثروبولوجي.

ثانياً: إن عدم وجود تجانس عرقي كامل (١٠٠٪) في المجتمع الكردي أمر طبيعي، ولا يعني البتة أنه لا وجود لقوم (شعب/أمة) لهم طابعه الخاص اسمهم (الكرد)، بل لعل المجتمع الكردي، وخاصة في كردستان المركزية، أكثر تجانساً - على الصعيد الأنثروبولوجي - من مجتمعات كثيرة في الشرق والغرب؛

فالشعوب والأمم حالة تاريخية وثقافية ومجتمعية وشعورية؛ أكثر من كونها حالة عرقية بالمعنى الجيني الصرف.

ثالثاً: إن تلك الدراسات لم تجانب الواقع على الغالب، إذ يمكن للمرء أن يميز، بالعين المجردة، اختلافاً في الأشكال بين الكرد، فثمة حقاً النمط الأسمر والحنطي بنسبة أكثر، والنمط الأشقر بنسبة أقل. وثمة حقاً تبايناً في الطول بين المتوسط والطويل، وغالبية الكرد من متوسطي الطول. وثمة حقاً تبايناً في شكل الأنف، بين المحدب بنسبة أكثر، فالمستقيم بنسبة أقل، فالمنحرف بنسبة محدودة. وثمة حقاً تبايناً في شكل الرأس، بين الأقرب إلى الطول، والعريض المستدير. وثمة حقاً طولاً في الجذع، وكثافة في الشعر، عند نسبة كبيرة من الكرد.

رابعاً: إن تلك الدراسات لا تتعارض مع حقائق التاريخ، وهي تتفق تماماً مع المعلومات المتعلقة بـ (التكوين الكردي) عبر العصور القديمة، وبالعودة إلى تلك الحقائق والمعلومات يتضح أن النمط المتصف بالرأس العريض المستدير، والقامة المتوسطة، واللون الأسمر والحنطي، هو نمط أسلاف الكرد الزاغروسيين الأوائل (يسمّون خطأً قوقازيين)، وأبرز دليل تاريخي موثق على

ذلك أن السومريين كانوا ذوي رؤوس عريضة مستديرة، وكانوا ذوي أنوف محدبة، وهذا واضح في تمثال الملك السومري الشهير جوديا. (انظر: سامي سعيد الأحمد: السومريون وتراثهم الحضاري، ص ٤٢. محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ١٦٤).

وسبق القول بأن السومريين كانوا سكان جبال زاغروس الأصليين، وأنهم خرجوا حضارة حلف في الفترة بين (٤٤٠٠ - ٤٣٠٠ ق. م)، وانحدروا إلى جنوبي ميزوپوتاميا من المناطق الجبلية التي عرفت بعدئذ باسم (إقليم كردستان - العراق)، وهذا دليل آخر - إلى جانب الدليل اللغوي - يرجح أن السومريين كانوا فرعاً من أسلاف الكرد الزاغروسيين الأوائل، ومرة أخرى نهيب بالمتخصصين في الأركيولوجيا إلى أن يعيروا هذا الموضوع كثيراً من الاهتمام، وأعتقد أنهم سيجدون المخرج من الحيرة في تحديد أصول السومريين ولغتهم.

خامساً: أكدت الدراسات المتعلقة بالأنثروبولوجيا الكردية غلبة نمطين سلاليين على التكوين الكردي: النمط الأسمر، المتوسط الطول، المستدير الرأس، العريض الوجه. والنمط الأشقر، الأقرب

إلى الطول، ذو الرأس الأقرب إلى الطول، البيضوي الوجه. ونرى أن هذه الدراسات تؤكد حقيقة أن كرد العصر الحديث هم حفدة خُلص وأنقياء لفرعي أسلافهم القدماء: الفرع الزاغروسي الأصلي (سومري، لولي، گوتی، سوباري)، والفرع الآري (الهندو-أوري) الذي استقر في جبال زاغروس وعلى حوافها منذ الألف الثاني قبل الميلاد (كاشي، ميتادي، مانني، خالدي، ميدي)، واندماج مع الفرع الزاغروسي، وأعطى التكوين الكردي شكله التاريخي الأخير.

هذا عن الأساس الأنثروبولوجي في الشخصية الكردية.

وماذا عن الأساس البيئي (الإيكولوجي)؟

ذلك هو موضوع الحلقة القادمة.

الجبل: مفتاح الشخصية الكردية (١) البيئة والإنسان

ابتكر العالم الألماني إرنست هيكل Ernst Haeckel مصطلح (إيكولوجيا) Ecology عام (١٨٦٩)، وقصد به دراسة العلاقة بين الكائنات العضوية وبيئتها الشاملة. وفي إطار هذا التعريف لم يعد من المقبول أن نتصور (البيئة) على أنها مجرد سطح جغرافي Geography،

نتخذ فيه بيوتاً وملاعب، ومراعي ومزارع، ولا مجرد امتداد جيولوجي Geology، يتكوّن من رفوف (طبقات) متراكبة، هذه فيها مياه، وتلك فيها ذهب، وثالثة فيها حديد، ورابعة فيها بترول، ولا مجرد مناخ (هواء، حرارة، برودة، رطوبة، جفاف إلخ). وإنما صار مصطلح (البيئة) يشمل جميع هذه العناصر متكاملة ومتفاعلة.

وصحيح أننا- البشر- نختال بأننا حَمَلَة هَوِيَّات جينية متميزة، بها نختلف عن جيراننا من الكائنات الأخرى، لكن لا ننس أن تلك الهَوِيَّات تشكّلت أصلاً في أحضان مملكة (البيئة)، ولا ننس أيضاً أن استمرارنا في الحياة يعني أننا نتفاعل مع البيئة على نحو صحيح، نتكيف معها، وأنه لا استمرارية لوجودنا خارج قدرة جيناتنا على التكيف مع البيئة، وعلينا أن نأخذ في الحسبان أن البيئة تسهم في إنتاجنا (تكويننا)؛ إنها تسهم في صياغتنا شكلاً (طول، عرض، لون)، وفي صياغتنا إحساساً ومزاجاً وثقافة، إننا جزء من البيئة، فيها نبدأ وجودنا، وفيها ننتهي، ولا يمكننا أن نهرب منها، أو نتجاهلها، أو نتعالى عليها، إنها قَدَرنا.

ولعل الشك يداخلك، إذاً دعني أسالك: هل أنت ذو بَشَرَة سوداء؟

حسناً، أنت كنت في الأصل، ومنذ لا أقلّ من مليوني عام، ذا لون بذي، لكن البيئة التي خرج فيها سلفك الأول إلى الحياة، كانت غنية بالأشعة فوق البنفسجية، وكانت تلك الأشعة تهدده بسرطان الجلد، فأنتجت بعض جيناته مادة اسمها (ميلانين)، ووظيفتها منح الجلد لوناً مناسباً، فمنحت جلد سلفك الأول لوناً أسود، امتصّ الأشعة فوق البنفسجية، ومنعها من التغلغل في كيانه، وأتاح له فرصة الاستمرار في الحياة، فاشكر لونك الأسود إذاً، ودعك من الأحكام الجمالية العابرة، إن لونك الأسود هو الأجل وجودياً، إنه حماك من انقراض مؤكّد. (دونالد جوهانسون وبليك إدغار: من مرحلة لُوسي إلى مرحلة اللغة، ص ١٠٦ - ١٠٧).

وهل أنت ذو بَشَرَة بيضاء؟ يا صاحبي، أنت أيضاً كنت في الأصل، ومنذ لا أقلّ من مليوني عام، ذا لون بذي، لكن البيئة التي خرج فيها سلفك الأول إلى الحياة كانت فقيرة بأشعة الشمس، وكان نقص تلك الأشعة يهدده بالأمراض الوبائية، فأصدرت بعض جيناته الأمر إلى مادة (ميلانين)، فمنحت جلده لوناً فاتحاً جداً، أتاح لأشعة الشمس أن تخترق جلده، وتقوّم لجسده ما يلزم لاستمرار الحياة، فاشكر لونك الأبيض إذاً، ليس من

منظور جمالي، وإنما من منظور وجودي؛ إنه حماك من انقراض مؤكّد.

إن لونك نتاج تفاعل مع البيئة، وكذلك أنفك وعيناك، هل لك أنف طويل ضيقّ المنخرين؟ يا صاحبي، أنت لم تكن هكذا في الأصل، لكن البيئة التي وُجد فيها سلفك الأول كانت باردة جداً، ودخول الهواء البارد إلى رئتيه مباشرة كان مضرّاً به، فأنتجت بعض جيناته- بالتفاهم مع البيئة- ممراً طويلاً بعض الشيء نسبيّاً (الأنف)، وضيقت مدخله اللذين يسميان (المنخرين)، كي يدخل الهواء قليلاً قليلاً، ويمرّ بعدئذ بجهاز تدفئة (صوفاج) طبيعي، فيدفأ قليلاً، ثم يحلّ ضيقاً عزيزاً على رئتيك، ويمدّهما بالأكسجين اللازم.

وهل أنت ذو أنف أفطس (قصير واسع المنخرين)؟ يا صاحبي، أنت لم تكن هكذا في الأصل، لكن البيئة التي وُجد فيها سلفك الأول كانت حارة، ومعلوم أنه بقدر ما يكون الهواء حاراً يتمدد، وتقلّ فيه نسبة الأوكسجين، وكانت رئتا سلفك بحاجة إلى كمية مناسبة من الأوكسجين مع كل عملية شهيق، وكانتا من ثمّ بحاجة إلى استضافة كمية كافية من ذلك الهواء المتمدد، فأنتجت بعض جيناته- بالتفاهم مع البيئة-

ممرّاً قصيراً (الأنف)، ووسّعت مدخلي ذلك الممر (المنخران)، كي يدخل الهواء بدفعات كافية، ويحلّ بسرعة ضعيفاً عزيزاً على رئتيك، ويمدّهما بالأكسجين اللازم.

وفي إطار سلطة (البيئة) لك أن تفسّر سعة عينيك وضيقهما، ولا شأن لمعاييرنا الجمالية بهذا الأمر، إن ظروف الغابة الكثيفة أنتجت لسلفك الأول عينيّن واسعتين، تقول: كيف؟! إن الغابة- يا صاحبي- تحجب كثيراً من أشعة الشمس، فتوسّعت مساحة عيني سلفك، لتستقبل أكبر قدر ممكن من الأشعة المنعكسة من الأشياء، ولتمارس الرؤية على نحو أفضل. كما أن انعكاس الضوء على الثلج الكثيف معظم أيام السنة، كان مضرّاً بسلفك الأول، فعمدت بعض جيناته- بالتفاهم مع البيئة طبعاً- إلى جعل العين أضيق، لتستقبل أقلّ قدر ممكن من ذلك البياض الناصع المزعج، هل تودّ التأكد؟ انظر إذاً إلى ضوء مبهّر، وراقب زاوية عينيك من حيث الاتساع والضيق.

وهل أطرافك السفلية طويلة أم قصيرة؟ وهل جذعك طويل أم قصير؟ وهل ذقنك قصيرة أم نامية؟ وهل أنت كبير الهامة أم صغيرها؟ وهل أنت واسع المنكبين أم ضيقهما؟ وهل أنت طويل القامة

أم قصيرة؟ وما نسبة التناسق بين أعضاء جسدك؟ وما طبيعة مزاجك النفسي؟ وما خصائصك الذهنية؟ وما البنى الميثولوجية الدفينة في طبيّات ثقافتك؟ كي تعرف إجابات مفيدة عن هذه الأسئلة وغيرها، توجّه مباشرة إلى (البيئة) من المنظور الإيكولوجي الشامل، حاول أن تفهمها بعمق، ولست أزعّم أنك ستجد، على الدوام، إجابات دقيقة عما تسأل عنه، ولكن أضمن أنك ستمتلك كثيراً من المفاتيح المعرفية، وستفتح بها كثيراً من الأبواب الموصدة.

الجل في ثقافات الشعوب

ودعونا نركّز الحديث على عنصر بيئي مهمّ، ألا وهو (الجل)، فالحقيقة أن له مكانة متميّزة في ثقافات الشعوب شرقاً وغرباً، حتى إنه تحوّل إلى رمز له دلالاته المتعددة في كل ثقافة، وتتمحور معظم تلك الدلالات حول (التسامي/ الشموخ/ الجلال/ الصلابه/ الثبات/ التأمل)، وما يتفرّع على هذه الدلالات من معان فرعية كثيرة.

وفي إطار هذه الدلالات، أو في إطار بعضها على الأقل، يمكننا أن نفهم بناء زقورة Ziquratu السومريين (معبد متعدد الطبقات) وبرج بابل في سهول ميزوبوتاميا، وأهرامات

المصريين في سهول وادي النيل، وأهرامات الهنود الحمر في سهول أمريكا، وأسقف المعابد البوذية المتصاعدة على نحو متدرج نحو السماء، وقباب الكنائس المسيحية، والمنارات المنتصبة بجانبها، وانتقلت تلك الرمزية، في النصف الثاني من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، إلى العمارة الإسلامية، فظهرت القباب والمنارات في هندسة المساجد.

كما أن حضور (الجبل) في التراث الميثولوجي والديني مثير للانتباه؛ بل، ليس من المثير أن تحط سفينة زيوسودرا Ziusudra (نوح السومري)، وأوتنابشتم Utnabeshtem (نوح البابلي)، على (جبل نيسير)؟ وأن تحط سفينة نوح العبراني على (جبل آرات)؟ وتحط سفينة نوح الإسلامي على (جبل جودي)؟ أليس مثيراً أن من ألقاب (أشور) الإله القومي للأشوريين لقب (الجبل الكبير)؟ أليس مثيراً أن مَجْمَعُ آلهة اليونان كان يُعقد على قمة جبل الأولب الشاهق، بقيادة الإله الأكبر زيوس؟ أليس مثيراً أن الإله الإغريقي الأكبر زيوس غضب على الإله الأصغر بروميثيوس؛ لأنه أهدى النار للإنسان خلسة، فعاقبه بأن أمر بربطه بالسلاسل إلى صخرة في قمة (جبل القوقاز)؟

(جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص ٢٤، ٦٦. نوري إسماعيل: الديانة الزردشتية، ص ١٢. ب. كوملان: الأساطير الإغريقية والرومانية، ص ٢٣، ٨٨).

أليس من المثير أن الله اختار (جبل الطور) في صحراء سريناء ليكلّم النبي العبراني موسى عليه السلام؟ أليس مثيراً أن النبي العبراني الآخر عيسى-عليه السلام- كان يلتقي بحوارييه- غالباً- على (جبل الزيتون) في القدس؟ أليس مثيراً أن النبي الميدي زَرْدَشْت-عليه السلام- اتخذ غاراً في جبل أوشيدارنه Oshidarena مكاناً للتعبّد عشر سنوات، وهناك، لما بلغ الأربعين، نزل عليه الملاك فاهومانو بالوحي من آهورامازدا؟ أليس مثيراً أن النبي العربي محمداً-عليه السلام- اتخذ غار حراء، في أحد جبال مكة، مكاناً للتعبّد، وهناك، لما بلغ الأربعين، نزل عليه الملاك جبريل بالوحي من الله؟

الجبل والتكوين الكردي

والآن ماذا عن الأساس البيئي (الإيكولوجي) في الشخصية الكردية؟

إن الجبل هو العامل البيئي الأكثر تأثيراً في الشخصية الكردية، ويمكننا القول: إن الكردي والجبل

رفيقان متلازمان، كانا كذلك في العصور الحجرية، وظلاً كذلك في العصور التالية، وما زالا كذلك إلى الآن، ويكفي أن تمرّر أمام عينيك مواطن الكرد في عصرنا هذا، لتجد أنهم يقيمون- في الغالب- حيث تكون الجبال، أو تكون السهول القريبة من الجبال، وقلماً تجد جماعة من الكرد منعزلة في منطقة سهلية أو صحراوية بعيداً عن الجبال، وإن وجود حالات كهذه يعود إلى أسباب قاهرة، كفرار الكرد من القهر والإبادة، أو كقيام بعض الدول بترحيلهم قسرياً، وإسكانهم في مواطن أخرى؛ إما عقاباً لهم على ثوراتهم، وإما لوضعهم في مواجهة قبائل وشعوب كانت تسبّب وجع الرأس لتلك الدول.

ولتوضيح طبيعة العلاقة بين الكرد والجبال، دعونا نساfer إلى عصور تكوين السلالات البشرية الأولى، فقد مرّ أن الكرد شعب (قوم/ أمة) قائم بذاته، عُرِف منذ لا أقل من (٢٥) خمسة وعشرين قرناً بهذا الاسم (كرد) على نحو صريح، ومرّ أنه، ومنذ العصر الحجري القديم (الپاليوليثي) Paleolithic، كان أسلاف الكرد يقيمون في جبال زاغروس وعلى حوافها، وأن الفروع الكبرى من أجداد الكرد (سومري، لولو،

سوبارتي، گوتي) تعود إلى أولئك الأسلاف الزاغروسيين.

ومرّ أيضاً أن ثمة فروعاً آرية (هندو أوروبية) ضخمة هاجرت- على فترات- إلى مواطن أولئك الأسلاف الزاغروسيين، منذ أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، واندمجت معهم بالتدريج، وتسلمت دفّة القيادة في التكوين الجديد، ولا سيّما على الصعيد السياسي والثقافي، وأبرز تلك الفروع (كاشي، ميتاڨي، مانني، خالدي، ميدي)، وجدير بالذكر أن هذه الفروع الآرية انجذبت إلى جبال زاغروس ثم إلى جبال طوروس؛ لأنها كانت في الأصل قادمة من جغرافيا جبلية الطابع في الغالب، قال بونغارد ليفين:

”يجري رسم إيكولوجيا موطن الأجداد الهندو أوربي بموجب المفردات الهندو أوروبية السلفية؛ التي رمّمها اللغويون، والخاصة بالتضاريس والمناخ وعالم النبات والحيوان. وتصف معطيات علم اللغة الخاصة بالبيئة الإيكولوجية لموطن الأجداد الهندو أوربي هذا الموطن بأنه بلد ذو تضاريس جبلية، وشبكة متشعبة من الأنهار، وطقس معتدل، وتشابك نباتي مدهش». (بونغارد - ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ٢٧٣).

وقال بونغارد ليفين أيضاً: «إن التضاريس الجبلية لموطن الأجداد الهندو أوربي أمر أكدّه عدة باحثين، وبعد ظهور دراسات غامكريليدزه وإيفانوف لم يعد يثير الشك، فإن القائمة التي وضعها للمفردات الهندو أوروبية السلفية، تقنعنا بأن الهندو أوربيين كانوا يقيمون في مناطق جبلية أو سفحية». (بونغارد - ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ٢٧٣).

إن هذه الأدلة- وغيرها كثير- تؤكد أن الجبال جزء أصيل ومهم من بيئة التكوين الكردية، سواء أكانت في عهد الأسلاف الزاغروسيين أم في عهد الأسلاف الآريين، أم في العهد الذي توحّد فيه الأسلاف الزاغروسيون والآريون، وأنتجوا- منذ حوالي ثلاثين قرناً- الشعب الكردي بهويته المعروفة عبر العصور، وظلّت الجبال تواكب مسيرة الكردي الطويلة إلى يومنا هذا، وعلى جميع الأصعدة؛ ميثولوجياً، ودينياً، وذهنياً، واقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً، ونفسياً، وجمالياً، إلى درجة أنه يمكننا القول: إن الجبل مفتاح الشخصية الكردية، وكفي نفهم الكردي ظاهراً وباطناً ينبغي أن نفهم (الجبل).

ويترأى لي- من خلال تأملاتي في الشخصية الكردية- أنه حيثما

يكون الكردي يكون الجبل معه، إنه موجود في شكله ومزاجه، وفي عقيدته وتفكيره، وفي أزيائه وأغانيه وموسيقاه، وفي نظامه الاجتماعي، وفي ثوراته وانكساراته. وهذه ليست عبارات شاعرية ذُرّخي لها العنان، فتنتقل كيفما تشاء، وإنما ثمة أدلة على كل كلمة نقولها، وسيظهر كل دليل في سياقه الملائم وفي وقته المناسب.

الجبل والميثولوجيا الكردية

ولنبداً بالميثولوجيا الكردية، فإن في كتاب الزردشتية المقدّس (أفستا) أدلة كثيرة على العلاقة الوثيقة بين (الجبل) وجغرافيا التكوين الآري بشكل عام، وجغرافيا التكوين الكردي بصورة خاصة، وسواء أكانت حياة النبي زَرْدَشْت (زاراتوشترا)- عليه السلام- بين عامي (٦٦٠ - ٥٧٣ ق.م)، أو (٦٣٠ - ٥٥٣ ق.م)، أو (٦٢٨ - ٥٥١ ق.م)، أو (٦١٨ - ٥٤١ ق.م). (صمويل نوح كريمير: أساطير العالم القديم، ص ٢٩٤. جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص ١٣٣)، فالؤكد أنه ميدي، وأنه أعلن دعوته الدينية في ميديا قرب بحيرة (أورُمِيَه)، والمؤكد أيضاً أن الزردشتية تشتمل على كثير من البنى والمبادئ والمفاهيم والقيم والرموز الميثولوجية الآرية

القديمة جداً، قبل أن يغادر الآريون موطنهم الأصلي آريانا- فيدجا (آريانا- فايدجا).

وفيما يلي بعض الأدلة ذات الصلة بالميثولوجيا الكردية:

● دعاء زردشتي يتلى عند تقديم القرابين: «نُعلنها، ونقدّمها بخاصة لجبل أوشي- دارينا الذي خلقه مازدا، الساطع والمتألق بالقداسة، لكل الجبال المشعة قداسة، المنيرة، التي خلقها مازدا». (أفستا، ياسنا، هايتي ٤، آية ١٩، ص ٦١).

● دعاء زردشتي آخر: "فلنصلّ بسعادة لنجمة تيشريا [=عَشْتَار] المشعة، الطائرة بسرعة فوق بحر فار وكاش، مثل السهم السماوي الذي أطلقه أرخيش من قوسه، من جبال الآريين". (أفستا، ياشت ٨، آية ٦، ص ٤٤٢-٤٤٣).

● جاء في وصف بلاد آريانا- فيدجا: "حيث القادة الشجعان ينظمون جيوشهم المتعددة، في أرتال عسكرية، حيث الجبال العالية، الوافرة بالمراعي والمياه". (أفستا، ياشت ١٠، آية ١٣، ص ٤٧١).

● إن طقس شراب (هاوْما) من الطقوس المقدسة جداً في الديانة الزردشتية، وهو شراب يُتخذ من نبات (هاوْما) الجبلي،

ذي اللون الاصفر الذهبي، وجاء في كثير من الابتهالات الزردشتية ذكر (هاوْما) مع (الجبَل): "أمجد الغيمة التي تسقيك، وأمجد الأمطار التي تجعلك تنمو على قمم الجبال، وأمجد الجبال الشامخة حيث تنتشر أغصانك". (أفستا، ياسنا، هايتي ١٠، آية ٤، ص ٧٩). «هناك، يا هاوْما، على السلاسل الجبلية تنمو بأنواع عديدة، الآن تنمو ببياض حليبي، الآن تنمو بلون ذهبي، وبعد ذلك شرابك الشافي يتدفق من أجل إلهام المؤمن التقى». (أفستا، ياسنا، هايتي ١٠، آية ١٢، ص ٨٠).

● كان (ميثرا) معبود الشعوب الهندوإيرانية منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وكان إلهاً للعقود، يراقب عن كثب تنفيذ العقود والمعاهدات المبرمة بين القبائل الآرية حول المراعي والمياه، وفي وقت متأخر قدّس باعتباره إلهاً للحرب، وبوصفه إلهاً للشمس، ومرافقاً لها في رحلتها السماوية، ولكلمة (ميهر/ميرا) صلة باسم ميثرا "الذي شيد آهورامازدا مسكنه فوق قمة جبل هارا، مسكن عال وساطع، حيث لا يوجد فيه الظلام والليل، لا البرد ولا الصقيع، لا الأمراض ولا الموت، ولا نجاسة الأبالسة". (أفستا، ياشت ١٠، آية ٥٠، ص ٤٨٤).

● لم تكن الزردشتية تسمح بإقامة الهياكل أو الأصنام، بل كان الزردشتيون يقيمون المذابح المقدسة على قمم الجبال، وأحياناً في القصور، ويوقدون فيها النار تكريماً لآهورامازدا، كما أنهم كانوا يشيّدون أبراجاً منعزلة عالية الجدران فوق قمم الجبال، تُحمّل إليها جثث الراحلين إلى الأبدية، وتسمى تلك الأبراج (دَكْمَا) Dekhme . (ول ديورانت: قصة الحضارة، مجلد ٢/٤٣٣. نوري إسماعيل: الديانة الزردشتية، ص ٥٩).

● كلما وقعت عيناى على مشهد قباب معابد الكرد الأيزيديين، وهي تشمخ بشكلها المخروطي المحزّز الصاعد، وبلونها الأبيض الناصع، وتكلّل هامات المعابد في لالش وغيرها، استحضرتُ مخيلتي صورة (الجبَل) المهيّب، بتصاعده نحو السماء، وبشكله المخروطي، وبقمته وهي ترفل في حلة ثلجية ناصعة، وأقول لنفسي: ها هو ذا (الجبَل) قد تحوّل إلى رمز ميثولوجي، ربما منذ ما قبل الميلاد بأكثر من ألفي عام، وظلّ يتسلسل في الثقافة الكردية جيلاً بعد جيل، إلى أن تجلّى في هذه القباب الأيزيدية.

الجبل وأسلاف الكرد

الجبل في الهوية السومرية:

سبق أن رجّحنا أن السومريين من أسلاف الكرد الأقدمين، وأنهم انحدروا من منطقة حضارة حلف الجبلية في كردستان المركزية، واستقروا في سهول جنوبي ميزوبوتاميا، حينما انحسرت عنها مياه الخليج، وصارت صالحة للسكنى والزراعة، والحقيقة أن السومريين لم ينسلخوا من (الجبل)، وإنما انحدر معهم وفيهم، وتجلّى في مختلف مجالات حياتهم، تارة على نحو صريح، وأخرى على شكل رموز؛ وفيما يلي بعض الأدلة.

● أطلق السومريون على موطنهم الجديد في جنوبي ميزوبوتاميا اسم Kur - ra، أي (البلاد العليا)؛ هذا رغم أن المنطقة كانت سهلية، فالمسألة سيكولوجية، والجبل ساكن فيهم، ومستقر في لاشعورهم، ويريدون الاحتفاظ بذكرى موطنهم القديم العزيز على قلوبهم، ويبدو أنهم لم يقطعوا علاقاتهم بأبناء مواطنهم القديمة في الجبال، فكانوا يستقدمونهم لاستخدامهم في مختلف الأعمال، ويطلقون عليهم اسم Lu - Kur - ra؛ أي (أهل الجبال/ أبناء الجبال). كما أنهم كانوا يكثر من استخدام الحجر في النحت وبناء البيوت،

تعبيراً عن استمرار الارتباط بصخور موطنهم الجبلي القديم. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٧٥/١. محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ٩).

● قال الدكتور سامي سعيد الأسعد بشأن السومريين: "ونراهم في كل الأحوال يعبرون عن جبل وعن بلد بنفس العلامة (كُور)، وربما كان الاثنان في نفس المعنى عندهم، ويدل على كون بلدهم الأصلي جبلياً، ثم ولعهم ببناء الزقورات بمعابدهم، ووجود أشجار وحيوانات جبليّة في أختامهم الأسطوانية؛ أمثال الأرز، والسرو، والوعل الجبلي ذي القرون، والماعز الجبلي الطويل القرون". (سامي سعيد الأحمد: السومريون وتراثهم الحضاري، ص ٤٢. وانظر فاضل عبد الواحد علي: من سومر إلى التوراة، ص ٢٢).

● يتجلّى (الجبل) في الميثولوجيا السومرية أيضاً، فالإله (إنليل) Enlil، أو (إليل) Ellil، هو أكبر آلهة السومريين، والمعنى الأصلي لاسمه المركّب (إن - ليل) En-lil هو (سيد الريح)، والريح تهبّ في اعتقادهم من الجبل، ولهذا لقّب إنليل في السومرية بـ (الجبل الكبير) Kur - gal. (سبتيو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ص ٢٥٣، هامش ٢١).

● جاء في قصيدة سومرية: "يا سومر، يا أيها البلد العظيم بين بلدان العالم... سيّدك سيّد ميجل، وملكك يجلس مع الإله (آن) على المنصة السماوية.

إن ملكك هو الجبل العظيم، هو الأب إنليل والأنونزكي الآلهة العظام.

(صمويل كريم: من ألواح سومر، ص ١٧٩ - ١٨٠).

● جاء في قصيدة أخرى خاصة بمدينة أور السومرية: «أيتها المدينة الوفيرة الزاد، أنت منصّة خير البلاد، أنت خضراء كالجبل.

أنت غابة (خاشور) ذات الظلال الوارفة، ...

لقد أعلن (الجبل العظيم) إنليل اسمك المتسامي في السماء والأرض».

(صمويل كريم: من ألواح سومر، ص ١٨٠ - ١٨٢).

● جاء في لوح سومري: «ثم بعد آلة البناء، وتشيد المساكن، ملأ إنكي [= أنكي/ أنجي: إله الأرض] السهول بالنبات والأعشاب والحياة الحيوانية، وعيّن على شؤونها الإله سُمُجان Sumugan الموصوف بملك الجبل». (صمويل كريم: من ألواح سومر، ص ١٨٢).

الجبل في الهوية الحورية:

الحوريون من أسلاف الكرد القدماء أيضاً، وذكر جرنوت فلهم أنهم انطلقوا، حوالي نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، من المناطق الجبلية الواقعة في شمال شرقي بلاد الرافدين (شمالي كردستان المركزية). وما يهمنا الآن أنهم لما انتشروا في شمالي سوريا، ووصلوا إلى سوريا الداخلية والجنوبية، كانوا يستقرون في المناطق الجبلية، أو المتاخمة للجبال، إنهم استقروا في حوض نهر العاصي، وخاصة في أَلَاخ، ووصلوا إلى سوريا الساحلية (فينيقيا) وخاصة أُوغَاريت، وتوغلوا جنوباً، فاستقروا في مدينة يَبُوس (أورشليم/القدس)، وهي تقع في منطقة جبلية، وتوغلوا جنوباً أكثر، فاستقروا في منطقة جبل سَعِير، بوادي عَرَبَة (جنوبي الأردن حالياً). (جرنوت فلهم: الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ص ٢٤، ١٠٧. جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ص ٢٠٠. بونفارد - ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ١٦٢. العهد القديم، سفر التكوين، الأصحاح ٣٦، الآيتان ٢٠، ٢١).

الجبل في الهوية الكاشية:

مرّ سابقاً أن الكاشيين أيضاً فرع كبير آخر من أسلاف الكرد الأقدمين، وأنهم كانوا من سكان

جبال لُورستان (في جنوب غربي إيران حالياً)، وقد سيطروا على بلاد بابل، واتخذوا مدينة بابل (تقع على الفرات ٩٠ كم جنوبي بغداد) عاصمة لهم، ثم اتخذ الملك كوريغالزو (كوريغالزو) الثاني (١٣٤٥ - ١٣٢٤ ق.م) عاصمة جديدة للكاشيين اسمها (دور كوريغالزو)، على مسافة (٣٢) كم غربي بغداد. ومع أن الكاشيين استقروا في المناطق السهلية، فقد ظل (الجبل) يلازمهم، ويتجلى في رموزهم الميثولوجية، إذ يظهر الإله والإلهة في المعمار الكاشي، وقد أمسك كل منهما بيده، وأمام صدره، يناءً، يتدفق منه الماء، ويسيل على هيئة جداول جارئة، ويظهر المعبود في تلك الرسوم على أنه (إله الجبل)، وقد مُثِّل وهو يرتدي ثوباً مزيّناً على هيئة حَرَّاشف، وكانت الحَرَّاشف رمز (الجبل) عند أسلاف الكرد القدماء. (انظر محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٠١).

وفي عهد الملك الكاشي كرنش- وقد اشتهر بكثرة مبانيه في المدن البابلية- كانت تماثيل الأرباب والربّات تبرز من جسم البناء، «مع تشكيل رأس كل معبود وجذعه الأعلى تشكيلاً كاملاً، والاكتفاء بتشكيل الخطوط العامة لبقية جسمه على هيئة الثوب الطويل

المحبوك، وتشكيل لبنات هذا الثوب بما يرمز إلى مدرجات الجبال بالنسبة للأرباب، وتموجات الماء بالنسبة للربّات». (محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٠٥).

الجبل في الهوية الميديّة:

ولنتقل إلى الميديين، الفرع الكبير الأخير من أسلاف الكرد الأقدمين، تُرى ماذا عنهم وعن (الجبل)؟ الحقيقة أنهم كانوا جبليين خُلصاً، ولن نقف الآن عند تجليات (الجبل) في عشقهم للحرية، وفي شدة بأسهم، وفي صلابتهم وعنادهم، وفي نزوعهم إلى الثورة على القهر والعسف، وفي شجاعتهم وروحهم القتالية، وفي ذهنيّتهم السياسية اللامركزية، وفي نظامهم الاجتماعي القبلي، وفي أزيائهم؛ إذ المأمول أن يأتي الحديث عن جميع ذلك في سياقه المناسب، ونكتفي الآن بظاهرة مصاحبة (الجبل) للميدي حيثما حلّ وارتحل، ولناخذ قصة (الحدايق المعلقة) مثلاً على ذلك.

فقد مرّ - في الاستعراض الموجز لتاريخ الميديين- أنهم لم يرفعوا راية الاستسلام للملك آشور، وظلوا يفضّرون ثورة تلو أخرى، وأدرك الملك الميدي كيخسرو kai-Khosru أو كي أخسار Cyaxares (٦٣٣ - ٥٨٤ ق.م)، أن من الحكمة تشكيل جبهة إقليمية

موحدة، تضم الشعوب الواقعة في قبضة السلطة الآشورية، والشروع من ثم في العمل للقضاء على إمبراطورية آشور، فضمّ الفرس إلى دولة ميديا، باعتبار القراية الإثنية والثقافية بين الشعبين الميدي والفارسي.

وتوجّه كيخسرو بعدئذ إلى البابليين، فعقد تحالفاً مع الملك البابلي نبوبولاصّر Nabopolassar (٦٢٧ - ٦٠٥ ق.م)، وكان والياً على بابل من قبل الملك الآشوري آشور بانيبال Ashurbanipal ، ولتوثيق الصداقة بين الملكين وافق كيخسرو على تزويج ابنته أوميد (أميتيدا Amutida / أميتس) من نبوخذ نصر Nabuchadnazzar بن نبوبولاصّر (ديورانت: قصة الحضارة، ٤٠٠/٢. دياكونوف: ميديا، ص ٢٨٣. طه باقر وآخران: تاريخ إيران القديم، ص ٤٠ - ٤١). وقد وصف ول ديورانت Will Durant حدائق بابل المعلقة الذائعة الصيت، وكان اليونان يعدونها إحدى عجائب العالم السبع، وذكر أنها كانت مقامة على أساطين مستديرة متتالية، كل طبقة منها فوق طبقة، وقال: "ولم تكن هذه الأميرة قد اعتادت على شمس بابل الحارة

وثرها، فعاودها الحنين إلى خضرة بلادها الجبلية، ودفعت الشهامة والمروءة نبوخذ نصر، فأنشأ لها هذه الحدائق العجيبة، وغطى سطحها الأعلى بطبقة من الغرين الخصيب، يبلغ سمكها جملة أقدام، لا تتسع للأزهار والنباتات المختلفة، ولا تسمح بتغذيتها فحسب، بل تتسع أيضاً لأكبر الأشجار وأطولها جذوراً، وتكفي تربتها لغذائها». (ديورانت: قصة الحضارة، مجلد ١، ١٩٩/٢).

وأضاف ديورانت قائلاً: «وكانت المياه تُرفع من نهر الفرات إلى أعلى طبقة في الحديقة، بآلات مائية مخبأة في الأساطين، تتناوب على إدارتها طوائف من الرقيق، وفوق هذا السطح الأعلى، الذي يرتفع عن الأرض خمسة وسبعين قدماً، كان نساء القصر يمشين غير محجّبات آمناً من أعين السوقة، تحيط بهن النباتات الغريبة والأزهار العطرة». (ديورانت: قصة الحضارة، مجلد ١، ج ٢، ص ١٩٩).

إن أوميد هي ابنة مدينة أگبتانا (هيگمه تانا/ جمه زان/ همه زان) عاصمة ميديا الملكية، المدينة الواقعة في واد جميل المنظر، أخصبته المياه الذائبة من الثلوج على قمم الجبال، وتعتبر آخر: إن أوميد ابنة جبال ميديا الشامخة، ابنة الصخر والنهر، ابنة

الشجر والزهر، رحلت إلى سهول ميزوبوتاميا الحارة، فرحلت معها، وعبرها، جبال ميديا بصخرها ونهرها وشجرها وزهرها، ولعل ما لم يقله المؤرخون أن أوميد استقدمت أشجار وأزهار وريما أطيار جبال بلادها، لتُحجّل بها عينيها صباح مساء، بلى، من أين لبابل أن تحمل أوميد على الانسلاخ من هويتها الجبلية؟! وكيف لأوميد أن تنعم بالحياة؛ ما لم تستحضر (الجبل) في حياتها ولو بشكل رمزي؟!

الجبل: مفتاح الشخصية الكردية (٢- بانوراما الجبل) توضيحات

ذات مرة قال الفيلسوف الفرنسي نيكولاس مالبرانش Nicolas Malebranch (١٦٣٨-١٧١٥): "الهواء الذي نستنشقه يسبّب تغييراً في عقولنا" (لوسيان فيقر: الأرض والتطور البشري، ص ٣٧)، ولعل هذا القول كان مستغرباً في مجتمعاتنا قبل قرن من الزمان، أيام كان أجدادنا وجداتنا يفسّرون هدير الرعد بأن الإمام علي بن أبي طالب يضرب السحاب بسوطه، فتزجر متألة، وتبكي بدموع غزيرة تسمى (المطر)، وأيام كانوا يفسّرون خسوف القمر بوجود حوت هائل يحاول ابتلاع

القمر، فكانوا يقرعون على الأواني والطبول، ويطلقون الرصاص، لإخافة الحوت، وإنقاذ القمر المكروب.

أما الآن، وبعد التنوع الشديد في مجالات العلوم، وتحليل الكائن الحي - من قبل المختصين - إلى عناصره الكيميائية والفيزيائية والكهرطيسية الأولية، بات من المفيد أن نمنح قول ماليرانش وغيره قسطاً أكبر من اهتمامنا، ونأخذ به بالحسبان في تفسير مسيرة حياة الكائنات على كرتنا الأرضية، وخاصة أن ثمة فريقاً من العلماء يؤكّدون أننا - نحن البشر - بدايةً ونهايةً كائنات بيولوجية، ليس على الصعيد الجسدي فقط، وإنما على الصعيد العقلي والشعوري أيضاً، وأن العلاقة بين « الجينات والبيئة يجب أن تؤخذ في الحسبان لدى أية محاولة لتفسير طبيعة التطور أو الخلق »؛ حسبما يقول المؤرخ الإنكليزي أرنولد توينبي (Arnold Toynbee 1889 - 1975 م). (أرنولد توينبي، ودايساكو إكيدا: التحديات الكبرى، ص ٢٤. وانظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص ٥٩، ٨٥).

وفي إطار هذه الرؤية العلمية الإيكولوجية، أتناول بانوراما الجبل، وسأكون مضطراً إلى الاستعانة أحياناً بملاحظات

وآرائي الشخصية، وقد أكون مصيباً وقد أكون مخطئاً، فقد فتحت عيني على الحياة في قرية كُرْزَيْل Korzail، وذكرها ياقوت الحمّامي بصيغة (قُرْزاحل) (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣٦٧/٤)، وتسمّى الآن قُرْزَيْلْجَل، وهي من قرى منطقة كُرْد داغ (عفرين) Afrin، في الزاوية الشمالية الغربية من سوريا، وعرفين اسم للنهر الذي يخترق المنطقة من الشمال إلى الجنوب، وجاءت هذه الصيغة عند كل من ياقوت الحمّامي والقلقشندي (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١٤٩/٤. القلقشندي: صبح الأعشى، ٨٤/٤). وكلمة أفرين Afrin تعني (بَرَكة) في (زند أفيستا)، وهو تفسير الكتاب الزردشتي المقدس (أفيستا). (أفيستا، ص ٨٠٨).

وتضم منطقة كرد داغ ستة نواح (مركز ناحية)، إضافة إلى مركز البلدة، وتتألف من حوالي (٣٦٠) قرية كبيرة وصغيرة، والطابع الجبلي هو الغالب على المنطقة، إنها في جملتها سلاسل جبلية، تقع بينها أحياناً سهول ضيقة أو متوسطة السعة، ولعل أوسعها سهل جُومَه Gume الانهدامي الواقع بين سلسلة جبل لَيْلُون Leylun شرقاً، وسلسلة جبل هَشْتِيَا Heshtiya غرباً، وقد

ورد اسم جُومَه وَلَيْلُون في كتابات البلاذري وياقوت الحموي وأبو الفداء (البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٤. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٦٧. وانظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢١٩/٢، ٢٢/٣، ٣٤/٥)، وتقع قريتي كُرْزَيْل Korzail على السفح الغربي لجبل ليلون، ولذا فحديثي عن (الجبل) لا يصدر عن تخيُّلات وظنون، وإنما عن خبرة حياتية بدأت منذ أن حلت ضيفاً على هذا العالم.

ومنذ حوالي ثلاثين سنة التقيت بامرأة عجوز كردية من شرقي تركيا، كانت متزوجة من رجل في منطقتنا، فقالت لي - وكنا نتحدث بشأن جبال عفرين - : " يا بنيّ، جبالكم هذه مثل مصاطب البيوت إذا قيس بجبالنا هناك ". (تقصد جبال شمالي كردستان). ولعلي وضعت ما قالتها العجوز حينذاك في خانة المبالغة، لكن اتضح لي بعدئذ أنها كانت دقيقة جداً فيما قالتها.

إن ارتفاع أعلى قمة في جبال عفرين يبلغ (3606) قدماً، في حين تبلغ الجبال في بلاد الكرد الأخرى ارتفاعات عالية جداً. إن ارتفاع جبل سنجار Sangar يبلغ (4985 قدماً)، وجبل جُودي Gudi (6436) قدماً، وجبل نمرود Nimrod (9567)

وثمة ملاحظة شخصية لعلها تكون مفيدة في هذا المجال، فقد مرّ أنني أنتمي إلى قرية كُرْزَيْل Korzail، في منطقة كُرْد داغ (عُفْرَيْن) Afrin، وكانت لنا أراضٍ في قرية تسمى (شُدُود)، على التخوم الغربية لمنطقة (الباب) في محافظة حلب، وتفصل منطقة (عَازَز) بين منطقتي عُفْرَيْن والباب، وقد اصطحبني والدي- رحمه الله- معه ذات مرة وأنا صبي إلى شذود صيفاً، وكنا بحاجة إلى نهار كامل لنصل إليها سيراً على الأقدام أو مستعينين بدابة، وأذكر أنني كنت أشعر حينذاك بحالة غريبة في سهول عراز، ما كنت أشعر بها وأنا في منطقة عُفْرَيْن، وكان ذلك الشعور يتفاقم في طريق العودة، وبطبيعة الحال ما كنت قادراً حينذاك على فهم ذلك الشعور، ناهيك عن تفسيره. وبعد رحيل الوالد إلى العالم الآخر، وقعت مهمة متابعة موضوع أملاكنا في شذود على عاتقي، وكنت أتنقل بين القريتين على دراجة نارية، ولمست أن ذلك الشعور القديم كان يخامرني مرة أخرى كلما كنت أجتاز سهول عراز، ولاحظت مرة أخرى أن نسبة إحساسي به كانت ترتفع في رحلة العودة، وبما أنني كنت قد امتلكت قدراً لا بأس به من المعرفة والوعي،

والآن ماذا عن بانوراما الجبل؟
جدلية الامتلاء والفراغ
إن أول ما يلفت الانتباه في البيئة الجبلية أنها جغرافياً يغلب عليها التحدّب (التكور)، وتفرض على البصر أن ينشط عمودياً أكثر مما ينشط أفقياً، إنها تفرض على البصر أن يصعد نحو القمم، وينحدر نحو الوديان، ويدور مع المنعطقات، ويتكور مع الصخور، ويعلو ويهبط مع الجروف. وبتعبير آخر: إن الجبل يفرض على البصر أن يتحرك- في الغالب- دائرياً (تكورياً)، سواء أكانت الحركة تصاعديّة (النظر إلى القمة)، أم تنازليّة (النظر إلى الوادي). وهذا يعني أن جغرافيا الجبل تجعل الإنسان كل مرة- وبصورة شبه دائمة- على تماسّ مباشر مع مقطع مكاني مكوّر الطابع، تغلب عليه الخطوط المحدّبة/المقعّرة، وتقلّ فيه الخطوط المستقيمة الممتدة، وهي مع قلتها قصيرة غالباً. ويعني أيضاً أن جغرافيا الجبل مكان مؤلف من ثلاثة أبعاد (طول، عرض، ارتفاع)، في حين يكون الإنسان في السهل، معظم الأحيان، على تماسّ مباشر مع مقطع مكاني منبسط الطابع، خطوطه مستقيمة ومديدة غالباً، وهو مؤلف من بعدين فقط (طول، عرض).

قدماً، وجبل بيستون Bistun (11014) قدماً، وجبل شَـيْوه Shaiwe (11122) قدماً، وجبل ألوند Alwend (11745) قدماً، وجبل هـلْـگُـورْد Halgurd هـلْـگُـورْد (١٢٢٤٩) قدماً، وجبل رَشْـكُـوه Rashkoh (12336) قدماً، وجبل أارات الصغير Little Ararat (12870) قدماً، وجبل سُبْحان Subhan (13314) قدماً، وجبل أارات الكبير Great Ararat (16946) قدماً. [القدم = 30 سم] (Mehdad Izady: The Kurd, P15).

ثم إن تأثير البيئة الجبلية في البشر، بيولوجياً وسيكولوجياً ومعرفياً، لا يعود إلى قرن أو بضعة قرون، وإنما يعود إلى فترة العصر الحجري القديم؛ أي إلى (٤٠ ألف سنة تقريباً) (دونالد جوهانسون وبليك إدغار: من مرحلة لوسي إلى مرحلة اللغة، ص ١٨٢)، وربما يمتد إلى ما قبل ذلك بمئات الآلاف من السنين؛ كما أن من المهم الأخذ في الحسبان: « أننا لسنا النتاج النهائي والأخير لثلاثة بلايين سنة من التطوّر على سطح الكرة الأرضية، فنوعنا، مثل كل الأنواع الأخرى، إنجاز تطوّرٍ جارٍ ومستمر ». (دونالد جوهانسون وبليك إدغار: من مرحلة لوسي إلى مرحلة اللغة، ص ٢٠٣).

وأصبحت أقدر على مراقبة الذات وتفسير الظواهر النفسية، وضعت يدي على المشكلة؛ إنها كانت مشكلة الشعور بالفراغ.

أجل، كنت معتاداً في بيئتي الجبلية على أن أتعامل وأتفاعل مع كتل جبلية تشكّل عالي، فقريتنا تقع على سفح جبل ليلون، وعلى بُعد حوالي خمسمئة متر غرباً ينتصب أمامها جبالان متجاوران صغيران، وعلى بُعد حوالي خمسة كيلومترات غرباً أيضاً تنتصب أمامي سلسلة جبال هَشْتَرِيَا، وتطل من خلفها في الأفق الغربي قمم جبال أمانوس Amanus الشامخة المكلفة بالثلوج طوال العام، وكذلك الأمر إذا اتجهتُ شمالاً وجنوباً، في جميع الاتجاهات لا أجد جغرافياً تخلو من جبال أو هضاب، ولا أواجه فراغاً يزيد على خمسة كيلومترات في أبعد تقدير.

أما في رحلتي إلى شذود فكنت أجد نفسي دُفعة واحدة وسط فراغ هائل الأبعاد، سهول منبسطة في كل الاتجاهات، لا مكان فيها لأية جبال، وإنما ثمة فقط تلال ترابية قديمة قليلة. وبعبارة أخرى: كنت أفتقد في سهول عزاز البعد الثالث من أبعاد المكان الذي اعتدت أن أراه صباح مساء طوال اليوم، وانتلفت معه، وساهم رويداً رويداً في تكوين شخصيتي منذ الصغر؛ ألا وهو

بُعد (الارتفاع) في صيغته المحدّبة المكوّرة.

وأما سبب تفاقم الشعور بالفراغ في رحلة العودة فيرجع إلى أن نقطة انطلاقي في شذود كنت تبدأ من منطقة هضبية مرتفعة نسبياً، وبمجرد إشرافي على سهول عزاز كنت أشعر وكأنني أواجه حفرة منبسطة هائلة المساحة، وما كان يريحني سوى استقرار بصري بين حين وآخر على قمم جبال أمانوس في الأفق الغربي البعيد. وأذكر أنني لمست الشعور بالفراغ بعد ربع قرن، حينما كنت أخرق بالسيارة صحارى شبه الجزيرة العربية؛ في طريقي بين سوريا ودولة الإمارات العربية المتحدة، وكنت أشعر بارتياح عندما كنت أبصر بعض الجبال القليلة وسط تلك البراري الشاسعة.

البصر والبصيرة

إن جدلية الامتلاء والفراغ في المشهد الجبلي توصلنا إلى أربع نتائج:

١ - إن نسبة مساحة (الفراغ) تتقلص في قطاع الرؤية، وتتسع نسبة مساحة (الامتلاء)، في حين تكون نسبة مساحة (الفراغ) في المشهد السهلي والصحراوي هي المهيمنة، وتتقلص نسبة مساحة (الامتلاء)، وهذا يعني أنك في البيئة الجبلية تتعامل مع ما

حولك بمدى بصري أقصر، لكنك ترى موجودات أكثر.

٢ - إن ابن البيئة الجبلية يعتاد الإشراف من فوق القمم على المناطق المحيطة، فيصبح أكثر رغبة في التواصل مع الأفق الواسع (لوسيان فيقر: الأرض والتطور البشري، ص ٢٥٧). كما أن تعامل البصر مع موجودات أكثر كل مرة يتطلب قدراً أكبر من دقة الملاحظة، والتركيز على التفاصيل، وعلى تفاصيل التفاصيل، سواء أكان ذلك لمعرفة الموجودات (ما هي؟)، أم لتحديد وضعياتها وعلاقاتها (كيف هي؟)، أم لتحديد قيمتها (لمَ هي؟)، أم لتحديد قيمتها (فائدتها؟).

٣ - إن البيئة الجبلية تساهم في تكوين ذهنية شديدة الارتباط بالواقع، وذات قدرات تحليلية متقدمة، وهي مؤهلة في الوقت نفسه لأن تكون ذهنية فلسفية، تطل على الأمور والقضايا من عل، وتستخلص المبادئ العامة والقوانين الكلية من المعطيات المتجاورة أو المتواكبة، وأحسب أن تحليل العلاقة بين البيئة الجبلية في اليونان وتقدم الفكر الفلسفي هناك قديماً كفيلاً بتأكيد هذه الخصيصة في الشخصية الجبلية.

٤ - إن انشغال الجبلي بالتفاصيل قد يتحوّل، في بعض

الغزيرة، وتهبّ العواصف الثلجية. وما إن يحلّ الربيع حتى يلطف الجو، وتهبّ النسائم رقيقةً منعشة، وتبدأ دورة جديدة من التقمص والحلول كما يقول فلاسفة التصوّف، وتتحوّل قطرات المطر وذرات الثلج إلى أعشاب ناضرة زاهية، وإلى أزهار متنوعة خلاصة الألوان، وأشجار وارفة الظلال، وينابيع رقراقة المياه. ومع حلول الصيف، تبدأ درجات الحرارة في الوديان والمنخفضات بالارتفاع، ويبدأ يسكن كثير من الأعشاب، في حين تحتفظ المرتفعات العالية -تسمى زُوزان Zozan- بقدر من لطافة الجو ووفرة الأعشاب.

وجدير بالانتباه أن التحوّلات في البيئة الجبلية تحوّلات متدرّجة يعرفها ابن البيئة الجبلية، ويحتاط لها، ويمتلك الوقت للتكيّف معها، وهي ليست تقلّبات مفاجئة، تنقضّ على المرء وتباغته وتصدمه، كما هو الأمر في البيئة الصحراوية وربما في البحرية أيضاً. وبتعبير آخر: إن التحوّلات في البيئة الجبلية تتمّ وفق قواعد شبه ثابتة، ويمكن توقّعها بناء على فهم قدر بسيط من قوانين الطبيعة، والاستعداد لها بما يلزم.

تجاوز الأضداد

ويمكننا أن نخرج مما سبق بما

واللطافة: وتتمثّل الصلابة، وما يواكبها من القوة والقسوة والتجهم والفضاظة الصامتة، في جرم الجبل الضخم الهائل الرابض على الأرض بوقار، الصاعد في السماء بشموخ، إنه يعترضك بثبات، ويسدّ أمامك الأفق بعناد، كما أن الصلابة تتمثّل في عدد هائل من الصخور المترامية المتجاورة والمتفاوتة الأحجام، يتجلبب بها ذلك الجرم العملاق الهائل ليل نهار.

وتتمثّل اللطافة، وما يواكبها من اللين والرقّة والطراوة والبشاشة والوداعة، في الأشجار والأعشاب والأزهار، وهي لا تؤكد حضورها في المساحات التي تنحسر فيها الصخور والحجارة فقط، وإنما تجدها أحياناً نابتة بإصرار من قلب الصخور، جميلة الطلّة، مشوقة القامة، مرفوعة الهامة، ناضرة الوجه، باسمّة الحياء، زاهية اللون. وإذا ضمنت إلى هذه اللوحة اللطيفة جريان الينابيع على سفوح الجبال وعند أقدامها، وتدفّق الأنهار في الوديان، تشعر أن الجبل ليس عالم التناقضات، وإنما هو عالم التضاييف والتكامل، عالم يندمج فيه الجمال بالجلال.

والثالثة المفارقة في درجات الحرارة: ففي البيئة الجبلية تنخفض درجات الحرارة شتاء انخفاضاً شديداً، وتنهزم الأمطار

الحالات، إلى شكل من أشكال قصر البصيرة وضيق الأفق، والتركيز على (الجزء) وإهمال (الكل)، والدوران في فلك (الفروع) والسهو عن (الأصول)، والتعلق بما هو محدود ومؤقت على حساب ما هو عام ودائم، ولا ريب في أن فرداً بذهنية كهذه يصبح بلاء على مجتمعه، وأن مجتمعاً بذهنية كهذه يضيع الطريق إلى الصواب، بل قد يدمّر نفسه.

الجبل والمفارقات

وفي البيئة الجبلية تتعايش جملة من المفارقات، ويمكن إدراجها في خانة (التكامل) أكثر من إدراجها في خانة (التناقض).

أولها المفارقة بين القمة والوادي: فالقمة تمثّل (الارتفاع)، والوادي يمثّل (الانخفاض)، وإذا كانت القمم تساهم في تكوين الشعور بالتميّز والتفوق، وما يواكبهما من سمات الاعتداد بالذات والشموخ والترفع والكبرياء، فإن المنخفضات وقيعان الوديان تساهم في تكوين الشعور بالتواضع، وقد تصبح عاملاً مساعداً لعوامل أخرى، تتضافر لتكوين الشعور بالنقص والضآلة والضعف، وبتعبير آخر: إذا كانت القمم عاملاً مساعداً لإنتاج (السيد النبيل)، فإن القيعان عامل مساعد لإنتاج (العبد الذليل).

والثانية المفارقة بين الصلابة

يلي:

١ - البيئة الجبلية بيئة مستعصية متوحشة، وعلى الإنسان الجبلي أن يمتلك القدرة على استئناسها والتفاهم معها، إنها لا تمنحك نفسها هكذا بسهولة ودون عناء، فلكي تمشي في الجبل صاعداً أو منحدراً أنت مضطر لأن تبذل عناء مضاعفاً عما تبذله وأنت تمشي في السهول، وكذلك الأمر سواء أكنت تبحث عن ثمرة، أم تفتش عن عشبة، أم تنقب عن جذور، أم تغرز وتبدأ، أم تغرس فسيلة، أم ترعى غنماً، أم تصطاد وعللاً، أم تواجه وحشاً.

٢ - أن تعيش في بيئة مستعصية ومتوحشة يعني أنك تتعامل مع بيئة تتحدأك، وكى تحتفظ بالبقاء فيها عليك أن تقبل التحدي، وأن تكون في مستوى التحدي جسدياً وذهنياً ونفسياً، وإلا فإن مكانك المناسب هو الانحدار إلى السهول. وكى تكون في مستوى التحدي ينبغي أن تتصف بقدر كاف من الصلابة والقوة والقسوة، وبقدر مماثل من الصبر والجلد والعناد، وكى نعي دلالات الاستعصاء والتوحش والتحدى في البيئة الجبلية دعونا نستحضر الفارق بين رجلين يرغبان في اتخاذ بيت؛ الأول يقطع حجارة من صخور الجبل، وآخر يصنع طوباً

من تربة السهل.

٣ - إن تجاوز الصلابة واللطافة في البيئة الجبلية عامل مساعد لتكوين شخصية تتجاوز فيها القوة والضعف، والقسوة والدمائة، والهدوء والعنف، والوقار والثوران، والجد والرح، والعبوس والبشاشة؛ شخصية تمتاز بروح قتالية عالية، وتقبل التحدي بثقة، شخصية صلبة راسخة ممتنعة على الانمساخ والاختراق، تقابلها وتزاحمها شخصية رخوة، شخصية ضعيفة الثقة بذاتها، تتجذب التحدي، ويجعلها الشعور بالنقص عرضة للانمساخ في الهويّة، وللاختراقات في القيم والمواقف.

جغرافيا الاكتفاء

وثمة خصائص أخرى للبيئة الجبلية:

أولها أن الجبل جغرافيا الوضوح والغموض؛ إنه بجرمه الهائل، وعلوه الشاهق، لا يخفى على الناظر، بل يراه المرء من بعيد، ويمكن له أن يقدّر مدى ضخامته وارتفاعه، لكن ما إن يتوغل فيه حتى يجد نفسه كائناً ضئيلاً بين أحضان كائن عملاق، وأنه يخوض رويداً رويداً في أرض الغموض، بل، إن المرء - وهو يتنقل في الجبل - لا يعرف ماذا ينتظره وراء تلك القمة، أو داخل ذلك الجحر، أو في أعماق ذلك الكهف.

والمرء - سواء أكان صياداً أو راعياً أو مزارعاً، أو مجرد مسافر - يستطيع السيطرة ببصره على مساحة شاسعة من جغرافيا السهل، ويكون أقدر على مراقبة ما حوله ومعرفة ما يحيط به، أما في الجبل فالوضع يختلف، إن جغرافيا الجبل تفرض عليه شكلاً من أشكال العناء، وتقول له ضمناً: ثمة أشياء كثيرة لا تعرفها؛ وكى يتحرر من بعض ذلك العناء، ويفك طلاسم الغموض المحيط به، ليس له إلا أن يكون على الدوام في مكان مرتفع، وفي موقع يحقق له السيطرة.

والثانية أن الجبل جغرافيا المفاجأة، فإنك وأنت في الجبل لا تعرف مسبقاً ماذا يمكن أن تلتقي من كائنات، فقد تفاجأ - وأنت تمشي - بطائر يندفع بالقرب من قدميك، وبباغتك برفيف جناحيه محلّقاً في الجو، إنه كان بدوره مذعوراً؛ لأنك فاجأته أيضاً. وقد تكون - وأنت في الجبل - على مقربة من بعض الذئاب أو الدببة وأنت لا تدري. وقد تفاجأ بزاحف يسرع منحدراً من على صخرة، ليختبئ بين ركام من الحجارة، وقد تجد فجأة حية تبتعد بسرعة من طريقك، وقد تعضك في قدمك إذا وطئتها، وقد تفاجأ بأخرى تحلّ ضيفاً عليك حتى وأنت في خيمتك أو على مصطبة دارك.

والثالثة أن الجبل جغرافيا العزلة: فالصخور والجروف والوديان والأنهار كلها فواصل طبيعية، تحول دون تحقيق التواصل السهل والسريع مع الآخرين، إن الراعي الذي يرفع قطعانه في واد أو على سفح جبل، لا يرى الراعي الآخر في الوادي المجاور، وإن سكان قرية واقعة على سفح جبل قادرون على رؤية القرى الواقعة على السفوح المقابلة، أو على السهول المحاذية، لكنهم غير قادرين على رؤية القرى الواقعة خلف الجبل. وفي الشتاء، وحينما تهطل الثلوج بكثافة، تصبح العزلة مركبة، إذ تنقطع الطرق، ويضطر الناس إلى التزام قراهم وبيوتهم أوقاتاً طويلة. يقول لوسيان فيقر: «ساكن الجبل، في قاع الوادي الجبلي - من جزيرته الجبلية- رجل منعزل، مخلوق سجن في نطاق ضيق، يفرضه عليه الحاجز الجبلي الذي يفصله عن بقية أنحاء الإقليم». (لوسيان فيقر: الأرض والتطور البشري، ص ٢٩٥ - ٢٩٦).

والرابعة أن الجبل حصن منيع: إنه لا يخذل من يستجير به ويتحصن فيه، شريطة أن يكون خبيراً بمدخله ومخارجه، قادراً على التكيف معه مطعماً ومشرباً ومناخاً، إن الجبل، بعلوه الشاهق، وبوعورة تضاريسه،

وشبكة تعرجاته المعقدة، وبكهوفه العميقة، وجروفه الشديدة الانحدار، وممراته الضيقة، وبما يكتسي به من غابات، يحقق الأمان من العدو، ويمنح الفرصة للإنسان كي يصون إرادته من الاستلاب، وقراره من الارتهان، وكرامته من الابتذال، وهويته من الانمساخ، وذاته من الانمحاق، وإن البيئة الجبلية تنمي في الشخصية شعور الأنفة والكبرياء والاعتزاز بالنفس، والاعتداد بالذات، ويصبح من الصعب تطويعه وإخضاعه للقوانين والضوابط التي يتطلبها قيام الدول.

والخامسة أن الجبل خزان أقوات: إنه سوبر ماركت هائل، يمدّ المدة بمتطلباتها، ويحقق الاكتفاء الذاتي لساكنيه، وإن كان اكتفاءً في الحدود الدنيا، وبما يحفظ الحياة فقط، إن جولة يومية في الجبل كافية لأن تضع على مائدتك لحم تيس جبلي، أو لحم غزال، أو لحم أرنب، أو لحم طائر، أو غير ذلك مما يُصطاد، أما عن أنواع الثمار والجذور والأعشاب، فحدث ولا حرج. وعدا هذا يكفي أن تعزل الحجارة عن مساحات صغيرة هنا وهناك، وتلقي فيها بعض البذور، لتمنحك ما تحتاجه من أغذية ضرورية، ويكفي أن تقتني بضع رؤوس من الشياه أو الماعز، لتنعم بحليبها ولبنها وسمنها وجبنها

ولحومها، ولتخزن منها ما تحتاج للشتاء، ولتصنع من أصوافها ألبسة وبسطة وخيماً، وغير ذلك من ضرورات العيش.

الجبلي دولة عظمى

ويمكننا أن نخلص من استعراض الخصائص السابقة إلى ما يلي:

١ - إن حالة العماء والغموض نمت في الشخصية الجبلية الشعور بالريبة والتوجس، والحيطة والحذر من جانب، إضافة إلى أنها نمت فيها الحاجة إلى التنبيه واليقظة، والحاجة إلى الاستكشاف المستمر، ومعرفة المزيد مما هو غير معروف، للتغلب على حالات الغموض والعماء.

٢ - في كنف هذه الحالة الشديدة التشابك تكونت في الشخصية خاصية امتلاك إرادة الإقدام والافتحام، والنزوع إلى البسالة والشجاعة، وأحسب أن الفيلسوف اليونان هيبوقرات Hippocrates، وهو معاصر لسقراط Socrates، كان يشير إلى هذه الخاصية بقوله: إن سكان الأقاليم الجبلية المعرّضة للأمطار والرياح العاتية طوال القامة، وفيهم دماثة، ولكنهم في الوقت نفسه شجعان. (لوسيان فيقر: الأرض والتطور البشري، ص ٣٤).

٣ - إن خصائص العزلة والمناعة والاكتفاء، في البيئة الجبلية، عوامل مساعدة لتكوين شخصية تنزع إلى التمرد والثورة أكثر من نزوعها إلى الخضوع والخنوع، شخصية لا تتقبل المساس بها لا من قريب ولا من بعيد، شخصية قادرة على أن تدير ظهرها بحزم وحسم لما لا تتراح إليه، على مبدأ « لكم دينكم ولي ديني »، وسرعان ما تهتاج وتثور عندما لا تُترك في حالها، وعندما تصبح حريتها وقرارها وكرامتها عرضة للعبث والانتهاك، وقد تصل حالات الهياج والثوران إلى مرحلة التدمير؛ تدمير الآخر أو تدمير الذات.

ولذلك كان أهل الجبال - طوال التاريخ - هم الذين ينجّصون على الغزاة والفاطحين تنفيذ خططهم ومآربهم، وكانوا بمثابة شوكة في حلق أصحاب المشاريع الإمبراطورية، وكان هؤلاء مضطرين إلى بذل جهود مضاعفة ومضنية، لفرض سيطرتهم على سكان الجبال، وحسبنا دليلاً على ذلك ما جاء في مدونات ملوك أكاد وأشور، وهم يصفون حروبهم ضد أسلاف الكرد في جبال زاغروس، وما ذكره القائد اليوناني إكسنوفون Xenophon، واصفاً عودة المرتزقة اليونان العشرة آلاف، وما لقوه من مقاومة شرسة في جبال

الكَرد وخيين سنة (٤٠١ ق.م). وكذلك وصية خان المغول الأكبر مَنكوقان للقائد هولاكو، بأهمية إخضاع الكرد في جبال لورستان وغيرها، قبل اقتحام بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م). (توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ١٣٤. محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٤٥، ٣٤٨. جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٩٧/١. الهمذاني: جامع التواريخ، ٢٥٠/١ - ٢٥٨).

٤ - ثمة ظاهرة أخرى في الشخصية الجبلية، أحسب أن لخصائص العزلة والمناعة والاكتفاء دوراً بارزاً في نشوئها؛ ألا وهي صعوبة تقبل الجبلي للتكوينات السياسية والإدارية المركزية الطابع. إن الجبلي، في معقله الحصين المنعزل الذي يوفر له الاكتفاء الذاتي في الحدود الدنيا، يرى نفسه قادراً على تدبّر شؤونه الحياتية بنفسه، والاستغناء عن أية منافع تجلب معها التبعية والعبودية، بل أكثر من هذا؛ إنه يعدّ نفسه دولة عظمى، فهل تقبل دولة عظمى أن تفكّك نفسها لصالح دولة أخرى؟! وهذا يذكرني بشاعر صيني قال قبل الميلاد بقرون: «أستيقظ حينما تشرق الشمس، وأنام حينما تغيب.

أزرع حقلي لأكل، وأحفر بئري لأشرب. فقيم يهمني سلطان الإمبراطور؟! وأستشهد في هذا الصدد بسكان اليونان القدماء، إن جميع الدول التي قامت فيها، قبل القرن الرابع قبل الميلاد، كانت دول - مدن، كدولة أثينا، ودولة إسبارطا، ولم تنشأ فيها دولة مركزية إلا بعد أن غزاها فيليب Philippos المكدوني، واستكمل ابنه الإسكندر مشروعه التوسعي.

بل لماذا أذهب بعيداً، ولا أستشهد بالسومريين؟ إنهم أبناء جبال زاغروس الذين انحدروا إلى سهول جنوبي ميزوبوتاميا، وطوال ألف عام تقريباً لم تقم في بلاد سومر أية دولة مركزية، وإنما كانت فيها دول - مدن متناحرة، منها دولة أور UR ، ودولة لكش Lagash، ودولة سيبار Sippar. وأول دولة مركزية قامت في بلاد سومر إنما نشأت علي يدي سرجون الأكادي، سنة (٢٣٥٠ ق.م)، وما كان سرجون وقومه الأكاديون أبناء البيئة الجبلية، وإنما كانوا أبناء البيئة الصحراوية السهلية. (انظر صمويل كريمر: من ألواح سومر، ص ٧٩. سبتيانو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ص ٦٧).

٥ - نظراً لافتقار الجبلي إلى دولة مركزية قوية، تمتلك القوة الكافية لردع الطامعين، ورد هجمات الغزاة، كان موطن الجبلي عرضة للغزو والانتهاك، وكان الجبلي يدفع الثمن غالباً، إما بأن يكون مستنقراً على الدوام لا يهنأ بالأمن، وإما بأن يقع بين حين وآخر في قبضة الغزاة، وأعتقد أنه لو توحدت دول- المدن السومرية تحت لواء دولة مركزية واحدة، لما استطاع سرجون الأكادي قهرها واحتلالها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى دول- المدن اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد. ولو كانت الدويلات الكردية والإمارات الكردية (الحسنوية، والشدادية، والروادية، والروانية)، في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، متوحدّة في إطار دولة مركزية واحدة، لما استطاع الغزاة السلاجقة إسقاطها واحدة تلو الأخرى.

٦ - إن عزلة الجبلي، ونزوعه إلى التفرد، ونفوره من الخضوع للأنظمة المركزية، وقناعته بالحد الأدنى من ضرورات الحياة، للاحتفاظ بدولته العظمى المتمثلة فيه هو أو في قبيلته على أبعد تقدير؛ إن هذه المعطيات كانت من أكثر العوامل التي أبعدت الجبلي عن الانخراط في حركة الحضارة،

وأبقتة منعزلاً ومعزولاً إلى حد كبير، واقعاً تحت رحمة محتكري أدوات التمدن وآلياته، وأخصّ هنا بالقول أبناء الجبال القارية البعيدة عن البحار، كجبال كردستان، وجبال أفغانستان، أما أبناء البيئة الجبلية المتاخمة للبحار المفتوحة، كبلاد اليونان، فكانت البحار هي الجسر الذي تواصل الجبليون عبره مع مراكز الحضارة، وصاروا مساهمين في إنتاجها.

٧ - إن إخلاد الجبلي إلى عزلته القصية، ونفوره من حكمة الحضارة الذين يأتون معهم في العادة بكثير من القيود، ويفرضون التنازل عن قدر غير قليل من الحرية، واعتداده الراسخ بأن رؤيته الحياتية هي الفضلى؛ كل ما سبق شكّ وساهم في أن تكون الشخصية الجبلية شديدة التمسك بالتقاليد، وأن يكون الجبلي صاحب ذهنية محافظة على صعيد القيم والسلوكيات والأزياء، بل لمست مراراً امتعاض الجبلي من مفاهيم التمدن والتحضّر، وطريقة حياة المتمدّنين، ويصل به الأمر أحياناً إلى درجة الاحتقار الصريح، وثمة أوجه شبه عديدة في هذا الجانب بين الشخصية الجبلية والشخصية البدوية.

ودعونا نستعرض أخيراً بعض آراء لوسيان فيقر بشأن الشخصية

الجبلية، إنه يقول: «الجبلي ذلك المخلوق المجرد المثالي العالي، الإنسان المحدود الأفق بالضرورة، لوجود عائق جبلي يفصل بينه وبين حيرانه، العبد الخاضع منذ ولادته للتقاليد، المحافظ الذي يرتبط بالماضي بأواصر قوية، حامي حمى التراث المادي والثقافي الذي تركه الأقدمون؛ إذ إنه لا يوجد جديد يثير فيه أي رغبة في التغيير، أدوات قديمة، ملابس تقليدية، لغات قديمة، مذاهب دينية قديمة». (لوسيان فيقر: الأرض والتطور البشري، ص ٢٥٦). ويضيف لوسيان فيقر قائلاً: «الجبلي- من الناحية النظرية التجريدية- نشيط شريف، يحيا حياة صحية داخل نطاق الأسرة الأبوية، ويرتبط بها ارتباطاً قوياً، دؤوب على العمل لا يملّ، خشن يتحمل المشاق، لا يعرف الترف، ولا تهمّه الراحة، ينقطع إلى عمله في غير كلال، منافس خطير لأهل السهول. ومن ناحية أخرى فلا هو عالم ولا هو فذّان، فالبينة أقسى من أن تنجب مثل هذه العبقريات، ولكننا نلاحظ أن سكان الابنين من نفس العنصر الذي يتكون منه التوسكانيون، ومع ذلك فهناك عبقريّة في الابنين وخشونة في التوسكانيين». (لوسيان فيقر: الأرض والتطور البشري، ص ٢٥٦).

المراجع

١. باسيلي نيكيتين: الكرد، ترجمة الدكتور نوري طالباني، دار الساقى، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١.
٢. الدكتور جمال أحمد رشيد: ظهور الكورد في التاريخ، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، كردستان العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.
٣. جوناثان راندل: أمة في شقاق (دروب كردستان كما سلكتها)، ترجمة فادي حمّود، دار النهار، بيروت، ١٩٩٧.
٤. دانا آدمز شميدت: رحلة إلى رجال شجعان في كردستان، تعريب جرجيس فتح الله المحامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٠.
٥. الدكتور سامي سعيد الأحمد: السومريون وتراثهم الحضاري، منشورات الجمعية التاريخية العراقية، بغداد، ١٩٧٥.
٦. ليدي درور: طاووس ملك اليزيدية، ترجمة رزق الله بطرس، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.
٧. الدكتور محمد بيّومي مهران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.
٨. مُنذر الموصلي: عرب وأكراد، مطبعة دار العلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩١.
٩. مينورسكي: الأكراد، ترجمة معروف خزنده دار، بغداد، ١٩٦٨.
- 10 - Susan Meiselas: Kurdistan In the Shadow of History, Random House, New York, 1997.
- 11 - Mehdad R. Izady: The Kurds; a concise handbook, Crane Russak, Washington, Philadelphia, London, 1992.
١٠. أفتسا، إعداد الدكتور خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
١١. ب. كومان: الأساطير الإغريقية والرومانية، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.
١٢. بُونْغَارْد - ليفين (إشراف): الجديد حول الشرق القديم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٨.
١٣. جرنوت فلهلم: الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.
١٤. جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، جامعة الموصل، ١٩٨٦.
١٥. دونالد جوهانسون، بليك إدغار: من مرحلة لوسي إلى مرحلة اللغة، ترجمة إياد ملحم، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٥.
١٦. دياكونوف: ميديا، ترجمة وهبة شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق.
١٧. سبتينوموسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦.
١٨. صمويل كريم: من ألواح سومر، ترجمة الأستاذ طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد، ومؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠.
١٩. الأستاذ طه باقر، الدكتور فوزي رشيد، الأستاذ رضا جواد هاشم: تاريخ إيران القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٩.
٢٠. الدكتور محمد بيّومي مهران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.
٢١. نوري إسماعيل: الديانة الزردشتية، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ١٩٩٩.
٢٢. ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدّران، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨، المجلد الأول.
٢٣. أرنولد توينبي، ودايساكو

- إكيدا: التحديات الكبرى، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩.
٢٤. أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشية)، إعداد الدكتور خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
٢٥. البلاذري: فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.
٢٦. الدكتور توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.
٢٧. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٩٩٦.
٢٨. دونالد جوهانسون وبليك إدغار: من مرحلة لوسي إلى مرحلة اللغة، ترجمة إياد ملحم، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٥.
٢٩. سبتينوموسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦.
٣٠. صمويل كريمير: من ألواح سومر، ترجمة الأستاذ طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد، ومؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠.
٣١. أبو الفداء: تقويم البلدان، تحقيق رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠.
٣٢. القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
٣٣. لوسيان فيشر: الأرض والتطور البشري، ترجمة الدكتور محمد السيد غلاب، دار المطبوعات الجديدة، القاهرة، ١٩٧٣.
٣٤. الدكتور محمد بيومي مهّـران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.
٣٥. الهَمَذاني (رشيد الدين): جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداي، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٣٦. ياقوت الحمّـوي: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.
37. Mehdad Izady: The Kurds; a concise handbook, Crane Russak, Washington, Philadelphia, London, 1992.

الموقع الجغرافي لاقليم كردستان العراق واثره في تكوينه القومي (الاثني)

فيروز حسن حمه عزيز - شيروان عمر رشيد

جامعة السليمانية - كلية العلوم الانسانية

تمهيد:

التكوين القومي لأي اقليم جغرافي او لأية وحدة سياسية كغيره من المكونات الجغرافية البشرية لذلك الأقليم او الوحدة السياسية، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمقومات جغرافيتهما الطبيعية. فالموقع الجغرافي لأي اقليم كغيره من مكونات جغرافيته الطبيعية كالطوبوغرافيا والمناخ يؤثر تأثيراً واضحاً وعميقاً على شخصية الاقليم القومية و تركيبته الاثنية.

ويأتي عامل الموقع الجغرافي في مقدمة عوامل الجغرافية الطبيعية المؤثرة على جوانب هامة من جغرافية الاقليم البشرية، فالمواقع الجغرافية المركزية التي تتوسط بيئات جغرافية متباينة هي في معظم الحالات مواقع تجتذب اليها

السكان من اصول واعراق متباينة، الأمر الذي يحول مثل هذه المواقع المركزية الى بيئات جغرافية يسودها غالباً نوع من التعقيد والتنوع الاثني، و اقليم كردستان العراق يشكل مثلاً واضحاً لمثل هذه المواقع المركزية التي تتوسط بيئات جغرافية متباينة تسودها قوميات واعراق ذات جذور مختلفة. ويحاول هذا البحث ابراز الأثر الذي تركه الموقع الجغرافي لاقليم كردستان العراق على تركيبته القومية. والواقع ان اي بحث جغرافي رصين لا يمكنه ان يغفل اهمية العوامل الجغرافية الأخرى كالطوبوغرافيا والمناخ والموارد الطبيعية التي ساهمت بدورها في خلق الشخصية القومية لهذا الاقليم خلال المراحل التاريخية المختلفة. فالمعروف تاريخياً انه منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد كانت المناطق المجاورة لما اصبح يعرف ببلاد الكرد - كردستان- في المراحل التالية، مسرحاً لنشاطات المجموعات البشرية المعروفة بمجموعة الشعوب الآرية، والتي اصبحت تعرف منذ اواخر القرن التاسع عشر بالشعوب الهندو - اوروبية Indo - European^(١)، والتي كانت سبباً في تطبيع مناطق شاسعة من الأراضي التي تقع بين هضبة ارمينيا وجبال قفقاسيا من الشمال وهضبة ايران والاناطول من الشرق والغرب وميسوبوتاميا من الجنوب بطابع الشعوب الآرية، وذلك منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن. (راجع الخارطة رقم ١ بشأن المواطن الافتراضية الأولى للشعوب الآرية). وبغية التعرف

اضافةً الى أجزاءٍ محدودة من شمال شرق سورية.

فأقلّيم كردستان العراق يقع جغرافياً الى الغرب من المحافظات الشمالية الغربية من ايران والتي تسكنها أغلبية كوردية واضحة من جهةٍ، والى الجنوب من المحافظات الجنوبية الشرقية لتركيا والتي تسكنها أغلبية كردية من جهةٍ اخرى.

كما أن هذا الاقليم يتاخم في معظم أجزائه من الغرب مناطق من الزاوية الشمالية الشرقية من سورية والتي تسكنها أكثرية كردية.

في عملية خلق الشخصية القومية المتميزة لأقلّيم كردستان العراق. الأمر الذي جعلت من هذه الدراسة تركيزاً كثيراً على اثر هذا العامل.

الموقع الجغرافي لأقلّيم كردستان العراق:

ان اقلّيم كردستان العراق من حيث المبدأ يشكل جزءاً لا يتجزء من كردستان الكبرى التي تحتل أجزاءً واسعة من جنوب شرق هضبة الاناضول وأجزاء من شمال غرب هضبة ايران مع كامل المنطقة الشمالية من العراق،

على مدى الأثر الذي تركه عامل المناخ والموارد الطبيعية لهذا الاقليم على تركيبة الاقليم الاثنية، يكفي ان نشير الى نتائج الأبحاث والتحليلات المتباينة التي تناولت الظروف والملابسات التي تتعلق ب بدايات هجرة الشعوب الآرية واتجاهاتها^(١).

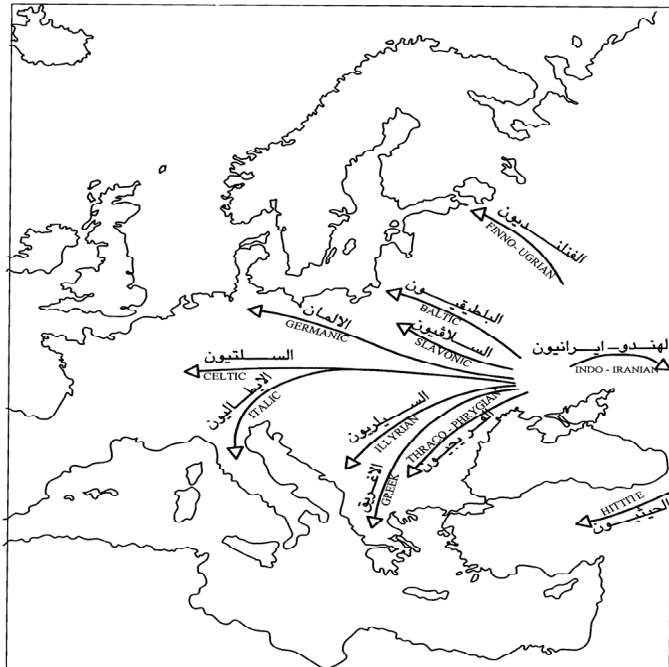
فمن خلال البحوث التي اجراها المؤرخون حول الأساطير والملاحم الهندية، توصل هؤلاء المؤرخين الى ان المجموعات الهندو اوروبية خلال المراحل الأولى من هجرتها كانت حريصة على ان تستقر في المناطق التي تتمتع بمناخ معتدل ومراعي وغابات وفيرة^(٢).

ومما لاشك فيه ان اقليم كردستان كان من بين المناطق التي توفرت فيه مثل هذه الظروف المناخية والطوبوغرافية والتي جعلت منه منطقة مناسبة لاستقرار تلك الشعوب، وبذلك تحولت جبال كردستان ووديانها وسهولها ومراتعها الى هدف تتجه اليه الشعوب الهندو اوروبية منذ اوائل العصور التاريخية وتفضلها على غيرها من البيئات الحارة والجافة في بادية الشام او في ارض الجزيرة او صحارى وسط وجنوبي هضبة ايران.

وفي كل الحالات يبقى عامل الموقع الجغرافي العامل الأول المؤثر

الخارطة رقم - 1 -

وطن الاصلي الافتراضي للشعوب الهندو - اوروبية وفقاً لنظرية urgan



المصدر:

1- <http://www.geocities.com/indo-european-geography>

الموقع الفلكي

لاقليم كردستان العراق

أما فيما يتعلق بالموقع الفلكي لأقليم كردستان العراق فإنه يحتمل الكثير من الاختلاف بين الباحثين في حدوده الجنوبية، وذلك لعدم وجود حدود دولية معترف بها في نهايتها الجنوبية. وعلى الرغم من اختلاف الباحثين على تفاصيل وجزئيات هذه الحدود الجنوبية، فإن هناك شبه اجماع بين الباحثين على اعتبار مرتفعات حمير كجزء أساسي من حدود اقليم كردستان الجنوبية الى الشرق من نهر دجلة وحتى الحدود الدولية المشتركة بين العراق وايران.

بصورة عامة يمكن اعتبار دائرتي عرض (34° - 37°) شمالاً وخطي طول (41° - 46°) شرقاً على أنها، مع وجود هامش محدود من الاختلاف، تمثل أقصى امتدادات حدود الاقليم، وفقاً لمعظم الآراء والاجتهادات^(٤). (انظر خارطة رقم ٢).

اهمية الموقع الجغرافي
لاقليم كردستان:

يحتل اقليم كردستان العراق موقعاً استراتيجياً ومركزياً من الدول والمراكز الحضارية الرئيسية التي ظهرت شرقي البحر المتوسط

منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن، وقد ترك هذا الموقع الجغرافي أثراً واضحاً على التركيب الأثني لهذا الاقليم.

فهذا الاقليم يربط هضبتي ايران والأناضول واقليم بلاد الشام بسهول ميسوبوتاميا، وهي جميعاً بيئات كانت تشكل مراكز حضارية عريقة. فاقليم كردستان يرتبط في زاويته الشمالية الشرقية باقليم آذربيجان الغربية، والذي يشكل امتداداً لهضبة ايران، والذي يعد موطناً للميديين وموطناً لزراذشت، وفي وديانه الخصبة استوطنت العديد من الأقوام التاريخية في ايران وعلى رأسها الميديون والفرس والكرد وغيرهم^(٥).

ويرتبط هذا الاقليم في حدوده

الشمالية بالمناطق الجنوبية الشرقية لهضبة الأناضول والتي كانت موطناً للحموريين الذين ظهرت منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد كمجموعة بشرية وحضارية متميزة في منطقة واسعة من شرقي الأناضول والتي تمتد من جبال طوروس بالقرب من جرابلس (طرطمش القديمة) الى بحيرة ((وان))، وقد استعمل الحموريون الخط المسماري في كتابة لغتهم، وهي لغة متميزة عن مجموعة اللغات السامية وعن مجموعة اللغات الهندو - اوروبية، ولكنها لغة قريبة من الاوراراتية اي لغة ارمينيا القديمة. اما في الغربية فان اقليم كردستان يرتبط بالأجزاء الشمالية من



١ Microsoft © Encarta © Reference Library 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation.
٢ فروز حسن عزيز. الاهمية الجيوسياسية لكوندستان الجنوبية وانعكاساتها على السياسة البريطانية تجاهها، 1914-1924 مركز كوندستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، 2008 ص 121

زاكروس منذ النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، وكانت من بين تلك المجموعات المهاجرة والمتجهة نحو هذه الجبال اعداداً كبيرة من الميديين والفرس والسكاثيين Scythians والساكاريين Sagarthian والذين من اسمهم اشتق اسم زاكروس - وبحلول القرن الثالث قبل الميلاد كانت جميع اقسام جبال زاكروس قد اصبحت مسكونة بالمجموعات الهندو - اوربية (الآرية) هذه، وبصورة كاملة^(٨).

ويعزو العديد من الباحثين هذه الهجرة الواسعة للشعوب الهندو - اوربية الى كونها مجموعات رعوية تعيش على تربية الماشية بالدرجة الأولى، وكانت مناطق السهوب في شرق اوربا وآسيا (ومنها طبعا مناطق جبال زاكروس وطوروس) من بين اكثر المناطق ملائمة لتلك المجموعات. ذلك لأن مناطق وسط وغرب اوربا كانت مغطاة بالغابات مما جعلها غير مناسبة لرعي قطعان الماشية. وهناك العديد من الأدلة الأركيولوجية والجغرافية واللغوية التي تشير الى وجود حركة بطيئة من هجرة احدى المجموعات الرئيسية من هذه الشعوب تعرف بجناح المجموعة الأناضولية والتي استمرت في هجرتها خلال الفترة

الجغرافي في كثرة اجناسه وعقائده حتى اعتبره بعض الباحثين (متحفاً اثنوكرافياً)^(٩)، وذلك لتعدد قومياته واديانه ومذاهبه.

ان مثل هذا الموقع المركزي لاقليم كردستان بين بيئات جغرافية متباينة قد ترك آثاراً واضحة على التكوين القومي والديني والمذهبي لهذا الاقليم، وجعل منه اقليماً متعدد الألوان وكأنه فسيفساء بشري، وذلك على الرغم من سيادة العنصر الكردي على تركيبته الأثنية.

الخلفية التاريخية لمراحل تطور التركيب القومي لهذا الاقليم:

ان التركيب القومي لأي اقليم جغرافي لا يظهر خلال فترة قصيرة، بل يعود الى اوضاع وظروف تاريخية تمر بالاقليم ولقرون عديدة، فالتركيب القومي لأي اقليم او دولة إنما هو نتاج سلسلة معقدة من عمليات الهجرة والتهجير والطرده والاستقرار والاحتلال والتطهير العرقي Ethnic Cleansing التي مارسها المجموعات البشرية بعضها ضد البعض الآخر، منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الآن. فطبقاً للعديد من المصادر التاريخية فان سيلاً جارفاً من القبائل الهندو - اوربية (الآرية) بدأت تغزو معظم اقسام جبال

بلاد الشام والتي كانت مركزاً للميتانيين، وهم ايضاً كانوا من الأقوام الهندو - اوربية وكان مركز حكمهم يقع في وادي الخابور (خابور الفرات) ووادي البليخ^(١٠)، ولكون هذه المجموعات قريبة من اقليم كردستان ولأن مناطق سكانها ترتبط باقليم كردستان من خلال العديد من المسالك والممرات الجبلية، فانها لابد وان كانت لهاتين المجموعتين اتصالات حضارية متنوعة بسكان اقليم كردستان وانهما تركتا تأثيرات مختلفة على التركيب الأثني لسكان هذا الاقليم، وذلك منذ بدايات العصور التاريخية.

ويقع اقليم كردستان العراق بين منطقتي الجبال والمرتفعات العالية في الشمال والشرق وبين سهول الرافدين وامتدادات هضبة بلاد العرب من الجنوب و الغرب، الأمر الذي جعله منذ اقدم العصور التاريخية، جسراً للأقوام الغازية، وملتقى الأقوام والجماعات الوافدة اليها من جميع هذه الاتجاهات للاستقرار على ارضه واقامة المستوطنات عليها، مستفيدين من وفرة مياهه وملاءمة مناخه، وخصوصية تربته، لذلك ظهرت الكثير من الطوائف الدينية والشعوب والقوميات المختلفة في هذا الاقليم مما تعكس دور موقعه

(٢٥٠٠ - ٥٠٠) قبل الميلاد ومنها بالطبع تلك المجموعات التي استقرت شمالي ميسوبوتاميا (اقليم كردستان العراق حالياً). وتشير الوثائق المدونة باللغة الحيثية الى ان اللغات السومرية والهورية والاورارتية قد تركت آثاراً عميقة على لغات السكان لمناطق شمال ميسوبوتاميا وشرقي آسيا الصغرى. غير انه لا يلاحظ وجود اية آثار لتلك اللغات التي كانت تتكلم بها مجموعة الشعوب المعروفة بالشرق الأوسطية^(٩).

ان التركيب اللغوي لسكان اقليم كردستان إن هو الاتحصيل حاصل للتركيب القومي لسكان هذا الاقليم، وذلك يعني بأن تلك الشعوب التي ذكرت اعلاه وغيرها كالتوتيين واللوبيين والميتانيين وغيرهم وصولاً حتى الميديين^(١٠)، والتي تحسب جميعاً ضمن الشعوب الهندو اوروبية، كانت في مرحلة من مراحل تطورها السياسي والاجتماعي تستقر في اجزاء من اقليم كردستان و تركت آثاراً على لغة سكان الاقليم وعلى تركيبهم الأثني.

ان ظهور واستقرار الشعوب الهندو - اوروبية في منطقة جبال زاكروس بما فيها اقليم كردستان العراق، منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن، وبقاء المجموعة الكردية ذات الأصول الهندو -

اوربية كالمجموعة السكانية الأولى من حيث الحجم، يعود بالدرجة الأولى الى عامل الموقع الجغرافي.

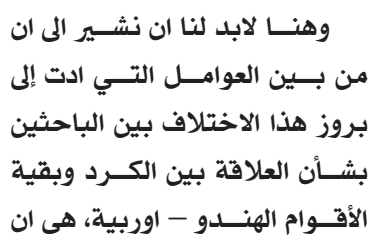
فطبقاً لأحدث النظريات المتعلقة بهجرة الأقوام الهندو - اوروبية فان الموطن الأصلي لهذه الأقوام كانت تنحصر في المنطقة الجبلية الواقعة بين المرتفعات التي تقع الى الشمال الشرقي من اقليم كردستان والشمال الغربي من هضبة ايران والأجزاء الجنوبية الغربية من بحر قزوين والى الشرق من هضبة الأناضول. (انظر الخارطة رقم ٣).

فهذه النظرية التي تعرف بنظرية الأناضول Anatolian Theory، ترى بأن البعض من الهندو - اوربيين قد عاشوا في الأناضول ومايجاورها شرقاً قبل ١٠,٠٠٠ سنة^(١١)، ومنها انتقلوا غرباً (نحو اليونان) كما اتجه البعض الآخر منهم نحو الشرق والشمال واواسط آسيا والهند وهضبة ايران وشمال ميسوبوتاميا (اقليم كردستان) واواسط اوربا، وذلك بالالتفاف حول السواحل الشرقية لبحر قزوين^(١٢). (انظر الخارطة رقم ٣).

واذا صحت هذه النظرية فان هجرة الأقوام الهندو - اوروبية الى شمالي ميسوبوتاميا (اقليم كردستان العراق) وعلى شكل

موجات مختلفة ومتتالية تبدو امراً مفهوماً منذ اقدم العصور التاريخية وربما منذ عصور ما قبل التاريخ، وذلك لأن اقليم كردستان ومعها ايضاً كردستان الكبرى - واستناداً على هذه النظرية - تقع على مرمى حجر من الموطن الأصلي للشعوب الهندو - اوروبية، وهذا ما يفسر لنا الأعداد الكبيرة من تلك الأقوام التي استقرت شمالي ميسوبوتاميا كما تشير اليها العديد من الوثائق المسمارية التي تعود الى السومريين والأكديين والبابليين (العومريين) والآشوريين والحيثيين وغيرها. كما يفسر هذا ايضاً ما سبقت الإشارة اليه من ان اقليم كردستان قد اصبح يتمتع بسيادة الأقوام الهندو - اوروبية منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن.

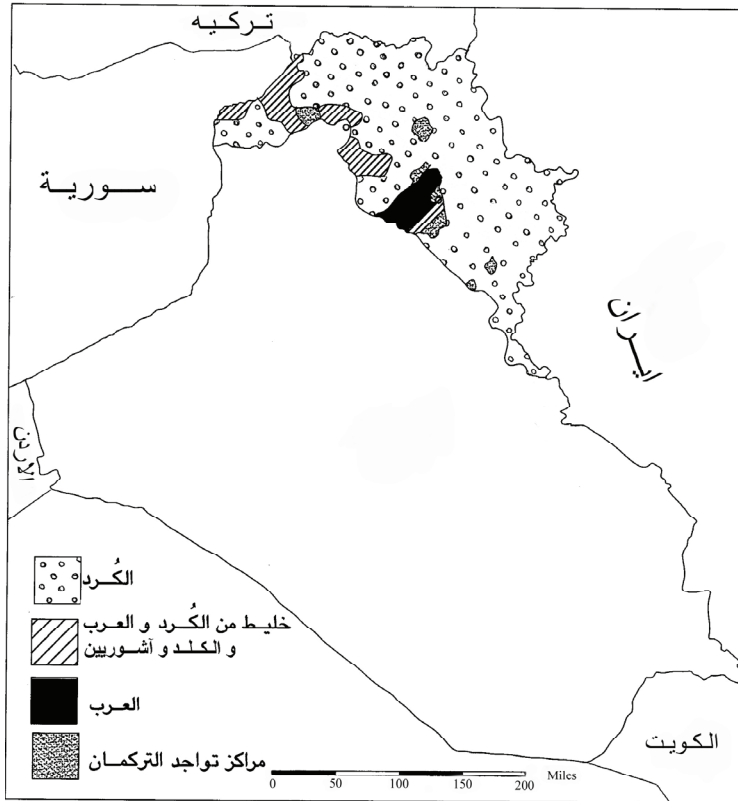
والواقع ان هذه النظرية لهجرة الأقوام الهندو - اوروبية (الآرية) تخالف كثيراً النظرية القديمة لهجرة هذه الأقوام والمعروفة بنظرية كوركان Kurgan، والتي تتخذ من شرق اوربا وشمالي البحر الأسود موطناً أصلياً لظهور الشعوب الهندو - اوروبية والتي توجهت من ذلك الموطن نحو جميع مناطق وسط وغرب اوربا وآسيا ايضاً^(١٣). (راجع الخارطة رقم ١).



التميز جغرافياً، فان بإمكاننا
القول بان المجموعة التركمانية
هي المجموعة الأثنية الثانية بعد
المجموعة الكردية من حيث العدد.
عاش الاتراك منذ العصور
القديمة فوق سهول سيبيريا
الشمالية الواسعة والبادى القائمة

الخارطة رقم - 4

التركيب القومي (الأثني) لسكان اقليم كردستان العراق



المصادر:

نظمت الخارطة باعتماد على:

1 - www.lib.utexas.edu

2 - www.pbs.org

وهذا ما سيتضح من خلال معالجة
البحث لهذه المكونات الأثنية وعلى
النحو التالي:
بين بحر الخزر (قزوين) وجبال
آلتاي، وهم ينتمون الى جماعة
عرقية ولغوية متميزة تعرف لدى

الاقليم والتي تضرب بجذورها
عميقة داخل هذا الاقليم، وذلك
ما يفسر لنا بقائها في هذا الاقليم
وكذلك في الاقاليم المجاورة عبر
الحدود الدولية، على الرغم مما
تعرضت لها من محاولات للتطهير
العرقي والابادة الجماعية منذ
ايام الاشوريين على الاقل وحتى
آواخر القرن العشرين.

ولإلقاء نظرة فاحصة على
خارطة التركيب الأثني لاقليم
كردستان كافية للخروج بنتيجة
مؤداه: انه باستثناء الاطراف
الهامشية لجنوب اقليم كردستان
والتي تسود فيها المجموعة العربية،
فان بقية اجزاء الاقليم التي تعد
تاريخياً وطناً للكرد، هي مناطق
يسود فيها الكرد كما مر ذكره،
وذلك فيما عدا بعض الجيوب
الصغيرة او الأسافين الضيقة التي
تسكنها المجموعة التركمانية او
الأقلية الكلدو - آشورية والتي
ستأتي البحث على ذكرها. (راجع
الخارطة رقم ٥ الخاصة بالتركيب
الأثني لسكان الاقليم).

واذا ما اعتبرنا الخارطة المتداولة
لاقليم كردستان والمعتمدة لدى
حكومة كردستان الاقليمية على
انها الخارطة المعترف بها رسمياً
والتي تسري عليها احكام حكومة
كردستان الاقليمية على انها فعلاً
الخارطة التي تمثل هذا الاقليم

علماء الأنثروبولوجيا باسم المجموعة الطورانية^(١٥)، أو المغولية.

ان ظهور هذه المجموعة الاثنية في هذه المنطقة عموماً تعود الى النصف الأول من القرن التاسع الميلادي (٨٣٠ - ٨٤٠م) اي الى ايام خلافة المعتصم (٨٣٣ - ٨٤٢م). غير ان الأتراك لم يتمكنوا من بلوغ سلطة قوية في ولاية الموصل (اقليم كردستان) ايام الخلفاء العباسيين الا بعد جيلين من هذا التاريخ. ففي سنة ١٠٥٦ تمكن الزعيم التركي أرطغرل بك حفيد سلجوق من الاستيلاء على مدينة الموصل^(١٦).

واعتماداً على المعتصم بالله العباسي على هذا العنصر الجديد قد جاء نتيجة لاحتدام الصراع بين العرب من جهة، وبين الفرس الذين حظوا بدعم الخليفة المأمون بعد وفاة الرشيد من جهة أخرى. وقد حمل ذلك المعتصم على أن يوكل أمر سلامته الشخصية الى فرقة من الموالى بعضها من البربر وغالبيتها من الأتراك الذين جاءوا من بلاد ماوراء النهر، او عن طريق النخاسة او على سبيل الجزية يؤديها الامراء المحليون الى خزانة الدولة الاسلامية. وبمرور الزمان تفاقم خطر هذه المجموعة البشرية الجديدة على مصير الدولة العباسية، وقد حذر ابن سعد

المعتصم من خطر هذا العنصر الدخيل عندما ذكره بنبوءة على لسان احد الصحابة مقادها: (ان الأتراك سيردون العرب في يوم من الايام الى بواديهم)^(١٧).

وتشير بعض المصادر التاريخية الى ان اول دخول للأتراك الى العراق يعود الى سنة ٥٤هـ، حيث اختار والى خراسان عبيدالله بن زياد ألفى مقاتل من الأتراك وبعث بهم الى العراق واسكنهم البصرة، كما شاركوا في جيش أبو مسلم الخراساني اثناء زحفه للسيطرة على العراق عام ١٣٢هـ^(١٨)، والقضاء نهائياً على الدولة الاموية.

بينما تشير مصادر تاريخية أخرى الى ان اول ظهور للأتراك في العراق، تعود الى ايام والى الاموى الحجاج بن يوسف الثقفي (٦٩٢م) الذى اسكن الترك في الجبال التي تسيطر على الاراضى الصحراوية. وقيل أنه اسكنهم في بدره. و اشار الطبري الى ان القائد الاموي عبيدالله بن زياد قد اختار القين من رماة السهام من الأتراك المهرة بعد انتصاره على الملكة ((قبيج خاتون)) اثر معارك طاحنة في بخارى وبيكند، واسكنهم في بصرة وثلاثة الاف آخرين اسكنهم في المدائن^(١٩).

اما بالنسبة للتوزيع الجغرافي الحال للمجموعة التركمانية في

اقليم كردستان فانه هو الآخر يختلف بحسب اراء المؤرخين بشأن تاريخ ظهور هذا التوزيع الجغرافي واسبابه.

فقد شخص المؤرخ العراقي المعروف عبدالرزاق الحسني حقيقة كون المناطق التي يسكنها التركمان في العراق، على انها تمثل الأراضي التي تفصل المنطقة الكردية عن المنطقة العربية. فالتركمان ينتشرون على طول خط ممتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، من تلعفر الى الغرب من الموصل، الى اربيل، وآلتون كوثر، وطوز خورماتو و قزلرباط (السعدية الحالية) ومنها الى مندلي، ويرى الحسني بأن هؤلاء كانوا من جملة القوات التي كانت في جيش السلطان مراد الرابع الذي استرد العراق من ايدي الصفويين سنة ١٦٣٨، وقد مكثوا في هذه البقاع للمحافظة على خط الاتصال بين الولايات التركية الجنوبية وولاياتهم الشمالية^(٢٠).

كما ان الباحث الاجتماعي حنا بطاطو يرى بأن التركمان قد استقروا في المنطقة البينية التي تقع على امتداد طريق البريد القديمة: بغداد - الموصل - استامبول، وهي شريط من المستوطنات التركمانية منها: تلعفر و دافوق و طوز خورماتو و قرقة تبة

و ألتون كوبرى و كبرى، التى تقع بين الهلال الجبلى الكردي في الشمال والمنطقة العربية في الجنوب^(٣١).

ان هذا الامتداد الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي الذي يتمشى مع الاتجاه العام لامتدادات سلاسل جبال زاكروس في اقليم كردستان والذي يسير مع الاتجاه العام للطريق العام القديم للنقل والاتصال والمعروف بالطريق الامبراطوري والذي كان يربط مابين هضبيتي ايران والآناضول ماراً بالأقسام الشمالية ليسوبوتاميا كانت تمثل انسب النقاط لمرور الاتصالات بين الهضبتين عبر اقليم كردستان والتي تسمح بها المنطقة الجبلية وشبه الجبلية الواقعة الى الشمال من هذا الخط والتي تشكل تضاريسها وطبيعتها الجبلية عائقاً في وجه تلك الاتصالات من جهة، ومن جهة اخرى فان الطبيعة الصحراوية للمناطق التي تقع الى الجنوب من هذا الخط هي الأخرى لاتمثل مناطق مناسبة لعبور خط رئيسي للاتصال بين الهضبتين لأنها تصبح طويلة جداً مقارنةً بالخط الذي يسير معه الطريق الامبراطوري ولأنه من جهة اخرى اما ان تقود تلك الاتصالات نحو وادي الفرات وذلك ماكان يجعل منه طريقاً طويلاً جداً، او في احسن الحالات كانت تقود تلك الاتصالات

الى الغرب من نهر دجلة وعبر ارض الجزيرة ذات الطبيعة الصحراوية. عليه فان امتداد مناطق استقرار المجموعة التركية في اقليم كردستان لايمكن تفسيره إلا على ضوء هذه الحقيقة المتمثلة بأن هؤلاء الأتراك انما تم اسكانهم على طول خط الاتصال الرئيسي الذي يربط هضبيتي ايران والآناضول وذلك كقوات تعمل على حماية هذا الطريق الهام والخطير وذو الأهمية الاستثنائية.

والواقع ان مسالك ارض آشور وامتدادها في القسم الشمالي من ارض الجزيرة، كانت افضل من مسالك نهر الفرات بالنسبة للتجار الذين يحملون قوافلهم على ظهور الحمير والبغال والخيول او في عربات تجرها هذه الحيوانات والثيران، وكان من الممكن حماية هذه المسالك من غارات البدو القادمين من المناطق الجبلية او من بدو الصحراء وذلك باقامة قوات عسكرية دائمة في حصون تقام على طول تلك المسالك وهذا مادفع بالسلاجقة لاقامة مثل هذه القلاع الثابتة على طول تلك الطرق. وكانت قوات تلك الحاميات من الأتراك سواءاً ايام السلاجقة ام العثمانيين^(٣٢). وهذا مما ادى الى استقرار المجموعة الأثنية الجديدة التي تنتمي الى المجموعة المغولية (الطورانية) او التركية في هذا الجزء من الاقليم.

لذلك فان الآراء التي تذهب الى القول بأن هذه المناطق التي يستقر فيها التركمان في الوقت الحاضر انما تمثل موطناً متصلاً للترك في اقليم كردستان اختاروها بملء ارادتهم لكونها مناطق ملائمة من حيث المناخ والتضاريس والموارد المائية، هي في الواقع آراء تخالف الحقائق التاريخية.

ففي الوقت الذي نجد فيه مناطق تركيز المجموعة التركمانية في الوقت الحاضر في بعض المدن والقصبات الكردية او في بعض المدن الصغيرة والقصبات الخاصة بهم، والتي تظهر على شكل جيوب او جزر في وسط انتشار كردي مكثف. (راجع الخارطة رقم ٤). فاننا نجد امثلة لادعاءات فارغة لاتمت الى الحقائق الجغرافية والتاريخية ولابواقع التوزيع الجغرافي لهذه المجموعة.

فعلى سبيل المثال للحصر يمكن الاشارة الى الخارطة التي يقدمها الباحث التركماني عزيز قادر الصمانجي، والتي تجعل من مدن كردية اصيلة كزاخو واربيل وكويسنجق وكركوك وجمجمال، وكفري وخانقين ومندلي وبدره على انها مدن تركمانية^(٣٣). (انظر الخارطة رقم ٥).

وهذا لايعني بأننا نغفل دور العوامل الجغرافية التي دفعت بالأتراك الى البقاء في تلك المناطق

البينية التي تفصل المجموعة العربية عن الكردية بشرياً، وتفصل المنطقة الجبلية وشبه الجبلية عن بقية مناطق السهول وارض الجزيرة طبيعياً. وعليه يمكن القول بأن التركمان في العراق كانوا كغيرهم من الشعوب والمجموعات التي تهجر مواطنها الأصلية فانها تميل الى الاستقرار في المناطق التي تشبه موطنها من حيث المناخ والطوبوغرافيا وغيرها. فالمستشرق الروسي بارتولد يرى بأن الترك يميلون الى الابتعاد عن الجبال الوعرة وعن القفار والبراري، ويميلون الى السكن في السهول الخصبة والمناطق المتموجة التي تتوفر فيها مصادر المياه^(٢٤).

الخارطة رقم 5
مناطق استقرار التركمان في اقليم كوردستان وفقاً لوجهة نظر تركمانية



المصدر: عزيز قادر النصمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق، دار الساقى، بدون ذكر لمكان الطبع أو تاريخه، ص 2

والخلاصة ان المجموعة التركمانية تشكل ثاني اكبر مجموعة اثنية بعد الكرد والتي تستقر في كردستان منذ مايزيد عن خمسة قرون، وهي تتركز في مدن وقرى وقصبات كردية او خاصة بها والتي تنتشر على طول شريط من الأراضي التي تشكل المناطق البينية التي تفصل المجموعتين العربية والكردية عن بعضهما، وتظهر مناطق سكنى الأتراك على شكل نطاق ضيق من الأراضي يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وعلى طول خط كان يمثل طريقاً للاتصال بين هضبتي ايران والأناضول في العصور الوسطى والمتأخرة، وهذا الشريط الضيق من الأرض شريط متقطع ومراكز استقرار الأتراك فيها عبارة عن جزر غير متصلة وبعيدة بعضها عن بعض وسط بحر من القرى و القصبات والمدن الكردية، وهي بذلك لايمكن ان تشكل أرضاً قومياً لهذه المجموعة غير الكردية.

٢- المجموعة الآشورية (الآثورية):

لم تكن المجموعات الهندو - اوربية (الآرية) والطورانية (المغولية) هي المجموعات الأثنية الوحيدة التي تركت مواطنها الأصلية وتوجهت نحو كردستان

واستقرت فيها، بل ان المجموعة المعروفة بالسامية كانت هي الأخرى من بين تلك المجموعات التي هاجرت الى كردستان، وهي مجذوبة بعامل موقعها الجغرافي وملاءمة مقومات جغرافيتها الطبيعية ولاسيما انماطها المناخية وتضاريسها الجبلية وسهولها الخصبة ومياهها الوفيرة، والتي جعلت الاقليم مناسباً للنشاط الزراعي وتربية الماشية ورعى قطعان الأغنام والماعز ومنذ العصور ما قبل التاريخ وحتى الآن.

والمجموعة السامية تتألف من الاقوام التي هاجرت من مهدها الاصلى في شبه جزيرة العرب، نتيجة للجفاف الذي بدأ يحل بهذه الجزيرة وامتداداتها في بلاد الشام منذ انتهاء آخر عصر جليدي قبل ٢٠٠٠٠ سنة^(٢٥).

وكان المستشرق الألماني Sholzer اول من استخدم هذا المصطلح عام ١٧٨١ لاطلاقه على المتكلمين بأحدى لغات العائلة السامية كالعربية والعبرانية والاكديّة والبابليّة والآشورية والكنعانية المتشابهة، ظناً منه بأن المتكلمين بها انما ينحدرون من نسل سام بن نوح^(٢٦).

اما وجهة تلك الاقوام في هجرتهم فكانت نحو المنطقة التي اطلق عليها المستشرقون

اسم الهلال الخصيب Fertile Crescent والتي منها مناطق واسعة من الحوض الاوسط لنهر الفرات وشمالى بلاد الشام^(٢٧). والتي هي مناطق متاخمة لاقليم كردستان، بل ولا يغالي اذا قلنا بان جزءاً اساسياً من اقليم كردستان يشكل قسماً هاماً من ذلك الهلال. وقد استقر البعض من شعوب هذه المجموعة في اجزاء واسعة من المنطقة التي تعرف اليوم باقليم كردستان، كالأشوريين منذ النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد، وكذلك العرب ولاسيما بعد ظهور الاسلام وانتشاره.

ان المجموعة الآشورية هي المجموعة الرئيسية ذات الاصول السامية والتي تتركز مع اشباهها من الكلدانيين في بعض المدن الرئيسية من اقليم كردستان ولاسيما في دهوك واربييل وكركوك والموصل^(٢٨)، وذلك اضافة الى تواجدتها في بعض المدن الصغيرة. في الجزء الغربي من اقليم كردستان ولاسيما تلك التي تقع الى الغرب من نهر الزاب الصغير. والمجموعة الآشورية تشترك مع الكلدان بالاضافة الى اصولها السامية في كونها تدين بالمسيحية. وقد تعرضت نسبتهم المئوية الى المجموع الكلي لسكان اقليم كردستان الى تآكل وتراجع رهيب وذلك منذ ان تسلم البعث

مقاليد الحكم في العراق في يوليو - تموز - ١٩٦٨ وما أعقب ذلك من ممارسات عنصرية ترمى الى تغليب العنصر العربي في كردستان وتحجيم المجموعات الاخرى غير العربية بما فيها هذه المجموعة بل والعمل على محوها في النهاية.

وبعد سقوط النظام في ابريل - نيسان ٢٠٠٣ تكالبت جميع عناصر قوى الشروا والتطرف الديني بما فيها ازلام النظام السابق، تكالبت على اباداة هذه الاقليات القومية غير العربية وغير المسلمة. مما نجم عنه هجرة المزيد من هذه الاقلية القومية والدينية، مما ادى الى انكماش وتقلص غير مسبوق لحجمها العددي في كردستان.

الخلفية التاريخية للمجموعة الاشورية:

ينتمي الآشوريون في اصلهم العرقي الى المجموعة السامية، وقد اقاموا لهم دويلة صغيرة في الحوض الأوسط لنهر دجلة تمتد شرقاً فيما بين مصب الزاب الصغير وبين منطقة الموصل الى منطقة السفوح الجبلية في شرق سهل اربيل، وذلك في المراحل الأولى من تأريخهم السياسي، ومما يمكن ملاحظته هو ان الآشوريين كانوا يختارون عواصمهم في الواقع التي تتحكم في طرق المواصلات، وانه كان

يوجد لديهم ميل عام في الانتقال بها نحو الشمال. والموقع الجغرافي لأرض آشور هو من اهم ماتنبغي ملاحظته لتفهم الدور الخطير الذي لعبه الآشوريون على مسرح التاريخ في الشرق الأوسط. فانها تقع من جهة بين الجبل وبين السهل، اي بين مناطق السهول والأخشاب والمعادن وبين مناطق الانتاج الزراعي. وهذا جعلها سوقاً طبيعياً لتبادل المنتجات بين الاقليمين اللذين يتميز كل منهما عن الآخر بثرواته، كما جعلها بؤرة تلتقي فيها عناصر حضارة كل منهما. وارض آشور تقع من جهة اخرى بين بعض اجزاء اليابس في الشرق الأوسط وبين ذراع من الماء هو نهر دجلة ممتد فيه. كما تتجه اليها انهار اخرى من جانب كردستان ومن جانب ارض الجزيرة. وفضلاً عن ذلك فان هذه الأرض تشكل مصداً تحول دون سير الاتصالات بين سهل العراق وهضبة ايران من جهة وبين عالم القسم الشمالي الشرقي لحوض البحر المتوسط من جهة اخرى^(٢٩).

والواقع ان اقليم كردستان بما يتمتع به من مزايا جغرافية ولاسيما مايتعلق بخصائص المناخ والطوئوطرافيا ومواردها المائية كل ذلك قد جعل من هذه المنطقة التي كانت حتى قبل قيام

الامبراطورية الآشورية، منطقة على جانب كبير من الجاذبية، فلعبت دوراً مهماً في تأريخ وادي الرافدين، وقد بقيت المنطقة الشمالية (الجبلية) من هذا الاقليم على الدوام حدوداً متنازعا عليها بين حكام وادي الرافدين وسكان الجبال الذين كانوا يتطلعون الى السيطرة على المناطق السهلية ذات الثروات الزراعية المزدهرة^(٣٠).

وهذا مايفسر لنا السبب الذي كان يدفع بالمجموعات البشرية الى الهجرة الى هذه المنطقة والاقامة فيها منذ عصور ما قبل التاريخ، والى هذا العامل يعزى ذلك التنوع القومي والتعقيد الديني الذي يتميز به هذا الاقليم^(٣١).

لعلنا لانغالي اذا قلنا بأن ظهور الدولة الآشورية كاحدى اقوى الامبراطوريات في هذا الجزء من الشرق الأوسط القديم فيما بين ٩١١ - ٦١٢ ق.م، كان في مقدمة الأسباب التي ساهمت الى حد بعيد في تعقيد التكوين الأثني لهذا الاقليم منذ العصور التاريخية.

ان استقرار الآشوريين في هذه المنطقة (اي في الجزء الأوسط من حوض نهر دجلة) لمدة طويلة تقارب الف سنة، بدءاً من اواخر الألف الثالث قبل الميلاد وحتى سقوطهم على يد تحالف ميدي - كلداني عام ٦١٢ قبل الميلاد^(٣٢)،

قد ساهم الى حدٍ كبير في توسيع عمليات خلط شعوب المنطقة وتعميق ابعادها.

وقد نجم ذلك عن سياسة التهجير القسري التي بدأ بممارستها بعض الملوك الآشوريين ضد سكان الأقاليم التي كانت تثور على سلطة الآشوريين بين فترةٍ وأخرى، وكانت سياسة التهجير هذه خطة عجيبة عملت على خلط شعوب الشرق الأدنى واحلت البؤس والشقاء في ربوعها، وكثيراً ما صوّرت تلك المشاهد المؤلمة في المنحوتات الآشورية، فكانت تلك الجموع المهجرة البائسة تعاني اقصى انواع الشقاء والعذاب وهي تساق مسافاتٍ طويلة مع شيوخها واطفالها ومرضاها^(٣٢).

وقد كان سكان ((زاموا)) وهي احدى المقاطعات القريبة من حدود الامبراطورية الآشورية والتي كانت تضم اجزاءً واسعة من محافظة السليمانية الحالية من بين المجموعات البشرية التي تعرضت لعمليات التهجير القسرية على يد الآشوريين، فقد اشارت السجلات التي تعود الى شلمنصر الثالث واخرى الى آشور ناصربال و سرجون الثاني الى حملاتهم على جبل ((كولار)) وهو جبل تاسلوحة الحالي والذي يقع فيه ممر بابيت - ممر تاسلوحة - الى

استيلائهم على مدينة بيروتو، وقد تضمنت مسلة شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) مشاهد وصور لعمليات التهجير الاجباري لسكان المدن التي استولى عليها هذا الملك في بلاد زاموا ولاسيما في مدن ((بيروتو))، و ((بوناسي)) و ((ايدي))^(٣٣).

وقد ذكر تجلا بليزار الثالث انه اخذ من الميديين ٦٥,٠٠٠ اسيراً وذلك من مناطق سكانهم في بلاد الماد، غربي هضبة ايران واسكنهم في منطقة دبال على طول حدود بلاد آشور، واسكن محلهم جماعات من الآراميين. وجاءت في الأخبار التي تعود الى الملك الآشوري سرجون الثاني، ان هذا الملك قد شن حملة ضد الأرمن، وانه قام بنفي احد حلفاء الملك الأرمني (روساس) يدعى دياكو وهو من قادة الميديين الى مدينة حماة في سوريا^(٣٤).

كما ان الملك الآشوري سرجون الثاني تمكن عام ٧١٠ ق.م من القضاء على دولة اسرائيل، وقام بنقل الكثير من سكانها اسرى، واسكنهم في بلاد ماذي (ميديا)^(٣٥). وربما كان يهود كردستان من ضمن هؤلاء اليهود الذين قام سرجون الآشوري بتهجيرهم الى هذه المناطق. وادخال اليهود الى كردستان منذ القرن الثامن قبل

الميلاد، كان يشكل ادخال عنصر جديد يختلف اثنيًا وحضاريًا ودينيًا عن سكان الاقليم ذات الأصول الهندو - اوربية، وستعود الدراسة الى هذه المجموعة لاحقاً. وتمثل الأمثلة السابقة ظاهرة سكانية اصبحت سائدة لعدة قرون من حكم الآشوريين وساعدت على جلب العديد من المجموعات البشرية الى اقليم كردستان، من المناطق المحيطة بالاقليم او القريبة منه ولاسيما من هضبي ايران والأناضول او من بلاد الشام وشرقي البحر المتوسط وشبه جزيرة العرب.

وحتى في مثل هذه الحالات فان اثر عامل الموقع الجغرافي كان واضحاً في سياسة خلط الأقوام والشعوب التي مارسها الآشوريون. ذلك لأنه ماكان بإمكان الآشوريين اقتلاع اعداد كبيرة من سكان المدن النائرة ضدهم سواءً في بلاد الماد او في مملكة اسرائيل او مملكة يهودا او في غيرها من الدويلات الآرامية والعمورية المنتشرة في بلاد الشام، ونقلها الى ارض آشور التي كانت تحتل قلب اقليم كردستان وترغمها على السكن في هذا الجزء من الاقليم او ذاك، مالم تكن المواطن الأصلية لتلك الجماعات المهجرة قريبة بعض الشيء من اقليم كردستان.

ان الآثار التي نجمت عن سياسة التهجير القسري الذي مارسها الآشوريون لم تكن آثاراً طارئة او عابرة، بل ظلت آثاراً دائمية ضرب بجذورها داخل ارض كردستان ولا تزال معالمها بادية على التركيبة الأثنية بل وحتى الدينية لسكان اقليم كردستان.

ذلك لأن نواة الدولة الآشورية وعواصمها الرئيسية نينوى وآشور ودور شروكين، وكالغ، وكانت تقع بالقرب من الحوض الأوسط لنهر دجلة وفيما بين مصب الزاب الصغير وبين منطقة الموصل مع السفوح الجبلية في شرق سهل اربيل^(٣٧). وتشكل جميعها الآن مناطق تحتل وسط اقليم كردستان. فكان طبيعياً ان ينعكس اي تغيير بشري يحدثه الآشوريون في التكوين البشري لسكان المناطق الخاضعة لهم، ان ينعكس بوضوح على التكوين البشري لسكان اقليم كردستان ولا سيما النصف الغربي من هذا الاقليم والذي كان يخضع لقبضة الآشوريين القوية. فالتنوع الأثني بدأ به الآشوريون ثم استمر لأسباب مختلفة وفي ظروف متباينة وحتى الان. وسيوضح ابعاد ومستويات ذلك التنوع من خلال تناولنا للمجموعات الأخرى والتي تمثل جزءاً من مكونات الأقاليم القومية.

٣- المجموعة العربية:

وهذه تمثل احدى المجموعات الأثنية المنسوبة الى المجموعة السامية والتي كانت تسكن اجزاءً من شبه جزيرة العرب منذ النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد. ففي احدى الحملات التأديبية التي قام بها آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧) قبل الميلاد، على قبائل البدو في البادية الغربية والذين كانوا من العرب، نجح آشور بانيبال في دحر ((ابي عاصي)) رئيس القبيلة المعروفة باسم ((بني قيدار)) والتي كانت احدى القبائل العربية التي ساندت ((شمش - شم - اوكين)) اخي آشور بانيبال الناصر ضده وذلك عام ٦٤٦ ق.م.

وجاءت في هذه الأخبار ان الآشوريين قد غنموا في هذه الحملة اعداداً كبيراً من الجمال والتي نقلت الى بلاد آشور، وصار الجمل يباع بأقل من شيقل واحد من الفضة، وحصل حتى العمال والصناع والعبيد على هدايا من الجمال^(٣٨).

اغلب الظن ان الاستيلاء على هذه الغنائم من القبائل العربية -والتي ربما تكون هذه اول اشارة ترد في وثيقة مسمارية الى العرب- وبهذه الأعداد الكبيرة، فانها لابد ان تكون مصحوبة بأعداد كبيرة من الأسرى ايضاً، واذا صحت هذه

الفريضة فان تلك الحملة التي شنها آشور بانيبال على القبائل العربية، كانت اول عملية ادت الى ادخال عناصر من المجموعة العربية الى اقليم كردستان.

ويبدو ان اول نزوح للقبائل العربية الى العراق يعود الى اوائل التأريخ الميلادي، واقدم هذه القبائل هي قضاة، تنوح، ربيعة، بكر وتغلب، وكانت تلك القبائل تسكن خلف الفرات أولاً، ولكنها واصلت تقدمها شرقاً باتجاه نهر دجلة في المراحل التالية^(٣٩).

اما سيل هجرة القبائل العربية باتجاه ارض الجزيرة والأطراف الجنوبية للمناطق شبه الجبلية من اقليم كردستان فلم تبدأ الا بعد الفتوحات الاسلامية اي منذ القرن السابع الميلادي (الأول الهجري)^(٤٠).

فرحف القبائل العربية عند الفتوحات الاسلامية قد ادى الى استقرار العرب في سنجار حسب رواية البلاذري. كما استقرت قبائل عربية أخرى كأباد وتغلب وغيرها في مدينة الموصل، في عهد الراشدين فقد استمرت عملية الهجرة والاستقرار في العصرين الأموي والعباسي، وقد نجم عن ذلك تعريب بعض المدن في هذا الاقليم كمدينة اربيل، فقد ذكر ياقوت الحموي ان اكثر اهالي اربيل

قد استعربوا، في اشارة الى غلبة الطابع العربي على تلك المدينة^(٤١)، وذلك في القرنين الخامس والسادس للهجرة.

والذي يهمننا من هذه الفتوحات هي وصول القبائل العربية الى مدينة الموصل عام ١٩٢٤ واطرافها والتي لاتزال تظهر على شكل جيب سكاني تمتد شمالاً داخل المناطق التي تغلب عليها المجموعة الكردية الى الشرق من تلعفر والى الغرب من مجرى نهر دجلة حتى التقائه برافده الزاب الكبير. (راجع الخارطة رقم ٤).

والذي يلاحظ في انتشار المجموعة العربية في الهوامش الجنوبية لاقليم كردستان، ان تلك المجموعة وحتى بعد قيام دولة العراق الحديثة بفترة مناسبة بقيت مستقرة على الضفاف الغربية لنهر دجلة، وذلك على طول المنطقة الممتدة في مدينة الموصل وحتى نقطة التقاء نهر دجلة برافده الزاب الصغير الى الشمال من بيجي.

وقد دفع هذا الواقع باللجنة التي شكلتها عصبة الأمم لدراسة مشكلة الموصل لكي تصل الى استنتاج مفاده: بأن نهر دجلة وحتى التقائه بالزاب الصغير وثم طريق كركوك - كفري المتجه جنوباً هو الخط الذي يفصل المجموعة الكردية عن

العربية، كما لاحظت اللجنة بأن الحلقة الوحيدة التي تربط مدينة الموصل مع الأراضي العربية التي يسكنها اناس مستقرون هي عن طريق الأراضي التي تسكنها اكثرية كردية، بواسطة طريق يكثُر فيه مدن تركية - كردية^(٤٢).

ان ماحدث من انتشار للمجموعة العربية داخل اراضي اقليم كردستان ومنذ الثلاثينات فصاعداً وحتى سقوط النظام في نيسان ٢٠٠٣، يمكن ان يندرج ضمن سياسة عنصرية تقوم على تهجير السكان الكرد الأصليين الساكنين حول حقول النفط في كركوك والموصل، والعمل على اسكان العرب مكان السكان الكرد المهجرين وفي النهاية تعريب اقليم كردستان تدريجياً.

ولذلك يمكن القول بأن القضية الكردية في العراق لم تعد قضية عنف او صراع داخلي، بل وتحولت الى تصفية شعب بأكمله، وذلك كترجمة حقيقية للأفكار العنصرية التي بدأت تجهر بها القوى العربية العنصرية منذ ايام عبدالكريم قاسم، والتي عبرت عنها احدى الصحف الصفراء المعروفة بصحيفة الثورة والتي نادى ((بوجوب صهر الكرد واذابتهم في بوتقة الأمة العربية والى استعمال القوة عند اللزوم لتنفيذ هذه السياسة))^(٤٣).

جغرافياً يمكن القول بأن بقاء انتشار المجموعة العربية منذ الفتوحات الاسلامية وحتى الربع الأول من القرن الماضي كان محصوراً بالمناطق الواقعة الى الغرب من نهر دجلة في معظمها، لايعود فقط الى عامل الموقع الجغرافي ذلك لأن عزوف المجموعة العربية عن عبور نهر دجلة الى ضفافه الشرقية والانتشار داخل اراضي كردستان قد يعزى الى مجموعة من العوامل منها مايمكن ان تكون اسباباً طبوغرافية اي احجام القبائل العربية عن الاقامة في مناطق جبلية وقد يقف عامل المناخ خلف ذلك الانتشار او قد يعود ذلك الى ان الكرد كانوا قد سبقوا العرب الى الاقامة والاستقرار في اقليم كردستان بقرون عديدة، لذلك لم يكن في مقدور القبائل العربية الوافدة ازاحة الكرد في مواطنهم ومراتعهم ومزارعهم، فاصبح مجرى نهر دجلة حداً فاصلاً بين المجموعتين في الجزء الأوسط من حوضه، مثلما اصبحت مرتفعات حميرين حداً طبيعياً يمثل اقصى امتداد للكرد جنوباً، كما تمثل هذه المرتفعات النهايات الشمالية للزحف العربي باتجاه اقليم كردستان والمنطقة المتموجة. ومما عقد من التركيب الأثني للاقليم هو ان نقاط التماس هذه تفصل

في منطقة الجزيرة وعلى ضفاف نهر الفرات كالهجرات الآشورية والآكدية والآرامية والكلدانية^(٤٧)، ومنها الى بعض المناطق المحيطة بالحوض الأوسط لنهر دجلة ولاسيما تلك المناطق التي تقع بين الزاب الأعلى والضفة الشرقية من نهر دجلة، وذلك بسبب من موقع كردستان المركزي من عدد من البيئات الجغرافية المتباينة تسكنها شعوب تنتمي الى اعراق اثنية مختلفة.

والى عهد قريب كانت هذه الأقليات الأثنية تستقر في معظمها في محافظة نينوى (التي تشمل محافظة دهوك ايضاً). ويتوزع الكلدان بصورة خاصة في القرى الواقعة على ضفة دجلة اليسرى (الضفة الشرقية) وهي القوش، وتل اسقف، وبرطلا وتلكيف، كما تنتشر مجموعات منهم ايضاً في افضية العمادية وعقرة وزاخو^(٤٨). اما فيما يتعلق بالتوزيع الجغرافي لليهود في كردستان واللذين دأب الكثير من الكتاب والرحالة على اعتبارهم مجموعة اثنية ايضاً (العبانيون) وليسوا فقط نحلة دينية، فان هذا التوزيع يختلف بعض الشيء عن توزيع المجموعات الأثنية المسيحية، فاليهود كانوا اوسع انتشاراً من الكلدان والآثوريين (الآشوريين)

ترك موطنها الأصلي في اورشليم، واجبرهم على السكن في بلاد الماد (كردستان) في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد (٧١٠ ق.م كما مر ذكره. وبعد هذا التأريخ بقرن ونصف تقريباً اي في عام ٥٨٥ ق.م تمكن نبوخذنصر الكلداني باحتلال اورشليم ونقل ٤٠,٠٠٠ يهودي كاسرى الى بابل^(٤٩). وليس هناك ما يشير الى ان اي من هؤلاء اليهود قد انتقل الى كردستان.

ويشير عدد من الكتاب اليهود الى ان اقليم كردستان كانت توفر الملجأ لبقايا اليهود في الأوقات الصعبة، وتؤكد هذه المصادر على ان اليهود قد انجذبوا الى مستوطنات معينة في كردستان، بسبب اهميتها كمراكز تجارية، ومن المحتمل جداً ان تكون العوامل السياسية قد لعبت دوراً رئيسياً في انتشار اليهود في كردستان^(٥٠). وانجذاب اليهود الى كردستان لممارسة النشاط التجاري يمكن ان يعزى الى عامل الموقع الجغرافي المتميز لكردستان^(٥١). كما يمكن ان يعزى الى توفير الملاذ الآمن لليهود في كردستان في الأوقات الصعبة الى عامل الطوبوغرافيا. وباختصار شديد يمكن القول بأنه منذ الألف الثاني قبل الميلاد توجهت هجرات سامية مستمرة تدخل العراق بمافيها كردستان، من الغرب والشمال الغربي وتتوطن

بين المجموعة الكردية ذات الجذور العميقة التي تمتد الى الألف الثالث قبل الميلاد، والمجموعة العربية التي اجتاحت تلك المناطق اثناء وبعد الفتوحات الإسلامية، قد تم تحصينها وضخها بمجموعة اثنية ثالثة هي المجموعة التركمانية ذات الأصول المغولية او (الطورانية) وذلك على يد الأتراك السلاجقة والعثمانيين وذلك منذ القرن الثاني عشر الميلادي، كما مر ذكره.

٤- الأقليات القومية الأخرى غير مسلمة (اليهود و الأرمن):

وهذه تشمل على عدد من المجموعات الأثنية المتباينة والتي تدين بالمسيحية، والبعض من هذه المجموعات ترجع الى اصول سامية كالأشوريين (الآثوريين) والكلدان، ومنها ما ترجع الى اصول هندو - اوربية كالأرمن والذين كانوا يتواجدون في اقليم كردستان وان بأعداد قليلة في بعض المراحل التاريخية.

اما اليهود الذين يمثلون مجموعة دينية متميزة عن النصارى والمسلمين فانهم يمكن اعتبارهم على انهم يمثلون مجموعة اثنية خاصة ذات اصول سامية.

كان سرجون الثاني (الآشوري) هو اول من ارغم اليهود على

الذين كانوا يتركزون عادةً في مدن كردستان الرئيسة، كأربيل وكركوك والموصل والسليمانية. هذا مانستشفه من كتابات الرحالة من امثال ريش وتاظرينية وغيرهم، او من تقارير وكتابات الضباط السياسيين البريطانيين مثل الميجرسون وادموندز ولونطريك ونويل وغيرهم.

فطبقاً لدراسة ديموغرافية اجراها ابراهم بن يعكوف وهو باحث يهودي وذلك قبل قيام اسرائيل عام ١٩٤٨، فان اليهود في اقليم كردستان العراق كانوا قبل انتقالهم الى اسرائيل يستقرون في ١٤٦ تجمعاً سكنياً من اصل ١٨٧ تجمع يهودي في كردستان الكبرى، منها ١٩ تجمعاً في كردستان ايران، و ١١ تجمعاً في تركيا و ١١ تجمعاً في سوريا. اما عددهم عام ١٩٤٧ حسب المحافظات فكان على النحو التالي: في لواء اربيل ٣١٠٩، وفي لواء كركوك ٤٠٤٢ وفي لواء الموصل ١٠٣٤٥ وفي السليمانية ٢٢٧١ وفي ديالى ٢٨٥١، اي ان العدد الاجمالي لليهود في اقليم كردستان عام ١٩٤٧ كان ٢٢٦١٨ نسمة^(٤٩). وبعد ذلك التاريخ بدأت الهجرة الى اسرائيل، وفي نهاية الخمسينات لم تبق من هذه المجموعة في كردستان غير اعداد قليلة جداً.

والواقع ليس اليهود وحدهم

من الأقليات الأثنية او الدينية ممن تعرضت اعدادهم الى التآكل والتدهور ومن ثم التلاشي والاضمحلال بل ان المجموعتين الكلدانية والآشورية هي الأخرى قد عانتا من انخفاض رهيب من حجمهم العددي. فقد انخفضت نسبتهم المئوية الى الحجم الكلي لسكان اقليم كردستان من ٣,١٪ حسب احصاء عام ١٩٥٧ الى ٠,٩٪ حسب احصاء عام ١٩٧٧ أي قبل ٣٢ سنة من الآن^(٥٠).

ولعل الأرقام التي تمثل انخفاض حجم هاتين المجموعتين خلال الفترة الممتدة من ١٩٥٧ الى ١٩٧٧ لحافظة الموصل هي الأبلغ تعبيراً عما اصاب هاتين المجموعتين من تدهور خطير لحجمها. فقد هبطت نسبتهم من ٨,٤٪ في محافظة الموصل عام ١٩٥٧ الى ٠,٧٪ عام ١٩٧٧^(٥١). وهذه نسبة هبوط كبيرة تزيد عن ٨٠٠٪.

ان تعرض حجم هذه المجموعات الأثنية غير المسلمة وغير العربية الى تدهور مطرد ولاسيما منذ الستينات من القرن الماضي، كان جزءاً من سياسة عنصرية مارستها الحكومات المركزية المتعاقبة في بغداد ضد جميع المجموعات غير العربية. وقد بلغت هذه السياسة اوجهاً في اعقاب حرب الخليج الثانية (غزو الكويت).

ان سقوط النظام في نيسان ٢٠٠٣ لم ينجم عنه زوال الخطر على بقاء هذه الأقليات الأثنية، بل على العكس من ذلك فان الخطر على الأقليات الأثنية غير المسلمة اصبح داهماً، بل وتحول الى سيف مسلط يهدد رقاب الزعماء الروحانيين لهذه الطوائف الدينية ورجالاتهم الاجتماعية، مثلما يهدد اماكن عبادتهم وكنائسهم. وقد جاء الخطر هذه المرة من جماعات ارهابية تكفيرية متطرفة، تكفر ليس النصارى واليهود، وليست الأكثرية الشيعية المسلمة، بل تكفر حتى اولئك السنة الذين يخالفونهم آرائهم واحكامهم الغربية، ويهدرون دماءهم. فمن الطبيعي والحالة هذه ان تلوذ البقية الباقية من هذه الأقليات الأثنية غير المسلمة بالفرار الى الخارج ولاسيما ذلك الجزء منهم الذين يسكنون مدينة الموصل وبعض المدن القريبة منها. والملفت للنظر هنا هو ان اعداداً كبيرة من المسيحيين الذين يسكنون مدينة بغداد وغيرها من مدن وسط العراق او جنوبه، قد توجهوا الى اقليم كردستان ولاسيما الى اربيل العاصمة الاقليمية والى المدن الأخرى في الاقليم والتي تسكنها مسيحيون من بني جلدتهم. ولايستبعد ان تكون هذه الاقامة في

الأرمنية بهذا الشكل الباهت، سيان مع عدم وجوده، بالنسبة للتركيب القومي لاقليم كردستان في الوقت الحاضر.

والخلاصة يمكن القول بأن الموقع الجغرافي لاقليم كردستان كان مؤثراً والى حد كبير في خلق التركيبة الأثنية لسكان الاقليم، فوقع كردستان وسط عدد من البيئات الجغرافية المتباينة والتي كانت موطناً لعدد من المجموعات الأثنية المتباينة، كان سبباً في تسهيل عملية هجرة تلك الأقوام والشعوب الى كردستان والاستقرار فيها. ويمكن للباحث ان يقتضي في ارض كردستان آثار المجموعات البشرية الرئيسية التي ظهرت وانتشرت في قارتي آسيا وأوربا منذ الألف الثاني قبل الميلاد وحتى الآن، وهي المجموعة الهندو - اوربية والمغولية (الطورانية) والسامية. ولانغالي اذا قلنا بأن الموقع المركزي لكردستان من منطقة شرقي البحر المتوسط وجنوبي البحر الأسود، وقريباً من هضبة الأناضول وايران وارمينيا، قد اضفى على الاقليم قوة جذب مناسبة، فانجذبت نحوه معظم المجموعات البشرية باستثناء المجموعة الزنجية. ومع هذا التنوع الأثني وفد الى كردستان تنوع ديني ومذهبي اكثر تعقيداً من تنوع الاقليم القومي. وفي النتيجة

علقوا آمالاً كبيراً على وعود بريطانيا باقامة دولة ارمنية في شرقي الأناضول تتضمن عدداً من الولايات الكردية اضافة الى الولايات التي تسكنها اغلبية ارمنية وذلك وفقاً لبنود سيفر.

فقد نصت البنود ٨٨ - ٩٠ من القسم السادس من معاهدة سيفر على اقامة دولة ارمنية، شرقي الأناضول وتتضمن ولايات ارضروم ووان وتبليس وجميعها ولايات ذات اغلبية كردية^(٥٢).

ويعد الأرمن من الشعوب الهندو - اوربية العريقة، والذين تقرب مواطنهم الأصلية وتتداخل مع مواطن الكرد الى الشرق من الأناضول وفي ارمينيا وشمال غرب ايران^(٥٣).

وعلى العكس من الكلدان والآثوريين واليهود الذين انتشروا في العديد من المدن الصغيرة والقصبات والقرى في اقليم كردستان، فان الأرمن في معظمهم قد سكنوا في مدينة الموصل او بغداد.

وقد استثنى الاستاذ شاكر خصباك الأرمن عن ان يكونوا جزءاً من التركيبة الأثنية لاقليم كردستان، نظراً لعدم انتشارهم في قرى الاقليم وتواجدهم في الموصل حصراً، او في بغداد^(٥٤).

والواقع ان وجود المجموعة

مدن الاقليم اقامة مؤقتة يحاول هؤلاء خلالها الحصول على ملاذٍ اكثر اماناً في اوربا، او الولايات المتحدة الأمريكية، والتي توفر الملاذ والجوء السياسي لطالبي اللجوء الذين تتعرض حياتهم للخطر في اوطانهم بسبب معتقداتهم الدينية. لذلك من المتوقع ان ينكمش عدد هذه الأقليات الأثنية غير المسلمة في اقليم كردستان بشكل مطرد، ويخشى ان يؤول مصيرهم الى ما آل اليه مصير اليهود والعديد من الأقليات الدينية الأخرى في العراق الذي صبغ تأريخه باللون الأحمر على الأقل منذ الفتح الاسلامي وحتى الآن.

٥-الأرمن:

يشكل الأرمن واحداً من المكونات الدينية والأثنية لاقليم كردستان وذلك بعد ان وفدوا الى العراق في اعقاب الحرب العالمية الأولى، وكجزء من المساومات التي اجرتها بريطانيا العظمى مع الأطراف الأخرى للصراع كدولة تركيا الحديثة والعراق والأرمن والكرد. يبدو ان محاولة بريطانيا لاسكان عدد غير قليل من الأرمن في اقليم كردستان وبدافع الحرص على حمايتهم من بطش الأتراك، كانت جزءاً من مساعي بريطانيا لازالة مشاعر الاحباط التي انتابت قطاعات واسعة من الأرمن الذين

تحويل الاقليم بشرياً الى متحف
حي لحفظ ((الملل والنحل)).
ولم يكن دور مناخ كردستان
وطوبوغرافيتها وثرواتها الطبيعية
ومواردها المائية بأقل من دور
عامل الموقع الجغرافي في خلق
الشخصية الأثنية لاقليم كردستان
وفي ديمومة هذه الشخصية بهذا
الشكل حتى الآن.

الهوامش:

1-Mehrdad R.Izady, The
Kurds – Aconcise Handbook
Taylor and Fyancis Ltd,
London, WCIN 2ET, 1992,
P.28.

2- www.geocities.com/indo
european geography/P.6.

3- http://indoeuro.bizland.
com/archive article 15.htm.

٤- للمزيد من المعلومات بهذا الصدد يمكن
الرجوع الى:

- خليل اسماعيل محمد، دياريكردني
سنوري هيري مي كوردستاني عيراق،
جوغرافياي هيري مي كوردستاني
عيراق، هولير، ١٩٩٨، ل١٩.
- جزا توفيق طالب، بايه خي
جيوبوليتيكي دانيشتواني هيري مي
كوردستاني عيراق، چاپي دووهم،
سليمانى، ٢٠٠٠، ل٢٣ - ٢٤.

- فيروز حسن عزيز، المصدر السابق، ص٤٤.
٥- سامي سعيد الأحمد ورضا جواد
الهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى القديم،
ايران والأناضول، العاق، وزارة التعليم
العالي والبحث العلمي، بدون ذكر لكان
الطبع او تاريخه، ص١٢.

٦- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات
القديم، الوجيز في حضارة وادي
الرافدين، الجزء الأول، الطبعة الثانية،

- بغداد، ١٩٨٦، ص٨٠-٨١.
٧- خليل اسماعيل محمد، القضية
الكردية في العراق وجود ام حدود،
جامعة صلاح الدين، اربيل، ٢٠٠٦،
ص٥٥-٥٦.
8-<http://www.xs4.ht/~tank/kurdish/htdoes/his/orig.html>.
9-[www.indoeuro.bizland.com/archive/article 15 htm](http://www.indoeuro.bizland.com/archive/article%2015.htm).
١٠- جمال رشيد احمد، ظهور الكرد في
التاريخ، الجزء الأول، الطبعة الثانية،
اربيل، ٢٠٠٥، ص٦٩٢ - ٦٩٣.
11-www.nvcc.edvc.
12-[www.indoeuro.bizland.com/-op. cit](http://www.indoeuro.bizland.com/-op.cit).
13-[www.nvcc.edvc.op. cit](http://www.nvcc.edvc.op.cit).
١٤- جمال رشيد احمد، ظهور الكرد في
التاريخ، ج١، ط٢، المصدر السابق، ص٣٩٥ -
٣٩٦.
١٥- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب
الاسلامية، تعريب نبيه امين فارس،
ومنيير البعلبكي، دار العلم للملايين،
بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨، ص٢٦٢.
١٦- تقرير البعثة الخاصة التي شكلها
مجلس عصبة الأمم لدراسة مسألة
مصر ولاية الموصل عام ١٩٢٤. بدون ذكر
للمترجم او تاريخ الطبع او مكان الطبع،
ص٧٠.
١٧- كارل بروكلمان، المصدر السابق،
ص٢٠٨ - ٢٠٩.
١٨- خليل اسماعيل محمد، اقليم
كردستان العراق - دراسات في التكوين
القومي للسكان، مطبعة اوفسيت
كريستال، اربيل ١٩٩٨، ص٧٢.
١٩- عزيز قادر الصمانجي، التاريخ
السياسي لتركمان العراق، دار الساقى
بدون ذكر لكان الطبع او تاريخه،
ص٤٠.
٢٠- عبدالرزاق الحسن، العراق قديماً
وحديثاً، مطبعة العرفان، لبنان، صيدا،
١٩٥٦، ص٩٠.
٢١- حنا بطاطو، الطبقات الاجتماعية
القديمية والحركات الثورية في العهد
العثماني حتى قيام الجمهورية، الكتاب
الأول، ترجمة عفيف الرزاز، دار المتنبى
للتشرو التوزيع، بلا تاريخ، ص٥٧-٥٩.
٢٢- ابراهيم شريف، الموقع الجغرافي
للعراق واثره في تاريخه حتى الفتح
الاسلامي، اطروحة دكتوراه، الطبعة
الأولى، الجزء الثاني، مطبعة شفيق،
بغداد، ص١٣٧-١٣٨.
٢٣- عزيز قادر الصمانجي، المصدر السابق،
ص .
٢٤- عزيز قادر الصمانجي، المصدر
السابق، ص٥٧.
٢٥- احمد سوسة، المصدر السابق، ص٤.
٢٦- طه باقر، المصدر السابق، الجزء الأول،
ص٦٧.
٢٧- احمد سوسة، العرب واليهود في
التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد،
١٩٧٢، ص٤ - ١٠.
٢٨- كؤمه لپيك مامؤستاي زانكو،
جيؤگرافياي هيري مي كوردستاني
عيراق، چاپي يه كه م، ١٩٩٨، هولير،
ل١٨٨.
٢٩- ابراهيم شريف، المصدر السابق،
ص١٣٥-١٣٦.
٣٠- جورج رو، العراق القديم، ترجمة
حسن علوان، بغداد، ١٩٨٤، ص٣٢.
٣١- كامهران محمد جلال، نوزي له
هه زاره ي دوهه مى پيش زاييندا،
ماسته رنامه ي بلاونه كراوه، كؤليجي
زانسته مرؤفايه تيه كان، زانكو
سليمانى، ٢٠٠٤، ل٢٣.
٣٢- طه باقر، المصدر السابق، ص٥٤.
٣٣- المصدر نفسه، ص٥١.
٣٤- جمال رشيد احمد، المصدر السابق،
ص٨٤٢ - ٨٤٩.
٣٥- طه باقر، المصدر السابق، الجزء
الثاني، ص٣٩٩.
٣٦- طه باقر، المصدر السابق، الجزء الأول،
ص٥١٥.
٣٧- ابراهيم شريف، المصدر السابق، ص١٣٤.

موكريانى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، اربيل، ٢٠٠١.

١١- خصباك، شاكور، العراق الشمالي، مطبعة شفيق، الطبعة الأولى، بغداد.

١٢- رو، جورج، العراق القديم، ترجمة حسن علوان، بغداد، ١٩٨٤.

١٣- سوسة، احمد، العرب واليهود في التأريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢.

١٤- شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تأريخه حتى الفتح الاسلامي، اطروحة دكتوراه، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، مطبعة شفيق، بغداد.

١٥- الصمانجي، عزيز قادر، التأريخ السياسي لتركمان العراق، دار الساقى بدون ذكر لمكان الطبع او تأريخه.

١٦- عزيز، فيروز حسن، الأهمية الجيوسراتيجية لكرديستان الجنوبية واثرها على السياسة البريطانية تجاهها ١٩١٤ - ١٩٢٤ مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية السليمانية. ٢٠٠٨.

١٧- محمد، خليل اسماعيل، اقليم كردستان العراق - دراسات في التكوين القومي للسكان، مطبعة اوفسيت كريستال، اربيل ١٩٩٨.

١٨- خليل اسماعيل محمد، اقليم كردستان العراق، مطبعة زانكو، ط٣، ١٩٩٩.

١٩- محمد، خليل اسماعيل، مؤشرات سياسة التعريب والتهجير في اقليم كردستان العراق، اربيل، ٢٠٠١.

٢٠- محمد، خليل اسماعيل، القضية الكردية في العراق وجود ام حدود، جامعة صلاح الدين، اربيل، ٢٠٠٦.

ب- الكتب والمجلات الكردية :

١- جلال، كامهران محمد، نوزى له هه زاردى دوهه مى پييش زاييندا، ماسته رنامهى بلاونه كراوه، كۆليجي زانسته مرؤفايه تيهه كان، زانكو

المصادر أ- الكتب والمجلات باللغة العربية:

١- احمد، جمال رشيد، ظهور الكرد في التأريخ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، اربيل، ٢٠٠٥.

٢- الأحمدي، سامي سعيد ورضا جواد الهاشمي، تأريخ الشرق الأدنى القديم، ايران والأناضول، العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بدون ذكر لمكان الطبع او تأريخه.

٣- باقر، طه، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، الوجيز في حضارة وادي الرافدين، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٦.

٤- بروكلمان، كارل، تأريخ الشعوب الاسلامية، تعريب نبيه امين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨.

٥- براور، اريك، ورافائيل ثاتاي، يهود كردستان، ترجمة شاخوان كركوكى وعبدالرزاق بوتانى، دار نارس، اربيل، ٢٠٠٢.

٦- بعثة عصبة الأمم، تقرير البعثة الخاصة التي شكلها مجلس عصبة الأمم لدراسة مسألة مصير ولاية الموصل عام ١٩٢٤. بدون ذكر للمتريجم او تأريخ الطبع او مكان الطبع.

٧- بطاطو، حنا، الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول، ترجمة عفيف الرزاز، دار المتنبي للنشر والتوزيع، بلا تاريخ.

٨- حسين، فاضل، مشكلة الموصل، ط٣، مطبعة اشبيلية، بغداد، ١٩٧٧.

٩- الحسني، عبدالرزاق، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان، لبنان، صيدا، ١٩٥٦.

١٠- حمه خورشيد، فؤاد، القضية الكردية في المؤتمرات الدولية، مؤسسة

٣٨- طه باقر، المصدر السابق، الجزء الأول، ص٥٢٧.

٣٩- خليل اسماعيل محمد، مؤشرات سياسة التعريب والتهجير في اقليم كردستان العراق، اربيل، ٢٠٠١، ص٥.

٤٠- خليل اسماعيل محمد، اقليم كردستان العراق، مطبعة زانكو، ط٣، ١٩٩٩، ص٨٢.

٤١- خليل اسماعيل محمد، اقليم كردستان العراق، المصدر السابق، ص٨٣.

٤٢- فاضل، حسين، مشكلة الموصل، ط٣، مطبعة اشبيلية، بغداد، ١٩٧٧، ص١٠٢.

٤٣- خليل اسماعيل محمد، مؤشرات سياسة التعريب والتهجير في اقليم كردستان العراق، المصدر السابق، ص٤٧.

٤٤- طه باقر، المصدر السابق، الجزء الأول، ص٥٥٠، ص٥١٥.

٤٥- اريك براور ورافائيل ثاتاي، يهود كردستان، ترجمة شاخوان كركوكى وعبدالرزاق بوتانى، دار نارس، اربيل، ٢٠٠٢، ص٥٦.

٤٦- اذا كان تواجد الأقليات المسيحية في كردستان قد بدأ يفقد بريقه منذ الخمسينات من القرن الماضي فان التواجد اليهودي في كردستان قد انتهى الى لاشيء بحلول ذلك التاريخ لأسباب معروفة.

٤٧- شاكور خصباك، المصدر السابق، ص٢٢٢.

٤٨- شاكور خصباك، المصدر السابق، ص٢١٩.

٤٩- اريك براور ورافائيل ثاتاي، المصدر السابق، ص١٠ - ١١.

٥٠- كۆمه لیسك مامۆستای زانكو، سهر جاوهی پيشوو، ل١٨٥.

٥١- خليل اسماعيل محمد، اقليم كردستان العراق، المصدر السابق، ص٧٥.

٥٢- فؤاد حمه خورشيد، القضية الكردية في المؤتمرات الدولية، مؤسسة موكريانى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، اربيل، ٢٠٠١، ص٥٩.

٥٣- <http://ar.wikipedia.org/wiki/> ارمن

٥٤- شاكور خصباك، المصدر السابق، ص٢٢٤.

3- [http://indoeuro.bizland.com/archive/article 15.htm](http://indoeuro.bizland.com/archive/article%2015.htm) T, 1992.

4- [www.indoeuro.bizland.com/archive/article 15.htm](http://www.indoeuro.bizland.com/archive/article%2015.htm).

5-<http://www.xs4.ht/~tank/kurdish/htdoes/his/orig.html>

6-www.nvcc.edvc.

[http://ar.wikipedia.org/wiki/arman7-](http://ar.wikipedia.org/wiki/arman7)

ماموستای زانکو، جیوگرافیای ههریمی کوردستانی عێراق، چاپی یه‌که‌م،

هه‌ولێر، ١٩٩٨.

ج-المصادر الانكليزية و الالكترونية:

1-Izady, Mehrdad, The Kurds – A concise Handbook

Taylor and Fyancis Ltd, London, WCIN 2ET, 1992.

2-[www.geocities.com/indoeuropean geography](http://www.geocities.com/indoeuropean%20geography).

سليمانی، ٢٠٠٤.

٢-طالب، جزا توفیق، بایه‌خی

جیوبولیتیکی دانیشتوانی ههریمی کوردستانی عێراق، چاپی دووهم،

سليمانی، ٢٠٠٠.

٣-محمد، خلیل اسماعیل،

دیاریکردنی سنوری ههریمی کوردستانی عێراق، جیوگرافیای ههریمی کوردستانی

عێراق، هه‌ولێر، ١٩٩٨.

٤-محهمهد، خلیل ئیسماعیل،

جیوگرافیایی دانیشتوان، کۆمه‌لیکک



مقالات ودراسات كردية

اعداد

الدكتور محمد علي الصويركي

من مطبوعات

مركز الكوردولوجي

سليمانية - ٢٠١٠

الصحافة الكوردية ... البدايات وآفاقها

د. صباح موسى علي

مقدمة:

عندما أدرك الانسان ماحوله وأحس بوجوده على الارض كان لابد من العيش مع أخيه الانسان لحاجة بعضهم للآخر من أجل أكتمال دورة الحياة وعدم استطاعته الحياة لوحده أضافه لما ذكر فأنا الانسان كائن اجتماعي بطبعه وخصاله ويحب ان يتعايش مع أخيه البشر وأكمال أحدهم الاخر رغم صعوبة ومرارة الحياة في وقتها وبدائيتها وبساطتها المعروفة والتي مرت علينا جميعاً.

ومع تطور الحياة من البساطة والسهولة والبدائية الى مرحلة النشوء والنضوج كان لا بد للانسان من أن يفكر بطريقة أو أخرى الى ما شابه ذلك لتدوين وقائع حياته وسجل أيامه وتسجيل مآثره وما جابهه من

مرارة وشظف الأيام لذا بدأ بكتابة سيرته وسيرة قومه وشعبه على ورق الاشجار والرسم والنقش على جدران الكهوف والمغارات وكانت هذه هي البداية وهي عظيمة وانجاز تاريخي رائع في وقتها آنذاك ومع تطور الحياة وتفرعها وتعقيدها وكثرة الحوادث والمواجهات والصراعات الكبيرة والمتعددة بدا الانسان محتاجاً الى تسجيلها وتوثيقها والاحتفاظ بها للأجيال القادمة ليكون عبرة لمن أعتبر فبدأ بالتدوين والكتابة وأصدار ما نستطيع تسميته بصحيفة، فظهرت اول صحيفة في الصين وكانت تسمى (كين بان) قبل ثمانية قرن من ميلاد سيدنا المسيح وكانت صحيفة بدائية تعنى بنشر أخبار وحوادث تلك المملكة في وقتها.

توطئة

ظهرت الصحافة عند الشعب الكوردي متأخراً الى حد ماأذا ما تمت المقارنة مع الشعوب والأمم المجاورة وهذا له أسبابه سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية فقد تعرض الشعب الكوردي الى الظلم والاضطهاد منذ فترة طويلة وخاصة في عصر الدولة العثمانية وكانت أرض كوردستان مسرحاً للصراعات والنزاعات الدائرة بين الدولة العثمانية وملوك ايران وكان الجزء الأكبر من ولايات الحروب الدائرة تقع على الشعب الكوردي وكانت الضريبة من جراء تلك النزاعات تقع على الشعب الكوردي أضافه الى الخراب والدمار التي لحقت بأرض كوردستان ودفع خيرة الشباب الكوردي في أتون تلك

الحروب التي لا أول لها ولا آخر إضافة إلى ذلك سقوط الإمارات الكردية الأولى تلو الأخرى نتيجة دسائس و مخططات الأعداء التي كانت لا تروق لهم تلك الإمارات ويعودنها نواة وبداية لتأسيس دولة كردية إضافة إلى أطماع الغزاة في مصادر الثروة الكردية والضرب بيد من حديد كل من تسول نفسه التفكير بوحدة شعب وأرض كردستان العزيزة ... كل ما ذكرناها آنفاً كانت الأسباب والدوافع الرئيسة لتأخر ظهور الصحافة بين الشعب الكردي المسلوب حريته واستقلاله .

الفصل الأول

جريدة (كوردستان)

البحث الأول

الزمان والمكان

كانت الفترة أواخر القرن التاسع عشر وبالتحديد عام (١٨٩٨) فترة سيطرة الامبراطورية العثمانية على كل بلاد الشرق وخاصة بلاد ما بين النهرين أو ما يسمى الآن ب(العراق) وبلاد الشام وأجزاء كبيرة من بلاد المغرب العربي وكانت منطقة كوردستان تحت السيطرة المباشرة للدولة العثمانية وكان تأثير النزاعات والحروب والمشاحنات المستمرة بين

العثمانيين وبلاد فارس مباشراً على كوردستان، وبعبارة أخرى أن معظم الحروب والمعارك التي كانت تحصل بين الطرفين كانت تقع على أرض كوردستان العزيزة وكانت دماء الكورد تهدر من أجل تلك الحروب أي ان حصّة الأسد من الضحايا والخسائر كانت من نصيب الشعب الكردي المغلوب على أمره نتيجة ظلم وطغيان وفساد الدولة العثمانية والتي كانت ترفع شعار الاسلام دائماً لتمرير مخططاتها وتحقيق مآرب دولتهم المريضة . كان ذلك بعد سقوط الامارة البدرخانية تحت قوة العثمانيين الذين كانوا يرون من وجود جمع وتوحيد شمل الكورد ناقوس خطر يهدد كيانهم الهش وامبراطوريتهم المريضة والخابية ، كانت نتيجة سياسة الحديد والنار لتلك الدولة المسماة بأسم الاسلام أن اضطرت اسرة البدرخانيين الى أن ينزحوا من أرض وبلاد أجدادهم العظام الى منطقة توفر لهم العيش والامن والامان فأختاروا أرض الكنانة أرض مصر المعطاء مركزاً لاستقرارهم وبدء صفحة جديدة من الكفاح والنضال ضد من احتل ديارهم وسيطر على أرضهم ، إضافة الى ان مصر كانت خارج سيطرة الدولة العثمانية وكانت تتمتع الى حد ما بنوع من الحرية

وكانت منبراً للمعارضين للوقوف ضد الدولة العثمانية وكذلك حالة التمدن والتنوير التي وصلت اليها بعد حملة (نابليون) الشهيرة على مصر وما أعقبها من تطور وابداع في شتى مجالات الحياة وخاصة الثقافية والسياسية إضافة الى ذلك نرى ان اختيار مصر من قبل عائلة البدرخانيين كانت سديدة وحكيمة الى حد ما مما جعل العثمانيين يحاربونهم وهم خارج عقر دارهم وكانت العلاقات قد بدأت تتأزم أكثر فأكثر بين الدولة العثمانية ومصر وكان وجود وبقاء اسرالبدرخانيين قد ساء وازداد الامر تعقيداً.

المبحث الثاني

(صحيفة كوردستان)

كانت بلاد مصر في عام (١٨٩٨) أرضاً خصبة لآيواء المعارضين ضد الدولة العثمانية وكان المكان الوحيد في المنطقة التي تتوفر فيه الى حد ما حرية الرأي والصحافة نتيجة لوجود الفرنسيين فيه منذ مدة طويلة وما أحدثه (نابليون بونابرت) من تطور وذلك بجلبه مطبعة اليها ثم القيام بحملات اعمار وتمدن في مصر كل هذا جعل من مصر أن تكون قبلة للمتنورين الهاربين من جحيم آل عثمان الذين حكموا المنطقة لأكثر من أربعة قرون

تبدل بعد الحرب العالمية الثانية وتسمى الآن ب(المكتبة الوطنية) وعند مراجعاتي المستمرة للمكتبة بين الاعوام ١٩٦٥ - ١٩٦٨ استطعت الحصول على النسخ الاصلية لاعداد جريدة (كوردستان) وفي وقتها نشرت مقالاً في مجلة (روناكي) الكوردية التي كانت تصدر عام ١٩٦٩ في مدينة بغداد)).

المبحث الثالث:

دور ومكانة صحيفة (كوردستان)

كما أسلفنا فأن صحيفة (كوردستان) الرائدة كانت البوابة ومفتاح الامان لبدء صفحة جديدة في مسيرة الرحلة الشاقة لمهنة المتاعب كما يسمى، لذلك فان صدور كوردستان في تلك الحقبة الزمنية المعقدة له أهميته ودوره الكبير من الناحية الاجتماعية والسياسية للشعب الكوردي وخاصة ان الشعب الكوردي في تلك الفترة كان يمر بفراغ سياسي كبير نتيجة الاحداث التي ذكرناها اضافة الى حالة التشتت الفكري والصراع الايدولوجي والاحداث السريعة والمتعاقبة التي كانت تعصف بالمنطقة عامة وبالشعب الكوردي خاصة.

كان هناك هدفان ل (مقداد بدرخان) من اصدار الصحيفة اولهما ايصال صوت الشعب الكوردي والكلمة الكوردية الى

الشعوب، لهم صحيفة ولهم وطن، ومع صدور أول عدد من الجريدة بدأت الدوائر العميلة والعثمانيين بالضغط على مصر من اجل منع اصدار الصحيفة على أرضها وبذلك ساءت العلاقة والفتور بين الدولتين مما حدا ب(مقداد باشا) مرغماً الانتقال الى مدينة (جنيف) بسويسرا وطبعت الاعداد من (٦-١٩) هناك والاعداد (٢٠-٢٣) في القاهرة، ثم تلاها العدد (٢٤) في لندن، أم الاعداد (٢٥-٢٩) فطبعت في (فولكستون)، أما العديدين (٣٠-٣١) فطبعت في (جنيف) من قبل شقيق مقداد مدحت بدرخان (عبدالرحمن باشا) بعد أن وافت المنية مقداد باشا واخذ زمام الامور اخوه عبدالرحمن باشا واستمرت الصحيفة بالصدور بين آن و آخر ومن مكان لآخر، وقد صدر منها (٣٢) عددا وهي محفوظة في متحف(المكتبة الوطنية) بألمانيا، وقد جمع اعدادها وطبعها مشكوراً الدكتور كمال فؤاد عام ١٩٧٢ في بغداد وقد أعاد طبعه أكثر من مرة.

يقول (د. كمال فؤاد) في مقدمة كتابه آنفاً ((كنت قد سمعت أن أعداد النسخ الاصلية من الجريدة محفوظة في مكتبة (بروسيا) في ألمانيا وبعد وصولي الى هذا المكان أبليت بأن اسم المكتبة قد

، في هذه الفترة الحرجة بدأ(مقداد مدحت بدرخان) بالتفكير بأصدار صحيفة ناطقة بالكوردية لأبناء جلدته كي تنير لهم الطريق وتفتح الآفاق الرحبة للتحرر والاستقلال وفعلاً تم ذلك .

ففي ٢٢ من نيسان عام ١٩٩٨ الموافق ل ٣٠ ذي القعدة عام ١٣١٥ هجرية أصدر أول عدد من جريدة كوردستان تيمناً وتقديساً لأرض الآباء والاجداد فطبع منها أكثر من (٢٠٠٠) نسخة باللغتين الكوردية والتركية وقام بأرسال (٢٠٠٠) نسخة منها الى كوردستان العزيزة مجاناً وكتب في ديباجة الصحيفة ((أنني سوف أرسل من كل عدد (٢٠٠٠) نسخة الى كوردستان مجاناً لأبناء قومي كي تفتح لهم طريق النور والحرية والكرامة ومن يريد أن يرسل الجريدة فعنوان الجريدة موجود في أعلى الصفحة)).

(كوردستان) أول جريدة كوردية ناطقة باللغة الكوردية صدرت في مدينة القاهرة بمصر وطبعت بمطبعة الهلال المصرية بعيدة عن كوردستان وباللغة الكوردية الشمالية (الكرمانجية الشمالية) والتركية. كان الهدف منها ايصال صوت الكورد الى العالم وثقيف وتنوير الكورد، حيث أثبتت للعالم ان الشعب الكوردي حالهم حال بقية

كل ارجاء كوردستان والمنطقة وتنوير عقول الكورد منها وتوسيع مدارك افكارهم لفهم ما يدور من مخططات ودسائس للنيل من ارادة ووحدة صف وشمل الشعب الكوردي وخاصة بعد سقوط وانهايار الامارات الكوردية المتلاحقة. وثانيهما اثبات وجود الشعب الكوردي وشرعية قضيته للعالم وبأن للكورد صحيفة ولغة، وان حالهم حال شعوب المنطقة الذين كانوا تحت رحمة بطش وظلم الدولة العثمانية لذا نرى أن المرحوم (مقداد مدحت بدرخان) قد أرسل من كل عدد من جريدته ٢٠٠٠ نسخة مجاناً الى كوردستان وذلك لايصال صوت الشعب الكوردي الى كل زقاق وبيت، وازافة الى ماذكر فأن مقداد بدرخان قد أضاف الصفحات التركية الى جريدته لكي يكون صوت الكورد مسموعاً من قبل الشعب التركي أيضاً وقد اكد مراراً أن من يرد أن يرسل الجريدة أيضاً فعلى عنوان الجريدة المنشور في أعلى الصحيفة بهدف المساهمة أو ارسال نسخ مجانية الى المرسل وكان يريد من ذلك تحقيق هدفين أساسيين. الاول سياسي و هو تعريف العالم بأحقية القضية الكوردية والوقوف ضد آل عثمان الذين كانوا يعيشون في الارض فساداً بأسم الدين والاسلام

لذا فان الجريدة كانت تحارب من قبلهم وتتغير أماكن إصدارها. والثاني اجتماعي والهدف منه هو تنوير الشعب الكوردي لضرورة اللحاق بركب التطور والتمدن والرقى الذي طرأ على الشعوب ونبذ الماضي والعادات والتقاليد البالية التي لا تقدم ولا تؤخر ومن أجل ذلك كرس الكثير من المقالات والبحوث في جريدته

لحث أبناء الشعب الكوردي الى ضرورة تعليم أبنائهم لغة الام وتعليمهم تأريخ الشعب الكوردي وفضح تصرفات السلاطين العثمانيين وما آلت اليه انفسهم.

الفصل الثاني

(مجلة روزي كورد - يوم الكورد)

المبحث الاول (بدايته ونشأته)

بعد ان افل نجم جريدة (كوردستان) كانت الاحداث تمر بسرعة كبيرة والاحداث تتلاحق يوماً بعد يوم وخاصة بعد ان شارفت ايام العثمانيين على الانتهاء.

ومع اطلالة القرن العشرين و تزامناً مع ضعف الادارة العثمانية على ارض وشعب كوردستان كانت الشعوب والملل الموجودة في المنطقة تتطلع نحو غد مشرق وجديد تستطيع من خلالها تنفس الصعداء

ومع بدء العد التنازلي لسقوط (الامبراطورية المريضة) ومع دخول القرن العشرين بدأت تظهر هنا وهناك المنظمات والجمعيات السياسية والاجتماعية والثقافية وكان للشعب الكوردي حصة الاسد في ذلك، وفعلاً ظهر عام (١٩٠٠م) اول جمعية بأسم (جمعية عزم شعب كوردستان) ومن الجدير بالذكر ان في عام (١٩٠٨م) حدث انقلاب كبير في داخل الدولة العثمانية وعلى اثره شرع قانون احاز فيه تأسيس الجمعيات والتنظيمات فكان لهذا القانون الدور الكبير للكورد لتأسيس جمعية سميت بجمعية (التعاون والترقي الكوردي) واصبح لهذه الجمعية فروع في كل من بدليس والموصل وديار بكر وبدأ نفوذ واعضاء الجمعية بالازدياد واصدرت الجمعية صحيفة باسم (الكورد) لذلك شعر الاتحاديون الترك من مغبة زيادة نفوذ وسلطة تلك الجمعية لذا اسرعوا الى اغلاق النوادي والمنتديات الكوردية في ايار من نفس العام .

وفي تلك الفترة الزمنية وبالتحديد العام (١٩١٠م) كان الكثير من شعوب المنطقة تتطلع الى الحرية وتحقيق تطلعاتهم ومع ايقاف جميع نشاطات وفعاليات جمعية الاتحاد والترقي كانت مدينة اسطنبول

الاكبر ودرس في كلية القانون ثم أصبح موظفاً ذا شأن في الكثير من الدوائر العدلية في مدينتي كركوك والسليمانية وقد وافته المنية عام ١٩٢٧م، ومن الكتاب البارزين الذين رقدوا المجلة بالمواضيع والمقالات (ديار بكر نجدت، ته مو غزالن فاضل مخلص، زيوه ر.... الخ).

كان معظم المواضيع المنشورة في مجلة (روز كورد) تنصب في المواضيع التي تتعلق بالمسائل القومية للشعب الكوردي وعلى سبيل المثال لا للحصر نشرت مقالة في العدد الاول تحت عنوان (وعي الكورد) وقد جاءت فيها بأن وضع الكورد في هذه المرحلة العصبية يشبه الانسان المصاب بمرض مزمن لذا على الجميع ان يتداركوا هذا الوضع ويجب توحيد الصفوف بهدف القضاء على هذه المعضلة وكان صاحب المقال يناهز الكورد الى توخي الحذر والوقوف ضد كل من تسول له نفسه النيل من ارادة ووحدة الشعب الكوردي .

وقد كتب (عبدالله جودت) عموداً يشير فيه الى تأريخ الكورد وماضيهم العتيق ويذكر الكورد بقراءة كتاب (الشرفنامه) للاستفادة من تأريخهم ويحثهم على الافتخار والتباهي بنضال الشعب الكوردي عبر السنين من

كونه من اهالي مدينة السليمانية، وصدرت منها ثلاثة اعداد حيث استقطبت المجلة نخبة جيدة من المثقفين الكورد من كوردستان العراق وايران، وصاروا يغذون المجلة بمقالاتهم وكتاباتهم وكان لدى معظمهم الامام التام بالثقافة والادب الكورديين.

المبحث الثاني

(مضمون وابواب المجلة:

مجلة (روزي كورد) مجلة شهرية صدرت منها ثلاثة اعداد فقط وكانت لها توجهات قومية تنشر في غلاف اعدادها صور لكبار وقادة الكورد امثال (صلاح الدين الايوبي وكريم خان زند وغيرهم) ولم تستمر ديمومة المجلة ففي العام ١٩١٤ صدرت بدلاً منها مجلة (هه تاوى كورد- شمس الكورد).

(ومن الكتاب البارزين الذين أسهموا بنتائجهم ورفدوا المجلة بالمواضيع كل من رئيس التحرير (عبدالكريم أفندي) وهو شخصية كوردية معروفة نزع من مدينة السليمانية وكان جده الاكبر (يونس آغا) من شخصيات مدينة كركوك ومنذ صغره تعلم لدى الكتاتيب والملاهي كما كانت العادة آنذاك بعدها دخل المدرسة الرشدية، وفي عام ١٩٠٨م قصد مدينة اسطنبول مع شقيقه

التركية مركزاً وملتقى لجميع المثقفين والاكاديميين والطلبة الكورد الثوريين وكبار ضباط الجيش، علماً أن كل المناضلين والسياسيين كانوا يلجأون الى هذه المدينة خوفاً من بطش وظلم السلاطين وأزلامهم، وفي هذه الاثناء اسست جمعية بأسم جمعية (هيفي) الكوردية تضم خيرة شباب و مثقفي الكورد في مدينة اسطنبول وخاصة الذين تم نفيهم وابعادهم من اراضي آبائهم وأجدادهم نتيجة موافقهم الوطنية تجاه قضايا شعبهم العادلة وبدأت الجمعية بممارسة نشاطها الفعلي في (٢٧/٧/١٩١٢م).

كانت من اوليات اهداف الجمعية اصدار مجلة كوردية تخاطب الانسان الكوردي (١).

وفي شهر مايس من العام ١٩١٣ صدرت اول مجلة ناطقة بأسم جمعية (هيفي) واطلق عليها مجلة (روز كورد) أو (روزي كورد) وتعني (يوم الكورد) وكانت تصدر باللغتين الكوردية الشمالية (الكرمانجية الشمالية) والتركية وذلك لمخاطبة العقل والضمير الكورديين.

كان صاحب الامتياز ومدير تحريرها (سليمانى عبدالكريم -أو عبدالكريم أفندي) ويرجح ان اسم صاحب الامتياز يرجع الى

اجل الحفاظ على ارض آبائهم واجدادهم ويؤكد بأن الكورد ومنذ صدر الاسلام قد لعبوا دورهم المشرف من اجل راية لاسلام واعلاء شأنه وكانوا السباقين دوماً الى الحفاظ على دينهم وارضهم وضحووا بالغالي والنفيس من اجل ذلك.

والجدير بالذكر انه اضافة الى المقالات والمواضيع القومية والسياسية كانت المجلة حريصة كل الحرص على نشر المواضيع الفكرية والثقافية والعلمية على صدر صفحاتها وكانت الصفحات الناطقة باللغة التركية تخاطب المفكرين والمثقفين الترك بعقلية وبفلسفة كورديتين لكي يكونوا على علم بمشروعية القضية الكوردية.

وكانت ضمن السياقات المعمولة في الصحافة في تلك الحقبة ان الدولة كانت تفرض على كل مطبوع مبلغاً من المال قدره (٥٠٠) قطعة ذهبية كتأمين لدى السلطات ونتيجة لعدم توفر الدعم المالي للمجلة لتوفير ذلك المبلغ ونتيجة الموقف الوطني المشرف لادارة المجلة اضطر صاحب الامتياز وبعد صدور ثلاثة اعداد منها الى ايقاف اصدها وصدرت بدلا منها مجلة (خوري كورد_شمس الكورد عام ١٩١٤م).

المبحث الثالث: دور (روز كورد) في الصحافة الكوردية

كما اسلفنا سابقاً ان مجلة (روزي كورد) كانت اول مجلة ناطقة باللغة الكوردية وبرغم عمرها القصير ورغم الظروف العصيبة التي كانت تعصف بشعوب المنطقة وخاصة الشعب الكوردي والاحداث السريعة والمتعاقبة واعلان المشروعية عام ١٩٠٨م وتشكيل الجمعيات والمنتديات هنا وهناك وفسح القليل من الفرص والمجال لمصلحة السلطة الرابعة كي تتنفس الصعداء .

ان اصدار مجلة (روز كورد) في تلك المرحلة كان له اهميته ودوره الكبير ومكانته البارزة في الصحافة الكوردية برغم ان صدورها كان الى حد ما بعيداً عن شعب كوردستان الا انها كانت اقرب من حبل الوريد الى الشعب الكوردي فكانت مساهمات المثقفين والطلبة لرفد واغناء المجلة كبيرة جداً وكانت محتويات المجلة تعج بالكثير من المقالات والدراسات الكوردية التي كانت تخاطب عقل الشعب الكوردي وخاصة الطبقة المتنورة والمثقفة من الشباب اضافة الى ان اغلب السياسيين والمثقفين الكورد كما اسلفنا والهاربين من يد السلاطين في مدينة اسطنبول قد انضموا تحت خيمة المجلة فكانت

(روز كورد) بحق لواءاً جمعت ووحدت كل المناضلين والمثقفين تحتها .

ان (روز كورد) رفدت الصحافة الكوردية بجيل من الصحافيين والكتاب فكانت بحق مدرسة لاعداد جيل من الكتاب والصحفيين الذين لعبوا فيما بعد دوراً كبيراً في رفد واغناء الصحافة الكوردية اضافة الى دورهم الوطني والقومي المشرف في شحذ همم الشباب الكورد وتوعيتهم والعمل والنضال من اجل قضية شعبهم وامتهم فكانت جمعية (هيفي) ومجلة (روز كورد) مدرسة ونبراساً للجيل الناشئ المتطلع نحو مستقبل مزدهر وكوردستان محررة.

الفصل الثالث

الصحافة الكوردية في العراق

المبحث الأول

الصحافة في العراق

نشأت الصحافة متأخرة نسبياً اذا ما تم مقارنتها مع تأريخ الصحافة في المنطقة وخاصة الصحافة العربية فلو قمنا بألقاء نظرة سريعة الى بلاد مصر ولبنان لرأينا ان هناك بوناً شاسعاً وفرقاً كبيراً بين نشأة الصحافة في بلاد الشام و العراق رغم ان العراق هو منبع الحضارات وموطن الانبياء

والرسل وهذا له اسبابه ومبرراته ، فلو اخذنا الصحافة والطباعة في ارض الكنانة على سبيل المثال نرى أن بلاد مصر وبرغم احتلال الفرنسيين لها وذلك الاحتلال الذي يعرف الجميع تفاصيله فأن الفرنسيين حال ما وطئت أقدامهم ارض مصر جلبوا معهم ما تم التوصل اليه من تطور وتقدم الفرنسيين الى بلاد مصر ومنها المطبعة التي جلبها نابليون بونابرت) معه الى مصر وما رافق ذلك من اغناء للثقافة المصرية ، صحيح انها كانت حملة استعمارية الا انها جلبت معها التطور والحضارة والرقي .

أما في ارض الرافدين فكانت الآية معكوسة لأن ارض العراق قد احتلت من قبل الجيش البريطاني وبريطانيا العظمى لم تفعل كما فعلتها شقيقتها فرنسا بالرغم من ان ارض بلاد الرافدين كانت تعج بالافلام الوطنية والكوادر الثقافية والعلمية والادبية .

ولو رجعنا الى الماضي القريب لرأينا ان الوالي (مدحت باشا) والي العثمانيين في بغداد قد جلب مطبعة الى بغداد واصدر عام (١٨٦٩) جريدة بأسم (الزوراء) وهي اول جريدة عراقية كانت تدار من قبل ملاكات عراقية ولكنها كانت لسان حال الدولة العثمانية فكانت

تلك هي البداية بالنسبة للصحافة العراقية.

المبحث الثاني: الصحافة الكوردية في العراق

بالرغم من ان ميلاد وصدور أول صحيفة كوردية في العراق قد جاء متأخرا الى حد ما اذا ما تم مقارنة ذلك بالصحف العربية والعراقية فأن لذلك اسبابه ومبرراته ،منها بعد منطقة كوردستان عن بغداد العاصمة وتأخر المنطقة الكوردية من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية وعدم الاهتمام والاكتراث بها من قبل الحكومات المتلاحقة وعدم ايصال الاعمار والتنمية الى المنطقة اضافة لما ذكر فأن المنطقة الكوردية كانت ساحة للمعارك والتجاذبات السياسية، وتجدر الاشارة هنا إلى أن نشأة الصحافة الكوردية في العراق قد ولدت وترعرعت في بغداد العاصمة.

كان (جمال الدين بابان) من كبار ساسة العراق قد تخرج من المدرسة القانونية وهو من أسرة آل بابان المشهورة والعريقة في كوردستان وسبق ان اسس اجداده امارة بابان المشهورة في السليمانية في عصر الدولة العثمانية وهم من اسسوا نواة مدينة السليمانية،

شغل(جمال الدين بابان) عدة وظائف حكومية وحصل على مقعد في البرلمان واصبح

وزيراً ونائياً لرئيس الوزراء عند تأسيس الدولة العراقية الفتية، في العام (١٩١٤) تجمع خيرة الشباب الكورد قبيل بدء الحرب العالمية الاولى في العاصمة بغداد واصبح قاعدة لهم للنضال والكفاح من اجل قضايا شعبهم وامتهم وخاصة بعد ان اصبحت الدولة العثمانية على شفا حفرة من الانهيار وكانت بينها وبين السقوط قاب قوسين أوأدنى فبدأ الشباب بتوعية الناس وحثهم على النهوض بالواقع ونبذ التخلف والتسلط علماً بأن بغداد كانت أقرب من مدينة اسطنبول لايصال صوت المناضلين الى كوردستان الجنوبية لذا قام (جمال الدين بابان) بأصدار مجلة بأسم (بانك كورد – نداء الكورد) في ٢٦ من كانون الثاني عام ١٩١٤م وهذا يفند ما يذكره البعض بأن اصدار أول صحيفة كوردية في العراق كانت على يد الانكليز.

كانت مجلة (نداء الكورد) مجلة ادبية نصف شهرية تصدر باللغتين الكوردية والتركية وبعد صدور العدد الخامس منها توقفت عن الصدور بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى واستدعاء صاحبها لخدمة الجيش بصفة ضابط في الجيش.

وقد اسهم الكثير من الكتاب بمقالاتهم وبحوثهم في اغناء المجلة

ومنهم (شوكري فضلي، صدقي سليمان توفيق ، خاكي بغدادى ،علي بابير ناغا، بهاء الدين شيخ نوري وغيرهم).

و(نداء الكورد) هذه اهتمت بالمواضيع الادبية والعلمية وقضايا الشعب الكوردي ومسألة مكافحة الامية ونشر الوعي وتشجيع التعليم وحث الالباء على ارسال اولادهم الى المدارس لغرض انشاء جيل متعلم يخدم الشعب الكوردي.

المبحث الثالث:

مكانة ودور مجلة (نداء الكورد)

صدرت المجلة في ظل ظروف عصبية وحساسة بالنسبة للعراق عامة وللشعب الكوردي خاصة حيث كانت الاحداث تجري بسرعة في المنطقة وكانت المنطقة تنهياً لاتون الحرب.

وكان اصدار مجلة في تلك المرحلة على يد شاب يعيش بعيداً عن كنف آبائه وعقر داره أمراً صعباً ، بل ثورة كبيرة وصفحة جديدة في تأريخ الصحافة الكوردية.

ان صدور هذه المجلة وبهذه الامكانات المتواضعة وبالاغتراف على التمويل الذاتي جدير بالثناء والتقدير. وكان صدق هذا الاصدار له الاثر الكبير والعميق في صدور ابناء شعبنا وخاصة في تلك المرحلة عيناها وكذلك العمل الشاق والدؤوب

لاسرة تحرير المجلة ونفسهم الطويل وكفاحهم وصمودهم من اجل ايصال الكلمة الكوردية الى ابناء الشعب الكوردي وتوعيتهم وزرع بذور الوطنية والكفاح من اجل مقاومة المحتلين والطامعين في ارض كوردستان.

لقد كانت ابواب صفحات المجلة موزعة ومنشورة باللغتين الكوردية والتركية وكانت المواضيع التركية اكبر من المواضيع المنشورة باللغة الكوردية وكان لذلك اسبابه ودوافعه منها ان اللغة الرسمية في تلك المرحلة هي التركية وكان لابد من ايصال صوت الشعب الكوردي الى الشعب التركي لكي يكونوا على بينة من قضايا الشعب الكوردي العادلة.

المبحث الرابع: الصحافة الكوردية أثناء الاحتلال البريطاني وبعده

بعد ان وطئت اقدام الانكليز ارض البصرة في ٢٢٢١ عام ١٩١٤م وبعد سقوط الدولة العثمانية أعلنوا) وكما هي عادتهم دوماً) بأنهم جاءوا الى العراق محررين لا فاتحين ومحتلين وكانت سياسة حكومة بريطانيا العظمى آنذاك الاهتمام بأمور الشعب ورعاية احوالهم وايجاد الحلول المناسبة لهم جراء السياسة العوجاء للدولة العثمانية وما آلت اليه أمور وشؤون البلد لذا أولت بريطانيا اهتماماً كبيراً

بالدعاية والصحافة وازهار الجانب المشرق لسياساتهم وتهدة غضب ونقمة الجماهير خاصة بعد ان دب في نفوس العراقيين بأن الانكليز هم كفرة وغزاة لذا نرى حكومة بريطانيا العظمى (والتي لا تغيب الشمس عن اراضيها كما كانت شائعة آنذاك) تهتم بالجانب الدعائي لنشر افكارها وسياساتها تجاه الشعب العراقي، وسرعان ما التفت _الانكليز_ الى كوردستان والى الشعب الكوردي محققين بذلك مكاسب جديدة لاسترضاء الشعب وما ان احتلوا البصرة حتى اصبحت هذه المدينة أشبه ما يكون مقرراً عسكرياً واعلامياً لها في آن واحد.

وبعد احتلال مدينة بغداد في آذار عام ١٩١٧ توسع نشاطهم الاعلامي فاصدروا الكثير من الصحف والمطبوعات منها جريدة (العرب) و(بغداد تايمز) الناطقة بالانكليزية و(ايران) بالفارسية و(تيكه يشتنى راستى) - فهم الحقيقة) باللغة الكوردية.

كانت هذه الصحف مكرسة لتحقيق اهداف وغايات المحتل البريطاني ولواختلفت مواضيع وسياسة الواحدة عن الاخرى.

ان صدور هذا الكم الهائل من الصحف في تلك المرحلة العصبية من حياة الشعب العراقي كان له الاثر الكبير والدور الريادي في

تطور الحركة الصحفية في العراق وكوردستان، صحيح انها كانت صحف المحتل وبوقها الكبير الا انها لعبت دوراً مهماً في تلك الفترة وخاصة صحيفة (تيكه يشتنى راستى) والتي نأت على بحثه لاحقاً والدور الذي لعبته في اغناء المكتبة الكوردية و تأريخ الصحافة الكوردية.

المبحث الخامس

(تيكه يشتنى راستى - فهم الحقيقة)
لا تحمل الصحيفة اسم أي شخص من الذين ساهموا في اصدارها ولكن هناك حقيقة ساطعة وغير قابلة للتأويل أو الشك أن شخصاً معيناً كان وراء اصدارها.

لقد كان أحد المسؤولين الانكليز قبل نشوب الحرب العالمية الاولى بسنوات قد زار اراضي شرقي كوردستان بصفة تاجر وكان يرتدي الملابس الكوردية ويجيد اللغة الكوردية بطلاقة وامضى فترة طويلة في مناطق كرمناشاه وكوردستان الشرقية قبل أن يكتشف سره حيث كان الهدف من تنكره دراسة وضع المنطقة وارسالها الى لندن وكان على اطلاع واسع بأحوال الشعب الكوردي ومتعمقاً في ثقافته وحالته الاجتماعية ، وقبل اندلاع الحرب الكونية الاولى نشر في لندن عدة دراسات وبحوث عن حياة الشعب

الكوردي وقواعد اللغة الكوردية ولهجاتها اضافة الى المامه الكبير بشؤون الصحافة وكان يدعى (الميجر سون) المشهور في تأريخ الشعب الكوردي في أثناء الاحتلال البريطاني لكوردستان العراق.

لذا نرى ان امر اصدار الصحيفة قد انيطت الى المسؤول البريطاني والمتخصص في الشؤون الكوردية ، لذا دأب (الميجر سون) وكعادته على اصدار الصحيفة في بغداد وباللغة الكوردية وسماه (تيكه يشتنى راستى _فهم الحقيقة) لكي يدرك الناس حقيقة واحقية الانكليز وزيف ادعاءات الدولة العثمانية المنهارة.

وقبل صدور الصحيفة كنا قد اشرنا الى صدور مجلة كوردية من قبل جمال الدين بابان في بغداد قبيل الحرب بأسم (بانك كرد _ نداء الكورد) الا انه اضطر لوقف نشاطه الصحفي مع اندلاع شرارة الحرب الكونية الاولى وسوقه الى ميادين القتال كضابط في الجيش. وكان الهدف من صدور (تيكه يشتنى راستى) هو كسب الشعب الكوردي استرضاءه ومجاملته الى حد ما ومن اجل هذا نشرت الصحيفة منذ العدد الاول مقالات وكتابات حول موقف بريطانيا من القضية الكوردية والجهود الحثيثة التي يقوم بها من اجل الشعب

الكوردي وفضح سياسة العثمانيين وجلبهم الخراب والفساد للشعب لذا نرى ان اسم الصحيفة كانت مطابقة لسياسة بريطانيا واهدافها في المنطقة وقد حاولت الجريدة من خلال كتاباتها اثارة الشعور القومي للشعب الكوردي بما يخدم مسيرة بريطانيا وما يريدون تحقيقه في كوردستان ولا سيما ادعائهم بان الانكليز هم اصدقاء الكورد.

لقد صدر العدد الاول من الصحيفة في ٢٠ من عام ١٩١٨ وقد امضى في الصدور أكثر من عام وصدر منها ٦٧ عدداً وكانت ترافق كل عدد افتتاحية تمجد الانكليز ودورهم الريادي في تخليص الشعب من براثن من كانت تسول لهم انفسهم ايذاء الشعب وكبح طموحاته وامانيه المشروعة اضافة الى دور الشاعر الكوردي (شوكرى فضلي) وعدد من الادباء والشعراء بنتائجهم الغنية ..

ان ل (فهم الحقيقة) مكانة كبيرة في تأريخ الصحافة الكوردية حيث كانت تصدر اسبوعياً وبشكل منتظم وكانت اول صحيفة كوردية تنشر الاعلانات والريبورتاجات الصحفية وكذلك كانت اول صحيفة مصورة كوردية تعنى بالشؤون الكوردية ونتاج الادباء والشعراء الكورد اضافة الى متانة لغتها واستخدامها الاسلوب

الصحفي في العمل وانتهى عمر الصحيفة مع اصدار اول صحيفة كوردية في مدينة السليمانية وتحت اسم (بيشكه وتن - التقدم) لسان حال الحكومة البريطانية في كوردستان. (كتاب تيكه يشتنى راستى - د. كمال مظهر)

المبحث السادس

المحافة ما بين الحربين

العالميتين الكارثيتين

أنطفاء شمع (فهم الحقيقة) التي تحدثنا عنها بشيء من الاسهاب برزت صحيفة اخرى نابعة من أعماق كوردستان ولكنها لسان حال المحتل الا وهي صحيفة (بيشكه وتن - التقدم) وهي اول صحيفة كوردية تصدر في كوردستان العراق وبالتحديد في مدينة السليمانية وهي من اصدارات بلدية السليمانية وصدر منها (١٨) عدداً وكانت تحت اشراف الاحتلال البريطاني وكانت تنشر المواضيع الادبية والثقافية اضافة الى المواضيع التي تخص الوضع السائد ودور الحلفاء في الحرب وكان (مير مصطفى باشا يامولي) صاحب امتيازها ورئيس تحريرها وقد استمرت صدورها بين الاعوام (١٩٢٠-١٩٢٢).

وفي عهد ولاية وحكومة الشيخ محمود الحفيد صدرت عدة صحف

منها علنية واخرى سرية كما في صحيفة (بانكى حه ق - نداء الحق) الذي صدرت منها ثلاث اعداد فقط في كهف (جاسه نه) عندما غادر الشيخ محمود الحفيد السليمانية ووقف ضد مشروع الاحتلال بعد ان تيقن بان الانكليز يراوغون في حل المسألة الكوردية وصدرت قبلها صحف (بانكى كوردستان - نداء كوردستان، روزى كوردستان - شمس كوردستان) وبعدها صدرت صحيفة (ثوميدى استقلال - أمل الاستقلال) وكل هذه الصحف كانت لسان حال حركة التحرر الكوردى وامنيات وتطلع الشعب الكوردى بقيادة الشيخ الخالد نحو استقلال الكورد وحريتهم. وبعد الاطاحة بحكومة الشيخ محمود الحفيد توالى صدور الصحف هنا وهناك ولا مجال لسردها هنا بالتفصيل ومنها (زيانه وه - الانبعاث، زيان - الحياة، كركوك، زين، ديارى كوردستان، به يزه، زارى كرمانجى، روناكى، كلاوين) وغيرها.

الفصل الخامس

الصحافة الكوردية في ما بعد

الحرب العالمية الثانية

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية وضمن السياسة الثابتة للاحتلال تم اصدار عدة مطبوعات تخدم

قضيتهم وتروج سياسة الاحتلال والمحتلين الا انهم في الوقت نفسه خدموا الثقافة والادب والصحافة الكوردية عن طريق نشر المقالات ونتاج الادباء والكتاب الكورد، ويجب ان لانسى حقيقة ساطعة هي انه في تلك الفترة لم تكن هناك امكانيات كافية لدى الكتاب الكورد لنشر كتاباتهم ودراساتهم المتنوعة بشكل كتاب لان مسألة طبع الكتب كانت مكلفة جداً في تلك الفترة ولم يكن باستطاعتهم طبع نتائجهم لذا كانوا مضطرين الى نشر ما يجول في خاطرهم وما يبدعون من افكار في الصحف والمجلات لأنها لا تكلفهم شيئاً يذكر، لذا كانت اسهامات الصحف والمطبوعات في هذا الشأن كبيراً جداً اضافة الى انها القناة والوسيلة الوحيدة لايصال نتاج الادباء الى القارىء الكوردي .

صدرت عدة صحف ومجلات في تلك المرحلة ومنها (ده نكي كيتى تازِه - صدى العالم الجديد، به يام - الرسالة... وغيرها)

وبعد انتهاء الحرب الكونية الثانية شمر الكتاب الكورد عن سواعدهم وبدؤوا بأصدار المطبوعات وخاصة ان سنوات ما بعد الحرب شهدت نوعاً من الانفراج والحرية فتم اصدار الكثير منه وعلى سبيل المثال لا للحصر (هه - ولى - أربيل، راي كه

ل رأى الشعب، نأزادى الحرية، خه بات_النضال، بروا_المبدأ، برايه تى_الاخوة، نزار_الغاية، ئيره به غدايه_هنا بغداد، هة تاو_الشمس وغيرها).

وقد خطت الصحافة الكوردية في تلك المرحلة خطوات جيدة في سبيل إيصال أمانى وتطلعات الشعب الكوردي الى القائمين على الحكم وكذلك تنوير وتثقيف الشعب واحاطته بما يجري حوله وطرح الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية امام انظار المآل ليكون على علم بذلك ومنها مسألة الاقطاع وقلة المدارس والمستشفيات والمصانع في كوردستان وعدم الاهتمام بالطرق والجسور ورفع مظلومية الشعب الى المسؤولين لحلها واتخاذ الاجراءات اللازمة والضرورية بشأنها. ومع بدء الحركة الثورية المسلحة للشعب الكوردي اتخذت الصحف موقفاً ثابتاً وداعماً للحركة الكوردية باعتبارها الوسيلة الوحيدة والحل اللازم لانهاء معاناة الشعب فتصدرت عناوين الصحف وأحياناً بشكل جرىء ما يقوم به الثوار ونشاطاتهم داعياً في الوقت نفسه الحكومة المركزية الى وضع الحلول المناسبة وانهاء القتال في ربوع كوردستان العزيزة والوصول الى حل جذري وشامل لكل افرازات

الحرب وما نتج عنها من تشريد وتجويع للشعب وتعويض ما تم فقده وكذلك فتح المدارس والمصانع في كوردستان وإيجاد فرص العمل ومد شبكات المياه والكهرباء وتبليط الطرق وغير ذلك.

والجدير بالمناسبة ان اغلب تلك الصحف كانت تصدر في بغداد والبعض منها كانت تصدر في مدينة السليمانية وخاصة في منتصف ونهاية الستينيات الى ان اعلن البيان التاريخي في ١١ آذار عام ١٩٧٠م.

الفصل السادس الصحافة الكوردية المعاصرة

المبحث الأول:

الصحافة في فترة الازدهار والانتعاش
بعد اعلان بيان الحادي عشر من آذار عام (١٩٧٠) والتي بموجبه منح الكورد نوعاً نسبياً من أجواء الحرية والديموقراطية والانتعاش و البدء بمرحلة جديدة في حياة الشعب الكوردي من النواحي السياسية والاقتصادية والعمرانية بعد حقبة من الخراب والتدمير والقتال التي تعرضت لها كوردستان جراء القتال والتي لم تشهد أية منطقة في العالم فبدأت الحركة والعمران تدب في أرجاء المنطقة وتنفس الناس الصعداء

وكان انعكاس هذه المرحلة كبيراً على الحركة الثقافية والادبية في كوردستان ومنها افتتاح قناة تلفزيونية ناطقة باللغة الكوردية في محافظة كركوك وتأسيس دار الثقافة والنشر الكوردية وأصدار جريدة يومية بأسم (هاوكارى_التضامن) مع مجموعة من الاصدارات والمجلات ومنها (به يان _ روشنبيري نوى _ المثقف الجديد) وكان لجمعية الثقافة الكوردية في بغداد الدور الريادي في نهضة الصحافة الكوردية لما لها من نشاط ثقافي وادبي كبيرين اضافة الى اصدار مجلة بأسم (روزي كوردستان _ شمس كوردستان) وكان من ثمار البيان الآذاري بث الروح في عدة مؤسسات ثقافية وأدبية كانت قد جمدت أو توقفت نشاطاتهم نتيجة الوضع المتوتر في كوردستان قبيل بيان آذار التاريخي ومنها تنشيط وتفعيل اتحاد الأدباء الكورد وجمعية الثقافة والفنون الكوردية وتأسيس المجمع العلمي الكوردي جنباً الى جنب مع المجمع العلمي العراقي ، كل ما ذكر غيض من فيض من نتاج هذا البيان والذي اثمر عن انتعاش الصحافة سواء في بغداد العاصمة أو في مدن وقصبات كوردستان العزيزة ويجب أن لا ننسى أن لجماعة (روانكه _ المرصد) التي تأسست في نيسان

عام (١٩٧٠م) دورهم الكبير والمؤثر في الساحة الادبية والاعلامية بالاضافة الى دور الجماعة وتأهيلهم واسهاماتهم الرائعة في مجالي الادب والصحافة.

لقد كان دور صحيفة (هاوكاري) وعبر مؤسساتها دار (هاوكاري) للصحافة والنشر دوراً كبيراً في ايصال صوت الشعب الكوردي الى العالم وأحتواء الكثير من الادباء والصحفيين حوله ونشر نتاجاتهم وما كتب بأناملهم المبدعة فكانت بحق مدرسة كبيرة لكل الصحفيين والكتاب الكورد وكذلك يجب أن لا ننسى دور جريدة (التأخي) لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني الكبير في الساحة وما كانت تنشره ولحث الخطى في سبيل توعية الجماهير وشحن الهمم من أجل الارتقاء بالصحافة الكورية وتوعية المجتمع نحو بناء مؤسسات

ديمقراطية وتوحيد صفوف الشعب والسعي الحثيث لأجل بناء كوردستان مزدهرة ومتطورة .

المبحث الثاني

فترة ما بعد تحرير كوردستان

شهدت منطقة كوردستان بعد فشل المباحثات بين الكورد والحكومة المركزية بعد العام (١٩٧٤م) نوعاً من الجمود والانحباس الثقافي والفكري نتيجة ما آلت

اليه المنطقة وبدء الثورة الجديدة لشعب كوردستان واندلاع الحرب العراقية الايرانية التي استمرت قرابة ثماني سنوات وما جرته من الخسائر المادية والبشرية وانعدام الاستقرار في المنطقة التي انعكست ظلالها على كوردستان فشهدت نوعاً من التشتت الفكري والثقافي، كما أن غزو الكويت في (الثاني من شهر آب ١٩٩٠م) زاد الطين بلة وأدى الى قيام الانتفاضة في آذار ١٩٩١م حيث أسس مجتمع المؤسسات في كوردستان واصبحت كوردستان منطقة تتمتع بالاستقلال والحكومة الديمقراطية والبرلمان الكوردي مما حدا بالثقفين والادباء الى ان يشمروا عن سواعدهم لبناء المؤسسات الصحفية في كوردستان ونتيجة للجو الديمقراطي الذي شهدته المنطقة بعد الانتفاضة والذي ادى الى اتساع رقعة الصحافة وبدء صفحة جديدة في تاريخ السلطة الرابعة والتطور التي شهدته المنطقة نتيجة الاستقرار فتم اصدار العديد من الصحف والمجلات الكوردية والعربية وكذلك افتتاح الكثير من المؤسسات التي تعنى بالصحافة ومنها على سبيل المثال لا الحصر (مؤسسة برايه تي _ التأخي_أربيل) وكانت تصدر صحيفة (برايه تي) لسان حال الحزب الديمقراطي

الكوردستاني والتي أصبحت فيما بعد (خه بات _ النضال) و(كوردستاني نوي_ كوردستان الجديدة) لسان حال الاتحاد الوطني الكوردستاني ومؤسسات (خاك _ الأرض) و(رامان) اضافة الى العديد من الصحف والمجلات للمنظمات والاحزاب المعروفة في الساحة.

وبعد دخول القوات المتحالفة عام (٢٠٠٣م) الى العراق وانتهى النظام السابق بدأت صفحة جديدة من حياة السلطة الرابعة في العراق عامة و كوردستان بشكل خاص أثر توافر جو من الشفافية والديمقراطية والحرية

المبحث الثالث

الصحافة الكوردية المعاصرة

بعد (٢٠٠٣/٤/٩) وعلى أثر سقوط النظام السابق فتحت أبواب وآمال مشرقة وآفاق رحبة أمام الشعب العراقي بكافة أطيافه ومكوناته واقلياته لكي يتنفس الصعداء وفتحت صفحة جديدة تدعو الى طي الماضي وعدم تهميش الآخر بهدف بناء عراق مزدهر ومشرق خال من الحروب والدمار والويلات فشمروا عن سواعدهم واتخذوا نهج الفريق الواحد للبناء وكل من موقعه وحسب تخصصه وامكاناته

وكفاءته فبدأت مرحلة جديدة في تأريخ العراق المعاصر لذا كان على السلطة الرابعة أن تأخذ موقعها الريادي والمشرّف في هذه العملية وان تلعب دور الأب والراعي والصائن على المصالح العليا للشعب العراقي وأخذت زمام المبادرة فبدأت الصحف والمجلات تغزو المكتبات العراقية وبدأت المؤسسات الصحفية ودور النشر والطباعة بطبع ما لم يمكن طبعه وحدثت ثورة كبيرة وشاملة في مجال الصحافة حيث وصل الامر وبحسب الاحصائيات الدقيقة الى أن في العام (٢٠٠٤) كان يصدر في العراق أكثر من (١٧٥) صحيفة ومجلة بعد ان كانت في العام (٢٠٠٣) لا يتجاوز عددها أصابع اليد وفي الوقت نفسه اسست شبكة الاعلام العراقية وعبر صحيفتها شبه الرسمية (الصباح) الناطقة بأسم الحكومة المنتخبة والتي كانت تسمى في مراحلها الاولى (مجلس الحكم).

وفي كوردستان وبرغم أن المنطقة كانت تتمتع الى حد كبير بنوع من الحرية والديمقراطية ومؤسسات المجتمع المدني كانت الصحافة الكوردية قد مرت بالتجربة نفسها وقد قطعت اشواطاً طويلة في هذا المضمار الا أن الاحداث التي توالى وقد أثرت بشكل ايجابي وبشكل وآخر على

مسيرة الصحافة الكوردية.

ومن المجزات الكبيرة التي تحققت للصحافة الكوردية عام (٢٠٠٣) هو اعادة كافة مؤسسات وممتلكات دار التآخي للنشر والصحافة الى أصحابها وبدأت صحيفة (التآخي) بالصدور مرة اخرى وبحلة جديدة واشرف على تحريرها نخبة جيدة من كبار الصحفيين الكورد ممن لهم باع طويل في هذا المجال ومنهم على سبيل المثال (فلك الدين كاكه يي، محمد البديري ، حسين الجاف، فؤاد حمه خورشيد، بدرخان السندي)، وفي الوقت نفسه صدرت صحيفة (الاتحاد) باللغة العربية لسان حال الاتحاد الوطني الكوردستاني في بغداد وقد شارك مجموعة خيرة من الصحفيين في تحريرها ومنهم (كمال فؤاد، فرياد راوندوزي، مصطفى صالح كريم، عبدالهادي مهدي) وغيرهم.

هذا في بغداد، أما في كوردستان وباقي المناطق الكوردية فقد تم اصدار عشرات الصحف والمجلات الكوردية حتى بلغ الامر ان كل قضاء وناحية وكل منظمة وجمعية تصدر اكثر من مطبوع كما انه في العام (٢٠٠٤) كانت تصدر في هه ولير اكثر من (٣٦) مجلة بين اسبوعية وشهرية اضافة الى المطبوعات التخصصية

وفي شتى مجالات العلم والمعرفة وقد تأسست وتطورت المؤسسات الصحفية والتي ذكرنا قسماً منها فقد حدثت تطورات في مؤسسة (خه بات) ونالت الدعم الكبير من القيادة الكوردية فأصدرت صحيفة (خه بات_ النضال) والتي أشرنا اليها سابقاً ومجلة (كولان) وهي اسبوعية ومجلات (رامان ، هه ريمى كوردستان، ميرك ، كومبيوتر، هه نك، هيلانه ي مندالان، وغيرها) ويجب ان لاننسى أن صحفاً جديدة تم اصدارها مثل (ميديا، ريكاى كوردستان، جيه ماور) وتم استحداث مؤسسات خاصة مثل (مؤسسة موكراني، مؤسسة ثاراس، دار الترجمة، المجمع العلمي الكوردستاني) هذا في اربيل وفي السليمانية صدرت و استمرت بالصدور (كوردستاني نوى ، نالاي نازادى ، خاك، سيخورمه، جاودير، به يف، وغيرها) وكذلك تم انشاء الكثير من المؤسسات الصحفية والثقافية والفنية ومنها (مؤسسة سردم للنشر والطباعة) والتي تصدر مجلتي (سردم) بالكوردية والعربية ومجلة (ثاينده- المستقبل) و (مندالانى سردم) اضافة الى العشرات من الكتب والمطبوعات، ودار الترجمة ومكتب الدراسات والبحوث . والجدير بالذكر أن تحولاً كبيراً

طراً على الصحافة الكوردية وقفزة نوعية لم تشهدها من قبل هو ظهور الصحافة الأهلية الحرة وقد أخذت تلعب دوراً كبيراً في توعية المواطنين ولفت أنظارهم الى السلبيات الموجودة وانتقاد الحكومة لكي تغير من برامجها وقد تمكنت هذه الصحف من احتلال مساحة واسعة في الصحافة حتى وصل الامر الى طبع العدد الواحد اكثر من مرة وغالباً ما كانت صحف سياسية حرة منتقدة للسلطة كصحيفة (هاولاتي _ المواطن) الذائعة الصيت والتي تباع منها حالياً (١٤٠٠٠) نسخة وهي شبه يومية وكذلك زميلتها (ناوينه _ المرأة) وهي صحيفة اسبوعية اهلية تصدر في السليمانية مثل (هاولاتي).

وفي كركوك تصدر حالياً العشرات من الصحف والمجلات منها السياسية ومنها الثقافية والفنية ومنها ما تصدر بأسم منظمات وقسم آخر شبه اهلية ومستقلة ومنها (هه وال - النبا) الصحيفة الاسبوعية السياسية التي تصدر عن مؤسسة (هه وال) وكذلك صحيفة (النبأ) وهي سياسية اسبوعية ناطقة باللغة العربية و (نيركال) بالاشورية، (آينا) بالتركمانية وهي اسبوعية أيضاً، وتصدر المركز الثاني للاتحاد الوطني الكوردستاني صحيفة

(كركوكي نوى) بالكوردية وهي نصف شهرية ومجلة (كركوك الجديدة) وكانت سابقاً صحيفة نصف شهرية وعن بلدية كركوك (شار - المدينة) بالكوردية والعربية والتركمانية والاشورية ومؤسسة (روز) للدفاع عن المرأة مجلة (كوماري روز - جمهورية روز) اضافة الى صحيفة (به يامي كه ركوك _ رسالة كركوك) وهي صحيفة نصف شهرية تصدر باللغة الكوردية لسان حال المركز الثالث للحزب الديمقراطي الكوردستاني و(باسه ره) عن مؤسسة (شه فه ق) وتصدر أيضاً مجلة شهرية بأسم (نه وشه فه ق) وهي ادبية ثقافية، هذا بالاضافة الى مجلة خاصة بالاطفال بأسم (مندالاني بابا كوركور).

ان الكم الهائل من الصحف والمطبوعات التي تصدر باللغة الكوردية هي بالتأكيد أغناء للمسيرة الثقافية والصحفية ومرآة تعكس الفضاء الحر والشفافية التي بدأت تغطي المساحة الثقافية وتعبّر عن حجم الحرية والامكانات البشرية في اغناء المسيرة وممالا يقبل الشك بأن انشاء نقابة الصحفيين في كوردستان وقرار قانون نقابة الصحفيين في المجلس الوطني الكوردستاني خير دليل على المستوى التي وصلت اليه صاحبة

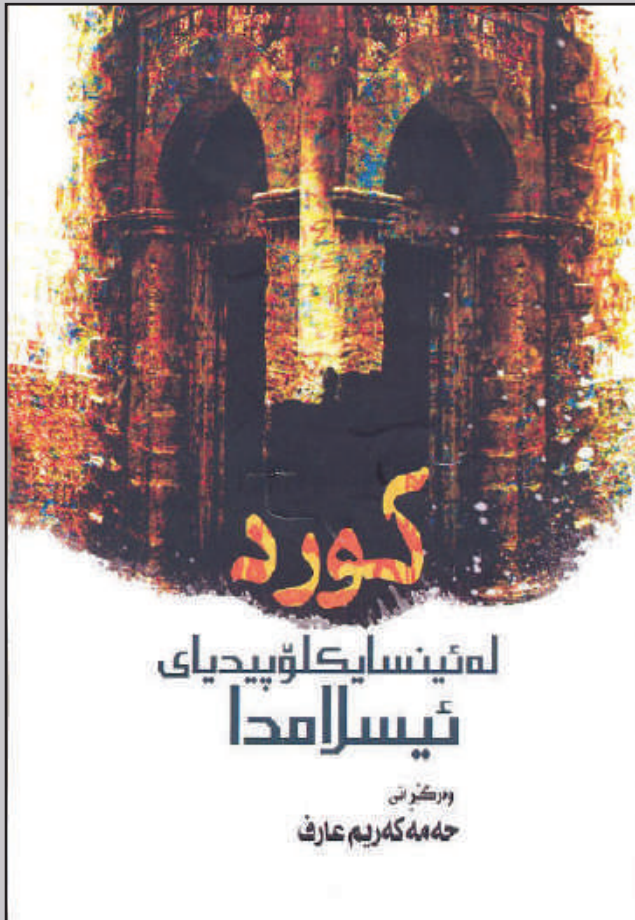
الجلالة وبذلك اكدت الصحافة مرة اخرى بأنها مسيرة المتاعب وبأنها سوف تواصل الخطى وبلا تردد من اجل ايصال رسالتها الى الملأ وبأن الصحافة جزء لا يتجزأ من ارض الواقع وأنها المرأة التي ترى فيها حضارة الامة ورقبيها وتطورها.

الخلاصة

يتناول هذا البحث بشيء من الاسهاب تأريخ الصحافة الكوردية وما آلت اليه والمعوقات والصعوبات التي مرت عليها طيلة ال(١١٠) السنة الماضية ودور رجال الصحافة والمتقنين الكورد في اغناء المسيرة الصحفية الكوردية ورفد المسيرة بأجيال من الكبارالذين ما زالوا كأنجيم السماء ينرون الدرب للأجيال اللاحقة.

ويتضمن البحث مقدمة وتوطئة و أربعة فصول ولكل فصل عدة مباحث مع خلاصة باللغتين العربية والانكليزية ، فيتناول الفصل الاول ميلاد ونشأة الصحافة الكوردية والتي تتمثل بصحيفة (كوردستان) أول صحيفة كوردية وكذلك الاسباب والمبررات لنشأتها بعيداً عن كوردستان الام ، ويتناول الفصل الثاني ميلاد أول مجلة كوردية في مدينة اسطنبول التركية بأسم (روزي كورد _ شمس الكورد) ودورها في الصحافة الكوردية

- واهميتها في مسيرة تأريخ الشعب الكوردي ويتناول الفصل الثالث الصحافة الكوردية في العراق منذ اصدار اول مجلة كوردية (١٩١٤) في بغداد بأسم (بانكى كورد_نداء الكورد) والمسيرة الصحفية في العراق ثم تأتي الصحافة المعاصرة ودوره في الحياة السياسية والثقافية والتي يتناوله الفصل الرابع والآخر من هذا البحث اضافة الى قائمة بالمصادر التي كانت خير عون
- لكتابة هذا البحث والله الموفق .
- المصادر**
- ١- كمال فؤاد، كوردستان، أول صحيفة كوردية (بالكوردية)، بغداد، ١٩٧٢.
- ٢- عبدالله زنكنه، روزى كورد مؤسسه زين، السليمانية، ٢٠٠٥.
- ٣- جبار الجباري، الصحافة الكوردية في العراق، بغداد، ١٩٧٤.
- ٤- كمال مظهر، تيكه يشتنى راستى (فهم الحقيقة)، بغداد، ١٩٧٨.
- ٥- زاهدة ابراهيم، كشف الصحف والمجلات العراقية، بغداد، ١٩٧٦.
- ٦- رفيق صالح، روزنامهى سهرده مى شيخ محمود، سليمانيه، ٢٠٠١.
- ٧- فاروق علي عمر، الصحافة الكوردية العراقية، اربيل، ٢٠٠١.
- ٨- جمال خه زندار، روزى كورد، بغداد، ١٩٨١.



الكورد في الموسوعة الاسلامية

ترجمة: حمه كريم عارف
من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر
سليمانية - ٢٠١٠

فجر الثقافة السريانية

فؤاد يوسف قزنجي

المدخل

أشرق فجر اللغة والثقافة السريانية في مدينة اورهوي (الرها) التي كانت عاصمة مملكة ارامية صغيرة تدعى اسرهوينا التي قامت بين الاعوام (١٣٢ قبل الميلاد- ٢١٠ ميلادية) وذلك في نهاية العصر السلوقي حينما سميت اورهوي (اديسا). وقعت اورهوي بايدي الفرثيين لفترة قصيرة، واحتلها بعد ذلك الرومان في عهد الامبراطور كركلا عام ٢١٠م وجعلوها مستوطنة تابعة لهم. ومن الجدير بالذكر ان اسم المدينة عند المؤرخ ديودورس الصقلي اريخ اي اوروك او نمروود، ومازال الجبل الذي تقع بجانبه المدينة يسمى (عرش نمروود)

دخلت المسيحية الى الرها في نفس الوقت الذي دخلت فيه الى

انطاكيا وذلك في اواخر القرن الاول للميلاد. وكان قد اهتمت الى المسيحية اخر ملوك مملكة اسرهوينة او اورهوي وهو ابجر التاسع اوكاما ، الذي حكم خلال السنوات ١٧٩-٢١٠م وذلك اثناء زيارته الى روما في عام ٢٠٢م. كان اهالي اورهوي قد بدأوا يتحدثون بالعامية الارامية التي تحولت تدريجيا الى اللغة السريانية. اما المسيحيون منهم فقد قبلوا هذه اللغة المشتقة من السريانية لكي يختلفوا عن بقية الاراميين الوثنيين في المدينة. ولقد وجد في آثار المدينة مايقرب من ٦٠ نقشا سريانيا مسيحيا وخنوصيا ووثنيا تعود معظمها الى النصف الثاني من القرن الاول، من بينها نص ظهر بعد الفيزان الذي حاق بالمدينة عام ٢٠١ اشار فيه الى دمار كنيسة للمسيحيين في هذا الفيزان. كما وجد بين هذه النقوش اشعار للملك سليمان وبعض حكم احيقار وبعض من رسائل توما الرسول تشير الى رحيله الى الهند للدعوة الى المسيحية. (١) كما وجد نقش او كتابة تسمى (قبرية ابريكوس) الذي كان مطران مدينة هيرابوليس في اسيا الصغرى مقابل اليونان. حيث كان قد زار في نهاية القرن الثاني بعض المدن في الشرق، والنص يذكر: "رايت سهول السريان وجميع المدن حتى نصيبين وقطعت الفرات، ووجدت المسيحيين في كل مكان كنت اتحدث فيه. ويؤكد الباحث ديرنكر انه قد عثر على اثر للخط السرياني يعود الى بداية القرن الاول، وذلك في انقاض دير مار يعقوب ذي القبور في جبل الرها، حيث وجد نقش

على لوح حجري مكتوب عليه اسم الملكة (شدان) ملكة حدياب، التي كانت تضم مدن ارببلا وماحوزا وحزة وغيرها بين ٥٠ ق.م - ١١٦ م.

تنتمي اللغة الارامية الى عائلة اللغات السامية ، وقد تطورت كتابتها في القرن العاشر او التاسع قبل الميلاد، بعد ان استفادت من الابدجية الفينيقية، وكونت ابدجيتها. اما تاريخ الاراميين فيعود الى القرن الثاني عشر او الحادي عشر قبل الميلاد، هاجرت قبائلهم من السهوب والبراري الفلسطينية والسورية الى داخل سورية، ربما لحدوث جفاف في مناطقهم ادى الى هجرتهم كلهم الى الاراضي السورية التي تقع بقرب الانهار، وكانت هجرتهم من الكثرة والاتساع بحيث سميت منطقة شمال كنعان ببلاد ارام ولفترة طويلة. ان اول نص باللغة الارامية عثر عليه يرقى الى القرن العاشر ق.م. وقد ظلت مجموعات بشرية عديدة تتحدث بالارامية في الهلال الخصيب حتى القرن الاول للميلاد وبعد هذا القرن تحولت الى اللغة السريانية التي اصبحت لغة المسيحيين في سوريا والعراق ولبنان وفلسطين ومصر. وظل المسيحيون في سوريا ولبنان وفلسطين والجزيرة حتى القرن الثالث

عشر، اما في العراق فقد استمر معظم المسيحيين يتحدثون باللغة السريانية حتى الوقت الحاضر. وظل عطاء الاديرة العراقية مستمرا في الثقافة السريانية حتى اليوم رغم ماعنته من مصاعب وتجاوزات. اما المسيحيون في مصر فانهم فضلوا الاستقلال عن المشرقيين السريان منذ القرن الخامس والتعامل باللغة القبطية، لكن بعد قرنين او ثلاثة فقدوا اللغتين السريانية والقبطية . ومن الجدير بالذكر ان الباحث ديرنكر، يشير الى ان اول اثر للخط السرياني يعود الى بداية المسيحية، فقد عثر على نص له في انقاض دير مار يعقوب ذي القبور.

بدات المسيحية بالانتشار في مدن انطاكية والرها وافسس ونصيبين وبصرى وسرجيوبوليس في سوريا، ومدن ماردين وامد وراس العين في الجزيرة، وكذلك في مدن سلوقية ومنطقة حدياب او ارض الاشوريين وفي حيرتا (الحيرة) وكشكر ودير قنى وقرات- ميشان وبيت- لافاط (جنديشابور) وغيرها في العراق بالاضافة الى قطرايي (قطر) والبحرين والقدس وغزا وغيرها. وكان قد رحل القديس توما احد تلاميذ المسيح الى حدياب ومنها الى الهند. كما سافر مار ادي ومار ماري للدعوة المسيحية في العراق

وجنوب غربي ايران (اي منطقة ميشان او بيت هوزاي)، كما ذكر في تاريخ يوسابيوس القيصري، وان المسيحية وصلت عن طريق هذين الداعيين الى اقامة كنيسة في قرية كوكي في ساليق (٢) ومصادر اخرى تذكر ان اول مدينة مسيحية في العراق كانت كشكر. (٣) التي كانت من اكبر المدن العراقية آنذاك.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع بشر الناسك السرياني الاسقف عبيدشوع القناني في قطرايا، واقام ديرا فيها باسم مار توما الرسول ضم بين جدرانها مائتي راهب. وفي عام ٣٠٧ اصبحت مدينة حدره (ام قيس) في الاردن كرسيا اسقفيا، وقد حضر اسقفها ساببوس مجمع نيقية عام ٣٢٥، كما حضره مار نبتس اسقف تدمر، وكذلك نبوقديموس اسقف بصرى، وقوريون اسقف فيلادلفيا (عمان) وحناديوس اسقف حثلون(حيفا) وبطرس اسقف ايلات، وسويرس اسقف راموث جلعاد. كما امن اهل بطرى (بثرا) منذ وقت مبكر بالمسيحية حيث بنيت فيها الى هذا المجمع اديرة وكنائس عدة وكذلك في بواديها الشرقية.، وقد حضر اسقفها استيريوس مجمع الاسكندرية في عام ٣٦٢، كما حضر اسقف هيوبس ايضا. وفي ما بين سنتي ٣٧٣ - ٣٧٨ رسم اساقفة من

سوريا موسى الناسك اسقفا لعشيرة
ماوية اميرة العرب في اطراف
الصحراء.(*).

في الحقيقة، كان اهتداء
الامبراطور قسطنطين بالمسيحية،
من اهم الاحداث التاريخية في
المشرق، والذي يعني قبول اكبر
امبراطورية في العالم بالمسيحية.
الا ان مرسوم ميلانو الذي
اصدره عام ٣١٣ اعطى الحرية
الدينية لكافة الاديان السماوية
والوثنية، ولم يعلن مسيحيته الا
وهو على فراش الموت عام ٣٢٤.
وعاد الاضطهاد الروماني مرة
اخرى في عهد الامبراطور جوليان
(٣٦٠ - ٣٦٣)، ولم تصبح المسيحية
الدين الرسمي للامبراطورية
البيزنطية الا في عام ٣٩٢. في حين
كان الاضطهاد الساساني الوحشي
للمسيحيين في العراق قد وصل الى
ذروته على يد شاهبور الاول ٣٣٩-
٣٧٩ حيث قتل بين ١٠٠٠٠ - ١٦٠٠٠
مسيحي، فخسروا خيرة علمائهم
ورجال الدين فيهم. لذلك كان
عليهم البدء من جديد في القرن
الخامس، حينما حدث الانقسام
المذهبي بين اليعاقبة في سوريا
والنساطرة في العراق وشمال شرقي
سوريا. ومع كل ذلك فقد استطاعوا
اقامة مدارس جديدة وفي العراق
أمنوا شر الفرس باستقلالهم
المذهبي الى حد ما.

في نهاية القرن الثالث هاجر
اللخميون العرب الى جنوب العراق
والى حيرتا(الحيرة) فكونوا مملكة
تحت النفوذ الفارسي، بينهم
كثير من العباديين المسيحيين.
وفي سوريا هاجرت اليها القبائل
الغسانية العربية وخاصة بني
تغلب، وذلك على الأرجح في
القرن الرابع وكان بينهم كثير
من المسيحيين فكونوا مملكة
عربية-مسيحية عاصمتها بصرى
واهم مدنها سرحيوبوليس، مدينة
الشهيد سرجيوس . وصارت
هاتين المملكتين احدهما تقاتل
الاخرى بالنيابة عن الامبراطورية
الساسانية والامبراطورية
البيزنطية، لكن الثقافة السريانية
تطورت في المدن بعيدا عن الصراع
القائم، مثل الرها ونصيبين اللتين
ضمنا مدرستين عاليتين بمستوى
كلية او جامعة. ومن الجدير
 بالذكر انه في هذه الفترة أصبحت
مملكة اثيوبيا او اكسوم مسيحية
في حكم النجاشي غيرناس (٣٢٠-
٣٤٢) بمساعي مار فرومنس الذي
اوفده بطريرك الاسكندرية.
يمكن القول ان جذور الثقافة
السريانية قد استمدت من منبعين
اصيلين هما تراث الحضارات
الارامية والبابلية والاشورية
التي تركت اثرها في اعماق فكر
الانسان الرافديني، والاخر هو

الموجة الثقافية الثانية القادمة
من الاسكندرية حينما تحولت
اكاديمية الاسكندرية الى مدرسة
يونانية مسيحية وذلك على يدي
الفيثوف اوريكن(اوريكانوس) ١٨٣-
٢٥٣ الذي كان قد ولد في الاسكندرية
وتوفي في صور، وقد راس مدرسة
الاسكندرية (٢٠٣- ٢٣٠) وتبعه
عددا من الفلاسفة واللاهوتيين،
الذين سعوا لتطوير الفلسفة
المسيحية واشاعتها في المشرق ومن
بينهم اقليمينس الاسكندري (٢١٥+).
الا ان مدرسة نصيبين التي تعلم
فيها اوائل المثقفين المسيحيين في
العراق وفارس، كانت ذات ثقافة
مشرقية مع منطلق وفلسفة ادواتها
يونانية ومحتواها مسيحي. وكانت
اللغة السريانية قد انتشرت في
العراق في مدن براك- ميشان
وكشكر ومنطقة حدياب التي
تسمى احيانا اشور وفي مدينة كرخ
-دبيث سلوخ وغيرها.
كانت اول وثيقة ادبية سريانية
تعود الى القرن الثاني وهي رسالة
مارا بن سرابيون، فقد نشرها
الباحث (كوتيون) وتكشف عن ادب
جديد في المعنى والاسلوب يختلف
عن الكتابة باللغة اليونانية. وفيها
اشارة الى السيد المسيح والى الدين
الجديد، مع توجهات اخلاقية. وتعد
ترجمة الفيثوف تاتيان (١٢٠- ١٧٣)
للانجيل الى السريانية، فتحا جديدا

لغة السريانية الوليدة سهلت على المشرقيين قراءة الانجيل وتفسيره كما قرا المسيحيون لأول مرة كلمات المسيح المفعمة بالقيم الروحية. وظلت هذه الترجمة مستخدمة والتي سماها تيتان (الدياتسرون) اي الرباعي وهو يقصد انه جعل الاناجيل المقدسة الاربعة انجيلا واحدا، حتى القرن الخامس يقرأها السريان حتى صدرت ترجمة سريانية جديدة لكل انجيل على حدة سميت بالبشيطة، تحت اشراف المطران رابولا. وقد اشتهر في مسيرة الثقافة السريانية الفيلسوف والشاعر برديسان (١٥٤-٢٢٢)، ويبدو من اسمه انه ولد ونشأ في اورهوي، حيث نهر ديسان. كان من نسب نبيل، وصديقا للملكها ابجر الثامن، وقد آمن بالمسيحية في نهاية القرن الثاني. كان برديسان متضلعا في الفلسفة اليونانية، واحب اللغة السريانية وسعى الى نظم الشعر، وشعره رقيق. وقد ألف كتابا فلسفيا بعنوان (قوانين البلدان) ناقش فيه اهمية الارادة الحرة والمصير. وقد ذكر فيه ان المسيحية وصلت الى باكتريا (افغانستان) (٤).

كانت للمسيحية الشرقية صفات نسكية وزهدية مبكرة، وكان افراهاط الحكيم الفارسي والذي سمي ايضا يعقوب افراهاط و

افرام سيروس الذي لقب بالسرياني قد التحقا منذ شبابهما بجماعة متنسكة تدعى (ابناء العهد) وهي اول جماعة تعيش حياة الرهبان في تاريخ المشرق. والجدير بالذكر انها كانت تضم مجموعة من النساء الراهبات. وقد اعتبرت هذه الجماعة العفة والعذرية والبتولية من ارقى صفات الايمان والتقرب الى الله، والتأمل الداخلي حيث يتخلى الانسان عن الرغبات الجسدية ويعيش حياة تقشف كما عاش يسوع الانسان. يبدو ان افراهاط قد وصل الى مراتب دينية ابرزها انه صار مطرانا. ومعظم معلوماتنا عنه مستقاة من عظاته التي بلغت ٢٣ عظة. كتب بالسريانية وحسب. كان يميل الى المونوفسية (الاورثوذكسية)، وابتدأ يتأثر بالفلسفة اليونانية التي بدأت تسود في عصره بين المسيحيين. ومن بين الموضوعات التي عني بها هما الفصح والختان، وبرز مؤلفاته (اربعون سنة من اضطهادات شابور الثاني)، ويعتقد انه في نهاية حياته توجه الى دير مار متى واختلى فيه. ومن بين المفكرين المسيحيين البارزين الآخرين ثيودور المصيبي (٣٥٠-٢٨٣) وهو لاهوتي سرياني، ولد في انطاكية وتوفي في بلدة المصيصة قرب قيليقية، اشتهر بشروحاته

الفلسفية للعقيدة المسيحية. درس على يد ديودور في احد اديرة انطاكية لمدة ١٠ سنوات، ثم اصبح مطرانا في مصيصة. تأثرت مدرسة انطاكية بافكاره وشروحاته بالنسبة لطبيعة المسيح.

في الحقيقة، ان المسيحية في بلاد الرافدين في القرنين الاول والثاني، لم تجابه بقسوة، بل يبدو ان البارثيين كانوا غير معنيين بالقلّة الذين يصلون معظمهم في بيوتهم في سلوقية واربيلا وكشكر او غيرها. وقد اختلف الامر في الربع الاول من القرن الثالث، حينما صدر مرسوم ميلانو الذي خلص المسيحيين من الاضطهاد الروماني حيث كان قد تم اعدام الكثيرين من الرعيل الاول في الدعوة المسيحية وكذلك الابهاء الاولين امثال القديس بطرس مؤسس الكنيسة والقديس بولص انشط داعية في تاريخ المسيحية، والفيلسوف ايوجين وغيرهم ممن كانوا يرمون احيانا الى الاسود في الملاعب. واقلق ذلك الملك شابور الثاني الذي كان والده اردشير الاول قد استولى على العراق بعد ان دمر مملكة ميسان الارامية في اثناء زحفه نحو العراق وذلك في عام ٢٢٥، ثم حاصر ودمر مملكة حطرا (الحضر) الرافدينية في عام ٢٤١، ولم يلتفت الى المسيحيين، لكن الملك شابور الثاني اعتبر

المسيحيين، متحالفين مع الدولة العدو الامبراطورية البيزنطية، وشجعه في ذلك (الموبذانات) رجال الدين الذين تبناوا الزرادشتية. فشن جيشه حربا شعواء على المسيحيين وعلى رجال الدين خاصة في جميع انحاء العراق، وتوجد وثائق تشير الى قيامه باعدام ١٦٠٠٠ مسيحي ومن خيرة رجالاتهم، وذلك خلال فترة الاضطهاد الطويلة التي استمرت خلال الاعوام (٣٣٩-٣٧٩). وتحدث النصوص السريانية الى قيامه اولا باستدعاء الجاثليق سمعان برصباي مع ١٣٠ من اتباعه وطلب منهم ان يدعوا المسيحيين الى ان يدفعوا ضعف الجزية او الضريبة، وقد جرى ذلك بحضور جميع مطرنة العراق وفارس، فلما اجابه الجاثليق ان المسيحيين اكثرهم فقراء وهو لا يستطيع ان يامرهم بذلك، قام الملك شابور بقتل جميع المطارنة امامه، ولما اصر على رايه قتله ايضا. (٥) ويذكر ان الاضطهاد قد عاد خلال السنتين ٤٥٧، ٤٣٨. ويحفظ لنا التراث السرياني في هذه الفترة رواية بهنام واخته سارة الشهيدين وعلى النحو التالي: "كان والدهما حاكما على منطقة الاشوريين لعلها حدياب يدعى سنحاريب او الملك سنحاريب، وكان بهنام قد ذهب للصيد، ثم ضل طريقه،

فاضطر الى البحث عن ملجأ، فوجد احد الكهوف فالتجأ اليه، وكان ذلك الكهف في جبل مقلوب شرق نينوى. وهناك التقى بالرجل التقى مار متى حيث حدثه عن المسيحية واهمية الايمان بالرب الواحد. وقد تآثر بهنام بما سمع، وسال مار متى اذا ما كان يستطيع ان يشفي اخته سارة المريضة والتي كانت تعاني من مرض جلدي لاشفاء له (لعله البرص). وفيما بعد جاء بهنام باخته الى مار متى، الذي استطاع بنعمة الله تعالى ان يشفيها من مرضها. ولما علم والدهما بالامر، وانهما تركا دينهما الزرادشتي وقبلا بالمسيحية، امر بقتلهما معا. ودفنا في جنوب نينوى. لكن نتيجة عمله الاحمق والشرير، اصيب الحاكم سنحاريب بالجنون، وفي محاولة لشفاءه من جنونه، ذهبت زوجته به الى كهف مار متى، وطلبت من هذا القديس ان يشفيه من مرضه، فصلى مار متى الى الله والمسيح ان يشفيانه وبعد حين يشفى سنحاريب. حينذاك يطلب هو وزوجته ان يعمدانهما كمسيحيين. وقد ساعد هذا الحاكم (الذي كان يسمى الملك) في بناء دير مار متى الذي يقع في سفح جبل مقلوب شرق نينوى، كما قام ببناء دير آخر حول قري بهنام وسارة سمي بدير الشهيد بهنام. وما زالا هذين الديرين عامرين. عندما اعتلى العرش الساساني الملك يزدجرد الاول بعد موت شابور، اوقف عمليات الاعدام ووافق على اخلاء سبيل الاف المسجونين من المسيحيين، خاصة بعد تحسن العلاقات الساسانية-البيزنطية". وفي اواخر القرن الثالث هاجرت كثيرا من القبائل العربية الى جنوب العراق من بني اسد وكتب واياد وتنوخ ومنهم العباد الذين كانوا من القبائل النصرانية او المسيحية في الجزيرة العربية واليمن وخاصة نجران، وسكن العباد في حيرتا (الحيرة) التي ذكر في المصادر العربية انه كان تسكن فيها قبيلة كلدية والراجح انها كانت تتحدث بالارامية. ويذكر ان المسيحية انتشرت في الحيرة في القرن الرابع للميلاد وكذلك في نجران. واشير الى كنيسة نجران التي شيدها بنو عبد الديان الحارثي، وذاعت المسيحية ايضا في صنعاء وجزيرة سقطرى وكذلك في البحرين وقطرايا ومنطقة ميشان التي كانت مملكة تتألف من بقايا القبائل الارامية مثل الكلبيين: للمزيد راجع كتابنا (اصول الثقافة السريانية). لم يكن للثقافة السريانية ان تنمو بدون المدارس التي ترعاها وتمدها بالمعارف والعلوم. فبجانب

المدارس الأولية التي اقيمت في الاديرة والتي تدرس اللغة والدين ومبادئ العلوم، اقيمت في امهات المدن في سوريا والعراق مدارس سريانية عليا ذات مستوى علمي سواء في موضوعاتها او في تنظيمها: كانت مدرسة انطاكية اولى هذه المدارس في الهلال الخصيب والتي شابهت في موضوعاتها واصول التدريس فيها مدرسة الاسكندرية. وقد اسسها لوقيانوس الانطاكي (٢٣٥- ٣١٢) في اواخر القرن الثالث للميلاد، وهي مدرسة لاهوتية في الاصل، ثم تطورت في مناهجها على يد احد العلماء السريان وهو مار افرام السرياني ومعه بعض الاساتذة من مدرسة نصيبين الذين اغلقوا المدرسة قبيل ان يحتلها الفرس في عام ٣٦٣ وازدادت شهرتها حيث استمر افرام ينظم القصائد في نقد ومهاجمة البدع المختلفة. واستمرت في العطاء في العلوم والاداب السريانية، حتى تراسها نرساي في السنوات (٤٣٧- ٤٥٧) وطور مناهجها وجعلها مدرسة سريانية فكرية. وكان رابولا من المجادلين في الدين ومن الاساتذة والكتاب المجودين. واشهر اساتذتها يوحنا فم الذهب الذي كان لديه مؤلفات في تفسير العهد القديم والانجيل وعن حياة الرهبنة وكذلك ثيودوريتس القورشي

الذي اشتهر في تاريخه الكنسي وفي مواضيع عن العقيدة. ثم شاع فيها بدعة نسطور فاغلقت في عام ٤٨٩. وكانت مدرسة نصيبين قد افتتحت بعد مدرسة الرها وذلك في الربع الاول من القرن الرابع، حيث تشجع السريان على اقامتها وعلى راسهم الاسقف يعقوب، وقد تخرج على يديه افرام السرياني، الذي اصبح مدرسا فيها ثم مشرفا عليها. وقد دحض افرام هرطقات مرفيون واريوس في كتابات فلسفية وفي قصائد نقدية. ان ابرز اشعاره جاءت في ديوانه الذي فيه عبق تاريخ نصيبين. كما وجدت له قصيدة تتحدث عن عظمة زنوبيا، واخرى تتحدث عن غزوالبرابرة الهون لاوريا وكانوا قد وصلوا قرب القسطنطينية، والتي جاء فيها:

الشمال تعيس، وتحف به الحروب،
اذا ما تركتهم يارب، فسوف
ينتهون الى الفناء،

واذا ما وصل الهون وانتصروا علينا،
فلماذا لانلتجأ الى الشهداء؟
واذا كان اعتمادهم على السيف،
فلماذا لانرتكن الى الصليب الحي؟
واذا كان علي ان اسلم مدينتي اليهم،
فاين مجدك ياكنيسة المقدسة؟
لم يمض عام حينما كان الفرس
الهمج هنا،
اولئك صلبوا ابنائنا الاسرى،

واذا ماجاء هؤلاء وهددوا اراضيها،
فما علينا الا القتال او الفناء. (٦)

ولعل الفلاسفة السريان الذين علموا في الفلسفة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع في مدرسة دير قنّي ومدرسة بغداد من امثال ابراهيم قويري وثيوفيل وقسطا بن لوقا وابو بشر، متى بن يونان (يونس) القناني وغيرهم، كانوا قد درسوا في مدرسة نصيبين، حيث كان الفكر المسيحي وفي البداية قد تأثر بالفكر الفلسفي اليوناني. بحيث سار، بخط موازي مع مفاهيم اوريكانس وقورلس واشباسيوس الاسكندرانيين، لكن العراق، كان بعيدا عن الاجواء ذات الاصول الرومانية المسيحية المتأثرة بالفلسفة اليونانية. الى حد ما.

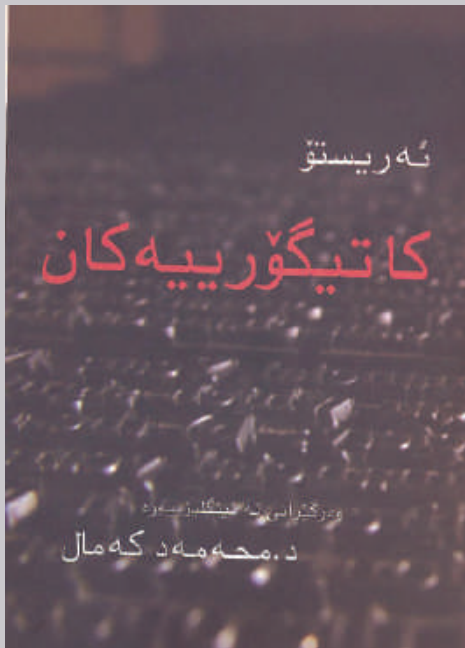
كما اشتهرت كتابات يوسابيوس القيصري وله كتابان تاريخيان هما: اخبار الاحداث والتاريخ الكنسي، يغطيان تاريخ المسيحية من القرن الاول لغاية عام ٣٢٣، وهو من اهم التواريخ ولا نعرف سبب عدم ترجمته. كما لديه اربعة مؤلفات اخرى هي: حياة الامبراطور قسطنطين، وتمهيد الى الحياة الانجيلية، وبرهان انجيلي، وشهداء فلسطين تحدث فيه عن المسيحيين الاوائل الذين قتلوا على

(٢) عبودي، هنري. معجم الحضارات السامية. جروس برس ١٩٩١، ص ٧١٦
(٤) ابونا، الاب البير. «كنيسة كوشي» مجلة بين النهرين ٢٠٠٤ ص ٥٠
5-Rassam, S. Christianity in Iraq. Loc. Cit. P.32(5)
6-Wright, William. A Short History of Syriac Literature. London, 1894. P.40
(٧) قزانجي، فؤاد يوسف. اصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين. عمان: دار دجلة ٢٠١٠، ص ١٣٠-١٣

المصادر والهوامش

*المقصود بالثقافة السريانية: الثقافة المشرقية للأقوام المسيحية من ذوي الاصول الارامية والبابلية - الكلدية والاشورية وغيرها.
1-Love to Know (Anonymous) Syriac Literature 1911(Elec.
2-Rassam, Suha. Christianity in Iraq. Gracewing, 2005. P.25
(*) جقي، مراد فؤاد. نعوم فائق ذكرى وتخليد. دمشق: المطبعة الحديثة ١٩٩٦،

ايدي اليهود، امثال اول الشهداء القديس اسطيقيان الذي مات بين عامي (٣٢-٣٥) رجما بالحجر، والقديس يعقوب الاكبر احد تلاميذ المسيح الذي اعدمه اغريبا عام ٤٤ والقديس يعقوب الصغير، وهو ايضا من تلاميذ المسيح الذي صعد به اليهود الى اعلى الهيكل والقوة من هناك عام ٤٦.



ارسطو المقولات

عن الانجليزية: د. محمد كمال
من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر
سليمانية - ٢٠١٠

ارسطو فن الشعر

عن الانجليزية: د. محمد كمال
من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر
سليمانية - ٢٠١٠



تطور الفكر الديني في كوردستان و أثره في الديانات الكبرى

(الحلقة الأولى)

مرشد يوسف

لمحة تاريخية

"أي سومر، أيتها الأرض العظيمة بين كل أراضي الكون، أنت التي يغمرك ضوء لا يخبو، يا من تسنين القوانين الإلهية لكل الشعوب من المشرق الى المغرب".

"حينما..... هبطت السلطة الملكية من السموات، وضع الاله.... الشعائر والقوانين الإلهية العليا.... وأسس خمس مدن في... أماكن مقدسة، ومنحها أسماء وجعلها المقدسات الرئيسية".

"انها المدينة... لاتطيل أعمار المجادلين، وفي الحكمة لا تسمح بقول السباب، وفي الداخل والخارج لا تسمح بالأحاديث الكاذبة، بكلمات العدا، بالانتهاكات والمشادات، بالقضاة الحاقدين وبالظلم، بالنظرات الحاقدة، بالعنف والوشاية، بالوقاحة، بالحنث في

الكلمة، مثل هذه السفالات لاتعرفها المدينة".

"... هناك يقبلون الضحايا ويغفرون الذنوب، الكاهن الأعلى مبجل مع المعبد، يناييع المعبد قوية في الشفاء، كهانه مكتملون في الشعائر، خدمه طاهرون في الصلوات".

"في المدينة، مستوطنة انليل المقدسة... في نيبور، قدس الأقداس الأب، الصخرة المقدسة، الهيكل المزدهر، اكور، المعبد اللازوردي، من الرماد ارتفع كجبل شامخ، وفي مكان نظيف بناه".

"أيتها المدينة، كل شيء متوفر لك، تغسلك مياه لاتنضب، أنت راسخة، وكالثور منصة خصب للبلاد، مدينة قدر مصيرها انكي، يا حرم أور، فلترتفع إلى السموات".

عبر هذه النصوص المقدسة،

وصف السومريون أنفسهم، معبرين بشكل شاعري شفاف، وفلسفي جدلي، واسطوري حالم عن واقع تفوقهم الثقافي والميثولوجي والديني.

والحقيقة أن الحضارة السومرية التي وضعت الأسس والمبادئ الأولى للكتابة و التاريخ المقدس والميثولوجيا والدين والتبدلات المرتبطة بهذه الابداعات، حولت بوضوح ظروف وتطور الحضارة البشرية باتجاه التقدم وغيرت بيئة الانسان الطبيعية وبيولوجيته وغيرت اسلوب الحياة على كوكبنا الى الأفضل، و الباحثون متفقون على المغزى الكبير الذي تنطوي عليه الحضارة السومرية بالنسبة إلى تطور المجتمع البشري.

واذا انتقلنا من المسلمات والأحكام العامة إلى النظر في الوقائع

والمواد الملموسة فإن ضوء الحضارة السومرية مازال يشع من تحت الأنقاض ينتظر الأنامل الرشيقة والعقول العلمية لاكتشاف المزيد من أصولها وينايبعها المدفونة في أعماق التلال المتناثرة في جنوب بغداد حتى شط العرب. ولكن من هم السومريون؟؟؟؟

أصل السومريين:

الكلمة المقطعية السومرية (UMA-DA-KAR-DA) التي وجدت على مدرجات معبد سومري يرجع تاريخه إلى 2000 ق.م، والتي فسرت من قبل عالم الآثار (DANGEN) على أنها تسمية جغرافية، وفسرها العالم الأثري درايفر (H. K.DRIVER) على أنها بلاد كاردو السومرية وحدد موقعها في جنوب بحيرة وان، هذا الرأي العلمي يعطينا إشارة أولية حول الصلة بين السومريين والأكراد، وهذه المنطقة التي ذكرها العالم درايفر (H. K.DRIVER) (تشكل جزءاً من بلاد الكورد الذين ذكرهم سترابون وقال: بأنهم نفس الكاردوخيين القدماء، وحدد موطنهم في شرق نهر دجلة وطوروس وقال سترابون (إن جبالهم تدعى جبال كردستان). ويعرّف السومريون أنفسهم حسب النصوص المسمارية

السومرية بالرمز (K ÊIN-CÎ) وهذه الكلمة السومرية تتألف من ثلاثة مقاطع وتعني في السومرية أسياذ الأرض، وهي تعني أيضاً في اللغة الكردية أسياذ المكان أو أسياذ الأرض (KÊIN) (CÎ) ولقب كي الذي يعني السيد باللغة الكردية مازال متداولاً في اللغة الكردية حتى الوقت الحاضر، ويؤسفني أن أقول أن علماء الآثار واللغات لأسباب نجهلها لم يقارنوا بين اللغة السومرية واللغة الكردية ولو فعلوا ذلك لانتهدت معضلة أصل السومريين وأصل لغتهم الإلصاقية وأقروا بنظرية صلة الأكراد بالسومريين وأنهم شعب واحد، والدكتور فاضل عبد الواحد أستاذ السومريات في جامعة بغداد الذي يملك باعاً طويلاً في أبحاث السومريات يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن السومريين امتداد لأقوام ما قبل التاريخ في وادي الرافدين، وأنهم انحدروا من شمال العراق، وبعد البحث والتقصي لم نجد شعباً يتكلم بلغة الصاقية، ويسكن باستمرار في شمال بلاد الرافدين منذ آلاف السنين وحتى الوقت الحاضر غير الشعب الكردي. ولدينا دليل آخر على صحة هذه النظرية وهو أن اللغتان السومرية والكردية من أرومة واحدة ومتشابهتان في اللفظ والمعنى

والقواعد ومتطابقتان في الكثير من الكلمات، وتتكون الكلمات في اللغتين من جذر ومقاطع ويختلف معنى الكلمة بإضافة مقطع أو أكثر إلى الجذر الواحد لتعطي معنى محدداً¹ مثل الجذر (DAR) الذي يعني الخشب فإذا أضيف إليه المقطع (ISTAN) يصبح (DARISTAN) وتعني الغابة في اللغة الكردية، وإذا أضيف إلى نفس الجذر مقطع (BEST) تصبح (DARBEST) وتعني النعش الذي يحمل عليه الميت إلى القبر.

ونظراً لقلّة المفردات السومرية المكتشفة والمتوفرة بين أيدينا فإن الكثير مما هو متوفر يتطابق لفظاً ومعنى مع المفردات الكردية المطابقة وفيما يلي مقارنه بين كلمات سومرية وكردية على سبيل المثال لا الحصر:²

- كلمة أو تنا بشيتم (OTENE BIJÛTIM) وهو اسم بطل أسطورة الطوفان السومرية ومعناها بالسومرية هو الرجل الوحيد الذي يتمتع بالخلود وهي مكونة من ثلاثة مقاطع (أو - تنا - بشيتم) وتتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية أو تنا بيشيتم التي تعطي نفس المعنى أي الذي يعيش لوحده خالداً. - كلمة كال (GAL) السومرية

القول التي تطلق على رجل الدين الإيزيدي الذي ينشد الأدعية في الطقوس الدينية الإيزيدية ربما تكون محرفة من كلمة (KALO) السومرية.

- كلمة لو (LO) السومرية التي تعني رجل تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية لو (LO) التي تعني أيضاً الرجل وتقابلها كلمة لي (LI) التي تعني المرأة.

- كلمة را (RA) السومرية التي تعني لأجل تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية (RA) مثال: لو كال بير (LOGAL-BI) (RA) التي تعني في السومرية لأجل لو كال.

تقابلها في اللغة الكردية جمل كثيرة مثل:

من أجل بوتان - (JI BOTAN - RA) .

- كلمة كو (GU) السومرية التي تعني الثور تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية كولك (GULIK) التي تعني العجل.

• كلمة دومو مي (DUMO-MI) السومرية المكونة من مقطعين دومو (DUMO) = (طفل ومي) (M Ê) انثى وتعني في السومرية طفله تشبه الكلمة الكردية التي تتكون أيضاً من مقطعين لتعطي معنى الأنثى

= NINIY (سيدة = GIR+ الجبل أو التل) أي سيدة الجبل.

• كلمة لوجن جي (LOGWIN CI) السومرية والتي تتألف من ثلاثة مقاطع LO= الرجل، GIN= يذهب أو GI= المكان).

وتعني بمجموعها الرسول في اللغة السومرية وهي تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية المركبة لوجن جي التي تفيد بمجموعها معنى الرسول أيضاً.

- كلمة نندا (NENDA) (السومرية التي تعني الطعام) تتطابق مع الكلمة الكردية نن (NAN) التي تعني الخبز - الطعام.

• كلمة كالو (KALO) السومرية تعني الشاعر أو المنشد أو المجرب الكبير أو القول باللغة السومرية حسب ترجمة العالم دانجر (DANGER) تتطابق لفظاً مع الكلمة الكردية كالو (KALO) التي تعني أيضاً المجرب أو الكبير.

وردت هذه الكلمة المهمة في كسره من لوح كتابي مسماري ميثولوجي تصف التضحية بالثور تقرباً للإله ومن ثم يؤخذ جلده لتصنع منه الطبول التي كانت ترافق الكالو (KALO) أثناء إنشاد الأدعية والصلوات، وكلمة

التي تعني الكبير - العظيم. تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية (GAL) التي تعني أيضاً الكبير (في العمر - كبير العائلة - الكبير من ناحية الأهمية).

• كلمة حيمي (CIMÊ) التي تعني في السومرية (أمي) تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية (CAMI) التي تعني أيضاً أمي بالكردية.

• كلمة جين (GIN) (السومرية التي تعني يذهب. تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية جين (Ç W Î N) التي تعني أيضاً يذهب - الذهاب.

- كلمة جه (CEH) السومرية التي تعني الشعير (نوع من الحب) تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية جه (CEH) التي تعني أيضاً الشعير باللغة الكردية.

- كلمة خو (XU) السومرية التي تعني يأكل تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية خو (XU) التي تعني أيضاً الأكل أو يأكل أو كل.

• كلمة نكر (NIN) (GIR) السومرية التي تتكون من مقطعين GIR+NIN تعني بالسومرية (سيدة التل - الجبل) تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية المكونة من مقطعين أيضاً

ثعلب أراد أن يتباهى أمام زوجته يوماً فقال:

هيا لنسحق مدينة أوروك بأسناننا كالكراث.

وهلمي لنشدّ مدينة كلاب بأقدامنا كما لو كانت حذاء.

وعندما وصلا لمسافة ميلين من المدينة أخذت الكلاب تنبح عليهما، فصاح الثعلب بزوجه:

جمي تمال - جمي تمال (ÇİMÊ TIMAL) وتعني باللغة السومرية لنذهب إلى البيت، لنذهب إلى البيت،

وهذه الجملة تتطابق معنى ولفظاً مع الجملة الكردية جمي تمال (ÇİMÊ TIMAL) التي تعني أيضاً لنذهب إلى البيت.⁵

-كلمة أما تمال (EME TENE) السومرية التي تعني الشاذ، أي الفرد الذي لا مثيل له تتطابق مع الكلمة الكردية تمال (TENE) التي تعني الوحيد أيضاً أي الذي لا مثيل له.

• كلمة آلام (ALAM) التي تعني في السومرية تماثل تتشابه لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية آلامات (ALAMAT) التي تعني أيضاً التمثال.

مثال شكفتا الاماتا وتعني مغارة الرسوم والتماثيل المنحوتة في الصخر

اللغة الكردية حصان التلقيح (فعل ممارسة الجنس عند الحصان).

-كلمة أريستا تاري (ARÎSTA TARÎ) التي تعني بالسومرية أرض الظلام تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية أريدي تاري (ARDIY TARIY) أي الأرض المظلمة.

-كلمة أودون (UDUN) (السومرية التي تعني الموقد . تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية أتون (ATON) التي تعني أيضاً الموقد.

-كلمة نمير (NEMIR) (السومرية التي تعني المخصي . تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية نمير (NEMÊR) التي أيضاً تعني المخصي.

• كلمة شاركشاتي (SAR KISATÎ) السومرية التي تعني ملك العالم، ملك الكل . تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية سرلكشاتي (SERGISATÎ) التي تعني أيضاً قائد الكل وهنا انقلب حرف السين إلى شين وهذا وارد في اللغات.

• كلمة كور (GUR) السومرية التي تعني العالم الأسفل (القبر) تطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة كور (GUR) الكردية التي تعني القبر . وتكشف ألواح سومر عن قصة

مثل مي كو = (KEW MÊ) أنثى الحمام . (DUM MAM) (التي تعني ابنة العم.

-كلمة ادان (A DAN) السومرية التي تعني موعداً أو وقتاً . تتشابه لفظاً ومعنى مع كلمة دان (DAN) أو دانك الكردية (DANEK) التي تعني الموعد أو الوقت.

مثال : داني ايفاري (DANÊ ÎVAR Î) أي وقت المساء.

-كلمة آرا (ARA) السومرية التي تعني فعل الطحن تتشابه مع الكلمة الكردية هيرا (H Ê RA) التي تعني فعل الطحن أيضاً باللغة الكردية.

-كلمة بار (BAR) السومرية التي تعني قطعة . تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية بار (PAR) التي تعني قسمة أو حصة أو قطعة (تقسيم الشيء إلى قطع متساوية).

• كلمة دار (DAR) السومرية التي تعني الخشب - شجرة تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية دار (DAR) التي تعني أيضاً الخشب أو الشجرة.

-كلمة كيشي (KÊSÎ) السومرية التي تعني العضو الذكري تشبه جملة كردية تعطي نفس المعنى مثل هسبي كيشي (HESPÊ KÊSÎ) وتعني في

الرماد .

كلمة نو ميشو (NU - M Ê)
 S U التي تعني المرأة الأرملة في
 السومرية تتشابه لفظاً ومعنى مع
 المقاطع الكردية التالية نا (N A)
 لا، مي = (M Ê) أنثى، و (JU)
 = (جن = المرأة) (JIN) وتعني
 بمجموعها امرأة بلا زوج.

• كلمة انشي (INSÊ)
 السومرية التي تعني الحمار تتشابه
 مع الكلمة الكردية هوشى (HO S)
 (Ê) التي تعني اسم الحمار أيضاً أو
 اصطلاح يطلق عن الحيوانات مثل
 الحمار والبغل بشكل عام، وهنا حل
 حرفا الشين محل حرف السين.

- كلمة أ (A) التي تعني
 الماء بالسومرية تتشابه مع الكلمة
 الكردية أف - أب (A - AV = AV)
 (التي تعني الماء أيضاً.

- كلمة هكار (A - GAR)
 السومرية التي تعني حفرة الماء
 تقابلها بالكردية أفكير (AV)
 (GÊR) وتعني حفرة الماء أيضاً.

• كلمة ابانا (ABANNA)
 (السومرية التي تعني الهاون
 المصنوع من الحجر تقابلها
 الكلمة الكردية هاون (HAWIN)
 (وتعني الهاون أيضاً المصنوع من
 الحجر أو المعدن.

- كلمة اوخلو (UHULU)
 التي تعني الرماد باللغة السومرية
 تقابلها الكلمة الكردية خولي
 (X W EL Î) التي تعني

خشب وما شابه.

• كلمة ماك (MAK)
 وتعني الأم الكبيرة في السومرية
 تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة
 الكردية ماك (MAK) التي
 تعني أيضاً الأم الكبيرة.

• كلمة كيسك (KÊSIK)⁶
 (السومرية التي تعني الفتاة
 تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة
 الكردية قيزك (QÎZIK) التي
 تعني أيضاً الفتاة (وحرف الكاف
 تبادل بحرف القاف)

- كلمة (زك) السومرية التي
 تعني البطن تتطابق لفظاً ومعنى
 مع الكلمة الكردية زك التي تعني
 أيضاً البطن.

- كلمة (كار) السومرية التي
 تعني مركز المدينة التجاري (مكان
 العمل) تتطابق لفظاً ومعنى مع
 الكلمة الكردية كار التي تعني
 العمل (مصطفى الموسوي، وكتابه
 الذي يحمل عنوان: العوامل
 التاريخية لنشأة المدن العربية
 والإسلامية، دار الرشيد بغداد
 1982 صفحة 355.

- كلمة دورو (دورو) السومرية
 التي تعني السور أو الجدار، تتطابق
 لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية
 دورمال (دورا خيني) وتعني
 جدار المنزل (حول).

- كلمة (الزكورة) السومرية
 التي تعني الجبل الأبيض تتطابق

- كلمة أرا هور (ARA HÛR)
 (السومرية التي تعني طحن
 الحبوب تقابلها الكلمة الكردية
 المطابقة أرا هور (ARA HÛR)
 التي تعني الحب الناعم (المطحون
 بشكل ناعم (أو آري هور (ARI
 (HÛR الطحين الناعم).

• كلمة هار آش (HAR AS)
 (السومرية التي تعني حجر
 الرحي) الطحن (تقابلها في الكردية
 آش هيرين (AS HÊRÎN)
 وهي تعني أيضاً حجر الطحن أو
 المطحنة الحجرية الخاصة بطحن
 الحبوب.

- كلمة ماخال (MAHAL)
 (السومرية التي تعني المنخل وهي
 الأداة التي تستخدم في تصفية
 الحبوب والطحين . تقابلها في
 الكردية موخل (MOXIL).

- كلمة دوموبيسان (DUMU BISAN)
 (السومرية التي
 تعني المدرس تقابلها في الكردية
 كلمة دبستان (DIBÎSTAN)
 التي تعني المدرسة وهناك تشابه
 في الكلمتين من ناحيتي اللفظ
 والوظيفة.

• كلمة دوب (DOB)
 (السومرية التي تعني اللوح تقابلها
 في الكردية كلمة (DEP) (أو
 (DEB التي تعني أيضاً لوح

لفظاً ومعنى في المقطع الثاني (كورة) مع الكلمة الكردية كورة التي تعني ابيض، وترك لنا السومريون الكثير من التراثيل المقدسة التي تتوجه الى الجبل كرمز ديني له ارتباط بالذات الجمعية السومرية التي نزحت من جبال زغروس لتستقر في جنوب العراق. كلمة (راست) السومرية التي تعني الاستقامة تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية راست التي تعني الاستقامة.

-كلمة (نو وار) السومرية التي تعني المكان الجديد تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية نو وار التي تعني المكان الجديد. -كلمة (آبزو) السومرية المركبة من مقطع آب وتعني الماء والمقطع زو وتعني الماء الذي ينضح من الأرض، تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية آبزيك أو آفزوك.

هوامش:

١- راجع مجلة متين، الأعداد ٧٣-٧٥، بحث أعده السيد مسعود ٧٤-٧٥، بحث أعده السيد مسعود

سعيد ياسين
٢- المصدر السابق، و مراجعة كتاب سومر وأكاد د، وديع بشور، دمشق ١٩٩١.
٣- وردت في نص سومري، ص ٢٥٨ من كتاب مغامرة العقل الأولى، فراس سواح.
٤- المصدر السابق.
٥- سومر وأكاد : د . وديع بشور، ص ١٥٥.
٦- قاموس الآلهة والأساطير : د. ادوارد م. ه بوب ف. رولينغ، ص ١١٧-١١.
- مرشد اليوسف : باحث في علم الآثار - دبلوم دراسات عليا في علم آثار الشرق القديم- جامعة دمشق
m.yousef2@yahoo.com



نظرات فلسفية

تأليف: د. علي حرب
ترجمة: عدالت عبدالله

من مطبوعات مجلة "والا بريس"
سليمانية - ٢٠١٠

الجيل الثالث من أسلاف الكرد

د. أحمد الخليل

١- مانناي Mannea

النشأة والجذور:

مانناي فرع آخر من فروع أسلاف الكرد، وقد ظهر منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد في جنوبي بحيرة أورميه، وكانت بلاده تضم المدن الكردية في شمال شرقي إيران حالياً، ومنها مهاباد وسقز (ساكز) Sakkez وشنو (أشنويه)، واشتهر اسم هذا الفرع لأول مرة في النصوص الآشورية المسمارية عام (٨٤٣ ق.م) باسم (مانناي)، وتسمّى بلادهم (مانا، ماننا، مرننا، مَنَناش)، وثمة من يرى أن (ماننا) Manna من الأقوام التي سُمّيت Zagro- Elamite، وهم أقرباء اللولوبيين، واختلطوا بالهوريين، ومنذ بداية القرن التاسع إلى القرن الثامن قبل

الميلاد بدأت تظهر بينهم أسماء آرية، وكانت عاصمتهم هي إزيرتا Isirta، وموقعها على بعد (50) كم شرقي مدينة سقز. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٨٤/٢ - ٤٨٥. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٦٢). وبدأ العصر الذهبي لشعب مانناي منذ عام (٧١٤ ق.م)، إذ تمكّنوا من ضمّ الأراضي الواقعة على نهر آراس (الرّس في مصادر التراث العربي) شمالي بحيرة أورميه، ووصل نفوذهم في الغرب إلى نهر الزاب الكبير (الأعلى) شمالي أربيل، وهذا يعني أن دولة مانناي ضمّت أغلب المناطق الكردية في شمال غربي إيران حالياً، إضافة إلى قسم من المناطق الكردية في إقليم كردستان- العراق. وقد ذكر الدكتور جمال رشيد

مناطق دولة مانناي بالتفصيل، وخلص إلى ما يلي: « يمكننا أن نشير في النهاية إلى أن بلاد الماننايين كانت تبدأ جنوباً من بلاد بارسوا [= فارس] إلى بلاد الأورارتيين في الشمال، وتجاور زاموا وآشور في جهاتها الغربية. أما شرقاً فلا يمكننا تحديد حدودها. وبكلمة أخرى، فإن الأراضي الواقعة بين بحيرة أورميه شمالاً وحتى بحيرة زَريبار قرب مَريوان جنوباً، كانت تدخل ضمن بلاد ماننا، وشكّلت سلسلة زاغروس جهاتها الغربية». (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٨٦/٢، ٥٠٠). وأكّد الدكتور عبد الحميد زايد أن مملكة ماننا Manna: " هي حالياً كردستان الإيرانية، إلى الجنوب من بحيرة أورميه». (عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٧٨).

الصراع ضد دولة آشور:

إن الرياح لم تكن تهبّ على الدوام بما يناسب بيدر دولة مانناي، كما يقول المثل الكردي، فقد واجه الماننيون دولة أورارتو (خُلدِي) في الشمال الغربي من دولتهم، وواجهوا دولة آشور من الغرب، ومع بداية القرن الثامن قبل الميلاد ظهر ملوك أقوياء ذوي طموح في دولة أورارتو، فشذّوا الحملات العسكرية على مناطق نفوذ دولة مانناي، واستطاع الملك الأورارتي مِينْدَاوَا (مِينْدَاوَا) السيطرة على مناطق أعالي نهري دجلة والزاب الكبير، وعلى بعض المناطق الماننية في جنوبي بحيرة أورميه، ومنها منطقة شنو (أشنو) الحالية، بل إن مناطق أرض دولة مانناي صارت أحياناً ساحة صراع بين دولتي أورارتو وآشور، وكانت كل واحدة منهما تسعى إلى الانفراد بالسيطرة على أراضي دولة مانناي. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٨٨/٢. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٦٢-٥٦٣).

ومن المهم جداً ألا نُسقط من حساباتنا أهمية طريق الحرير التجاري العالمي في تلك الصراعات، إنه كان يأتي من أغياتانا (هنگمَتانا/هَمَـذَان) في الجنوب، ويخترق دولة مانناي شمالاً، ويمر بمدينة رَغَـه (الرَّي)

قرب طهران حالياً، ثم يتوجّه شرقاً نحو وسط آسيا، وكان ملوك أورارتو وآشور يسعون للسيطرة على ذلك الطريق، إضافة إلى أطماعهم في موارد دولة مانناي، وفي مرحلة من مراحل الصراع اعترف الملك الآشوري سَرْجُون الثاني Sargon (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) ب (آزا بن إيراندزو) ملكاً على مانناي، وعقد آزا معاهدة تحالف مع دولة آشور. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٨٩/٢. دياكونوف: ميديا، ص ١٩٩).

غير أن شعب مانناي ثار على ملكه آزا، بسبب تخاذله أمام دولة آشور، وقبض عليه النائمون وقتلوه، فبادر سرجون الثاني إلى القضاء على الثورة، وألقى القبض على قائدها دياكو égdato، وجلس الابن الآخر لإيرانزو على عرش مانناي، ويدعى أولوسوتو. وحاول أولوسوتو الخلاص من قبضة الآشوريين أيضاً، فعقد اتفاقاً مع روسا الأول ملك أورارتو، وسلّمه (٢٢) اثنتين وعشرين قلعة، وحرّض حكام مناطق شمالي نهر الزاب الأسفل (الصغير) على الوقوف ضد الآشوريين. لكن سرجون الثاني احتل إيزيرتو عاصمة مانناي، واستسلم له أولوسوتو، فأبقاه سرجون ملكاً على عرش منناي. (دياكونوف: ميديا،

ص ١٩٩. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٧٨). وخلال عهد الملك الآشوري آشور بانيبال Ashurbanipal سنة (٦٦٨ ق.م - ٦٢٧ ق.م) غزا شعب السكيث أرض مانناي، قادماً من شمالي البحر الأسود، واستقر في الجهات الجنوبية من بحيرة أورميه، قرب مدينة سَقَرز، وصار السكيث شوكة في خصرة دولة مانناي، إذ تحالفوا مع الآشوريين، وألحقوا الفشل بجهود الماننايين لتحرير أنفسهم من الاحتلال الآشوري. وخلال القرن السابع قبل الميلاد كان الحضور الميدي يقوى في غربي آسيا، وكان يهم الميديين أن يسيطروا نفوذهم على مانناي، وعدم تركها لقمة سائغة بين أيدي ملوك آشور، ويبدو أن القرابة الإثنية بين الميديين والماننايين لعبت دورها، إذ كان شعب مانناي أميل إلى الميديين، بل إن القائد الميدي دياكو وضع نفسه تحت حماية سلطة مانناي، خلال الأعوام (٧٣٧ - ٧١٩ ق.م)، لينجو من مضايقات دولة آشور. وبعد انتصار الميديين على دولة آشور، صارت مانناي جزءاً من الإمبراطورية الميدية بين عامي (٥٩٠ - ٥٨٠ ق.م). (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٩١/٢ - ٤٩٣. دياكونوف: ميديا، ص ١٩٧).

منجزات حضارية:

ثمة حقيقة ينبغي أن نأخذها في الحسبان ونحن نبحث في تاريخ أسلاف الكرد؛ ألا وهي أن أسماء معظم الفروع التي تكوّن منها الكرد- إن لم يكن جميعها- هي أسماء آلهة (كاشو، خورو، خلدي)، أو أسماء جغرافية (گوتيوم، سوبارتو، ميديا)، وأحياناً أسماء قبائل تسلّمت دفة القيادة في وطن أسلاف الكرد (لولو، ميتاني)، ويصدق الأمر نفسه على شعب مانناي، فهذا الاسم إما أنه اسم جغرافي، أو أنه اسم قبيلة كانت لها السيادة على بقية القبائل، أما الشعب نفسه فكان ينحدر من الگوتيين واللؤلوبيين والهوريين (الخوريين)، ثم تأثروا تدريجياً بالميديين، واندمجوا فيهم. وذكر دياكونوف أن مملكة مانناي أصبحت، من الناحية الحضارية والمدنية والاقتصادية، نواة لتأسيس الإمبراطورية الميديّة في القرن السادس قبل الميلاد. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٩٤/٢. دياكونوف: ميديا، ص ١٤٣).

وقد اشتهرت دولة مانناي بزراعة الحبوب، وذاعت شهرة الحنطة الماننية (المننية)، واشتهرت أيضاً بمراعيها وبتربية الحيوانات بما فيها الخيول، ويبدو من خلال المكتشفات الذهبية

والفضية والنحاسية والحديدية، في مناطق جنوبي بحيرة أورميه، أن صناعة المعادن في المدن الماننية كانت متقدمة، وتشير فنون هذه الصناعة إلى المستوى الرفيع لثقافة الطبقة الأرستقراطية، وهي تضاهي أحياناً الفنون الأورارتية والآشورية. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٩٤/٢).

والحقيقة أن علو شأن دولة مانناي لم يأت من فراغ، وإنما لأنها حظيت بنخبة من قادة المجتمع والدولة النابهين، ومنهم على سبيل المثال فئة كان كل فرد منها يحمل لقب (هازانو)، ويعني هذا اللقب (مختار الجماعة) أو (عمدة الجماعة)، وكان هؤلاء الـ (هازانو) يشتركون في إدارة دولة مانناي، ويكلّفون بالمهمّات والأعمال الهامة من قبل اتحاد الأقوام المنضوية تحت لواء دولة مانناي، وكان يُنظر إليهم بقدر كبير من الاهتمام. (دياكونوف: ميديا، ص ١٦٩). وإن مقارنة سريعة بين لقب (هازانو) والكلمة الكردية (هوزان) Hewzan / Hozam؛ أي (عارف/عالم)، توضّح أن قادة المجتمع الميتاني هؤلاء كانوا من النخبة الواعية الخبيرة، وأن الصلة الثقافية لم تنقطع بين الماننايين وأحفادهم الكرد رغم مرور ستة وعشرين قرناً.

٢- خَلْدِي Khaldi (أورارتو)

من هم الخلديون؟

خَلْدِي (خَالْدِي / خَالْتِي / كَالْتِي) سلالة زاغروسية انحدرت من الهوريين (الخوريين)، وعاشت خلال الألف الثالث قبل الميلاد أو قبله في المنطقة التي سمّيت بعدئذ كردستان، وكان الخلديون يطلقون على أنفسهم اسم (Halitu -in) أي شعب الإله خَلْدِي (أَلْدِي)، وكانوا يسمّون بلادهم (بيانييلي)، وأطلق الآشوريون اسم (نائيري) îNaîr على بعض أجزاء بلاد خَلْدِي، وهي المنطقة الكردية التي تسمّى (شَمْدِينان) في جنوب شرقي تركيا حالياً، وقد يكون اسم نائيري (نايري) باقياً في اسم قبيلة (نَهْرِي) التي ينتمي إليها الشيخ عُبَيْد الله نَهْرِي قائد ثورة عام (١٨٨٠ م)، وكان موطنه في شَمْدِينان. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٣١/٢ - ١٣٤).

وكان معظم الخلديين يعيشون بين أربع بحيرات معروفة في كردستان وأرمينيا، هي بحيرة چيلدر، وبحيرة وان، وبحيرة أورميه، وبحيرة سيفقان، وكانت عاصمتهم مدينة توشپا Tušpa الواقعة قرب مدينة (وان) الحالية، وانتقل بعض الخلديين فيما بعد للعيش في وادي نهر الفرات. وذكر

وليام لانجر بلاد خلدي باسم مملكة فان (أورارتو/آارات)، وقال: « لا يمكن تعيين حدود أورارتو (آارات) بالضبط، وبصفة عامة كانت المملكة تقع بين القوقاز وبحيرة فان». (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٦٤/١، ١٣١/٢، ١٢٢). وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٨٧/١).

وقد أطلق الآشوريون على موطن الخلديين اسم أورارتو/ (أوروآتري)، ففي القرن الثالث عشر قبل الميلاد أغار الملك الآشوري شلمانصر الأول Shalmaneser ١ (١٢٦٣-١٢٣٤ ق.م) على مركز بلاد الكرد الحالية (جنوبي موش، وشمال واني، وغربي بحيرة أورميه)، وسجل اسم تلك البلاد لأول مرة في التاريخ بصيغة (أوروآتري) التي تبدلت فيما بعد إلى صيغة (أورارتو)، وأخذت تعبر عن مفهوم سياسي لدولة قامت في الجهات الشمالية لبلاد آشور، وجاء ذكر بلاد خلدي بصيغة (آارات) في سفر التكوين من كتاب (العهد القديم)، ونخرج مما سبق بأن (خلدي، أورارتو، نايري) أسماء لسمي واحد. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٣١/٢ - ١٣٣).

مراحل الصراع ضد دولة آشور:
في الوقت الذي بدأ فيه ظهور

الخلديين كقوة سياسية في غربي آسيا كان الآشوريون يوسعون نفوذهم في جميع الاتجاهات، ويعملون بإصرار للقضاء على كل قوة سياسية منافسة لهم، ومرت قبل قليل أنهم كانوا حريصين على إخضاع كل من الماننايين والميديين المعاصرين للخلديين، وكان من الطبيعي- والحال هذه- أن ينال شعب خلدي نصيبه من أطماع ملوك آشور، ويدخل في صراع مرير ضد الآلة العسكرية الآشورية الشرسة، ويمكن تقسيم فترة الصراع الآشوري- الخلدي إلى مرحلتين:

في المرحلة الأولى شمل الصراع الفترة الواقعة بين عامي (١٢٧٥ - ٨٤٠ ق.م)، ويفهم من نقوش الملك الآشوري شلمانصر الأول أن بلاد خلدي كانت مقسمة حينذاك إلى إمارات عديدة، لا تنضوي تحت لواء سلطة مركزية واحدة، وذلك هو شأن معظم أسلاف الكرد على الصعيد السياسي، وكان من السهل على الدولة الآشورية أن تلحق الهزيمة بتلك الإمارات، وتبسط نفوذها على بلاد خالدي، خلال هجمات ملوك آشور المتكررة، وخاصة هجمات توكولتي- نينورتا الأول ١ Tukulti Ninurta (١٢٣٣ - ١١٩٧ ق.م)، وتيغلالات بلاصر الأول 1 Tiglathpileser (١١٤ - ١٠٧٦

ق.م)، وحداد نيراري الثاني 11 Adad- nirari (٩١١ - ٨٩٠ ق.م)، وتوكولتي - نينورتا الثاني ١١ Tukulti Ninurta (٨٩٠ - ٨٨٤ ق.م)، وآشور ناصر پال الثاني 11 Ashur Nasir pal (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م). (وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٨٨/١. جرنوت فلهلم: الحوريون، ص ٧٩ - ٨٢. جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٣٥/٢).

أما في المرحلة الثانية الواقعة في الفترة (٨٤٠ - ٦١٢ ق.م) فقد اختلف الأمر، ويبدو أن اعتداءات ملوك آشور المتكررة على أورارتو، وحملات التدمير والبطش القاسية، فرضت على إمارات أورارتو أن تنبذ الفرقة، وتتوحد تحت راية سلطة واحدة، يقودها ملوك محاربون. وقد تأسست دولة أورارتو بدلا لثلاثها الموحدة بفضل الملك سَرْدُور الأول (بالكردية: سَرْدَار)، وظهر اسم أورارتو لأول مرة في سجل الملك الآشوري آشور ناصر پال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م)، وعمل هذا الملك لبسط نفوذه على أورارتو، ومع ذلك لم يفلح كما كان قد أفلح جده الأعلى تيغلالات بلاصر الأول. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٣/٢، ١٣٥).

وعندما مات آشور ناصر پال الثاني ثار شعب أورارتو على الولاة

الآشوريين في كل مكان، وبدأت قوات أورارتية منظمّة تهاجم الحاميات الآشورية، وتنتزع منها المقاطعات واحدةً بعد أخرى، فقاد شلمانصر الثالث Shalmaneser 111 (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) ابن آشور ناصربال الثاني حملة عسكرية على أورارتو في السنة الثالثة من حكمه (٨٥٥ ق.م)، ودخل منطقة خُوبوشكا الجبلية الواقعة بين وان شمالاً وراوندوز جنوباً، وتغلغل في المناطق الجبلية الوعرة حتى وصل إلى منابع نهري دجلة والفرات، وقدّم هناك القرابين للآلهة كما كان يعمل أسلافه. ورغم الحملات التدميرية العديدة لم يستطع شلمانصر الثالث تقويض مملكة أورارتو تقويضاً تاماً، بسبب موقعها المنيع، وكانت تستعيد قوتها إثر كل اندحار عسكري. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٥/٢ - ١٢٧. محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٧٢).

ثم أخذت قوة مملكة أورارتو تتصاعد، ووصل نفوذ الخليدين إلى حدود الدولة الآشورية، وصاروا ينتزعون من أراضيها جزءاً بعد آخر، حتى أصبحت المقاطعات الآشورية الشمالية الممتدة من شمالي سوريا غرباً إلى نهر آراس شرقاً تحت نفوذ أورارتو، وخاصة عندما تسلّم الحكم في آشور ملوك

ضعفاء من أمثال شلمانصر الرابع (٧٨١ - ٧٧٢ ق.م)، وآشور دان الثالث (٧٧١ - ٧٥٤ ق.م)، وآشور نيراري الخامس (٧٥٣ - ٧٤٦ ق.م). (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٧/٢).

وعندما تولّى الملك تيغلات بلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) عرش آشور بدأ يخطط للقضاء على قوة الملك الخليدي سَرْدُور الثاني، فهاجم حلفاءه في شمالي سوريا، فأسرع سردور لنجدة حلفائه. وفي سنة (٧٤٣ ق.م) التحمت قوات تيغلات بلاصر بقوات سردور في معركة حامية، وانتصر تيغلات بلاصر، وانسحب سردور إلى عاصمة مملكته توشبا، وراح يستجمع قواه، استعداداً لمنازلة الآشوريين ثانية. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٨/٢).

وفي الوقت الذي انشغل فيه ملوك آشور بمواجهة تصاعد الحضور السياسي الميدي (في شرقي كردستان حالياً) تغلّب الملك الخليدي رُوسا الثاني على آزا ملك مانناي الموالي للآشوريين، وتغلغل في المناطق التي تؤلف جنوبي كردستان الآن، وأقام نصباً في مقر معبد الإله خلدي قرب بلدة موساسير (تسمى أرديني أيضاً وهي تتطابق مع قرية مجيسر على بعد ٨ كم شمالي راوندوز

حالياً)، فشنّ سرجون الثاني Sargon ١١ عدة حملات على أورارتو، وأهمها حملته الثامنة التي قادها بنفسه سنة (٧١٤ ق.م)، وانتهت بسحق قوات رُوسا الثاني، وتدمير مدينة موساسير، واحتلال العاصمة توشبا وحرقها، وأسر سرجون الثاني كل أفراد العائلة المالكة ومئات من خواصهم، ولما عرف رُوسا ذلك أنهى حياته بخنجره منتحراً. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٨/٢).

ولما تولّى سَرْدُور الثالث عرش أورارتو كانت دولة أورارتو قد أصبحت تدور في فلك دولة آشور، وكان من الطبيعي أن يسود السلام والوثام بين دولتي أورارتو وآشور، وزار سردور الثالث نينوى، وقدّم التحية للملك آشور بانيبال Ashurbanipal سنة (٦٦٨ ق.م - ٦٢٦ ق.م) " كما يحيى الابن أباه" حسب قول الملك الآشوري. وكان سَرْدُور الثالث آخر ملوك دولة أورارتو؛ إذ زالت هذه الدولة على أيدي الغزاة السكيث scythians، وبعد انتصار الميد على دولة آشور عام 612 ق.م (أصبحت أورارتو جزءاً من الإمبراطورية الميديّة). (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٨/٢ - ١٢٩. محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ٤١٩).

من حضارة أورارتو:

هذا فيما يتعلق بالتاريخ السياسي لدولة أورارتو، أما فيما يتعلق بتاريخها الحضاري فيرى كل من الباحث الروسي ميشتشانينوف Meshshaninov والجورجي ملكشفيلي Melikishvili أن اللغة الأورارتية عُرِفَتْ باسمين هم الوانية (نسبة إلى بحيرة وان)، والموساسيرية (نسبة إلى موساسير)، وكانتا قريبتين من اللغة الحورية (الخورية)؛ إلا أنهما تأثرتا، مع مرور الزمن، ببعض المفردات السامية أثناء السيطرة الآشورية على تلك المناطق. كما أن الخلدنيين اقتبسوا بعض مظاهر الحياة السياسية والعسكرية وفن الكتابة وحفظ الوثائق والأعمال الأدبية من الآشوريين (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٣٢/٢، ١٣١، ١٦٣-١٦٤).

وتفيد النقوش الوانية (نسبة إلى وان) المكتوبة بحروف آشورية مسمارية أن أعمال البناء، والأعمال الهيدروليكية بوجه خاص، كانت متقدمة ونشطة في أورارتو، ومنها القناة التي تم حفرها في عهد الملك الخلدي مريدوا للري، وكانت مياه القناة مستمدة من الينابيع الواقعة على حافة بحيرة وان، وكانت تروي مساحة بطول (٤٦ ميلاً = حوالي ٧٥ كم). وذكر وليام

لانجر أنها ما زالت مستخدمة حتى الآن. (وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٨٧/١. جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٣٩/٢).

كما أن شعب خلدي أظهر استعداداً خاصاً في الفنون الصناعية، وخاصة في صناعة المعادن. وقد توافرت لصناعة التعدين الأورارتية موارد خام محلية غنية، كالحديد والنحاس والذهب والرصاص والقصدير وغيرها، وتشير المراجع الآشورية إلى المستوى الرفيع لتطور التعدين والنطاق الواسع لإنتاج المعادن في أورارتو. (بونغارد - ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ٥٣٢).

أما على الصعيد الديني فإن الإله خلدي (هالدي/ألدي) كان الإله القومي لشعب خلدي، وكان يشكل ثالثاً إلهياً أعلى مع كل من الإله تيشيبا (إله الزوابع الحوري تَشُوب Teššup)، والإله أو الإلهة أر دِني (إله أو إلهة الشمس)؛ وهذا دليل آخر، إلى جانب الدليل اللغوي، يؤكد انتماء الخلدنيين إلى شعب حُوري (خُوري). (وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٨٧/١).

وقد جاء ذكر أسماء آلهة شعب خلدي في نُصُب أقامه الملك مريدوا بمناسبة القناة التي حفرها، جاء فيه: « بركة الإله خلدي بنى مريدوا بن إشبويني هذه

القناة، وسمّاها (قناة مريدوا)، وبعضها خلدي أصبح مريدوا ملكاً مقتدراً، ملكاً عظيماً، ملكاً على بلاد بياينيلي، سيداً على مدينة توشبا، يقول مريدوا: كل من يُخرب، كل من يكسر، أي شخص يقتلع هذا العمل، أو يدعي أنه صنع هذه القناة، فليهلكه خلدي وتيشيبا وشيقيني وجميع الأرباب». (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٤١/٢).

٣ - الميديون Medes

من هم الميديون؟

ورد اسم الميد في اللغة الآشورية بصيغ (ماداي) Medai، و(أماي) Amadai، و(ماتاي) Matai، وهو بالعلامية (ماتا- په) Mata-pe، وبالعبرية (ماداي)، وبالفارسية (مادا) Mada، وباليونانية (مادي/ميدي) Madoi، Medoi، وبالأرمنية (مار-ك) Mar-k، وبالبارثية (مات) Mat. وقد ذكرت المدونات الآشورية، في القرن التاسع قبل الميلاد، اسم شعب يسمى (ميد) Medes وثيق الصلة بالفرس يقطن المنطقة المجاورة لبلاد آشور من ناحية الشرق، وادّعى كل من الملكين الآشوريين تيغلثايسر الثالث Tiglathpileser (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م)، وسرجون الثاني Sargon (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) أنهما

ألزما الميد بدفع الجزية، وجاء وصفهم في الكتابات الآشورية بأنهم «الميديون الخطرون»، وأنهم شعب قَبَلِي لم يتحد تحت لواء ملك واحد. (دياكونوف: ميديا، ص ٧٢. هـ. ج. ولز: معالم تاريخ الإنسانية، ٣٥٠/٢).

ويستفاد من الدراسات الدائرة حول الميديين أن قدومهم إلى المنطقة التي سُمِّيت لاحقاً (کردستان) بدأ منذ حوالي سنة (١١٠٠ ق.م)، وكانوا يتألفون من اتحاد ستة قبائل، سَمَّاهَا دياكونوف: Boussi, Paretaknoi, Strouknates, Arizantoi, Boudloi, Magoi، وسمَّاهَا هيرودوت (بوسِّي، وباريتاسيين، وستروكاتي، وأريزانتِي، وبودي، وماجي)، وكانت اللغة الميديّة مشتركة بين بطون هذا الاتحاد القبلي، ويستفاد مما ذكره أرساك سافراستيان أن ميديا هي امتداد جغرافي وتاريخي وثقافي لكوتيوم، باعتبار أن الكوتيين والميد سكنوا المنطقة ذاتها. (دياكونوف: ميديا، ص ١٤٣، ١٤٦. هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٨٠. أرساك سافراستيان: الكرد وکردستان، ص ٣٢. ديلاهورت: بلاد ما بين النهرين، ص ٣٠٨).

الصراع الميدي- الآشوري:
خاض الميد حروباً ضارية ضد

إمبراطورية آشور، وكانت هذه الإمبراطورية هي الأقوى آنذاك في غربي آسيا، وكان أقوام ميديا يتطلعون إلى الخلاص من سيطرتها، فشنّ ملوك آشور الحملات المتتالية على معاقلمهم، وأنزلوا بهم أفدح الخسائر، ودمّروا مدنهم وقراهم، ويرجع خبر أول صدام بين الميد والآشوريين إلى عام (٨٣٥ ق.م)، أو عام (٨٣٧ ق.م) في عهد شلما نصر الثالث، وصحيح أن الآشوريين حققوا بعض الانتصارات على الميد، لكنهم عجزوا عن فرض سلطة فعلية دائمة عليهم. (ديورانت: قصة الحضارة، ٣٩٩/٢. دياكونوف: ميديا، ص ٢٧٧).

وحوالي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد برز زعيم ميدي عبقرى يدعى دياكونوف Daiku ابن فراورْتيس Phraortes (حكم بين ٧٢٧ - ٦٧٥ ق.م)، ويسمى باليونانية (ديوسيس) Deioces، ويسمى في المصادر الفارسية (كَيْقُبَاد)، فوحد صفوف الميديين تحت لواء تكوين سياسي باسم (اتحاد قبائل ميديا)، وانتقل بالميديين من ذهنية الانتماء إلى (القبيلة) إلى ذهنية الانتماء إلى (الدولة)، وسنّ القوانين وأصدر المراسيم، واتخذ مدينة أَلْبَاتَانَا (أمدان/همّاذان) عاصمة للدولة الناشئة، وهي تقع في واد خصيب

جميل، وكانت من أهم المراكز التي يمر بها طريق الحرير التجاري العالمي.

وبعد أن نظّم دياكو المجتمع الميدي، وأنشأ اتحاد القبائل وفق نظام لامركزي، وأسس الدولة والجيش، ثار على الإمبراطورية الآشورية، وأعلن الاستقلال عنها، وخاض ضدها الحرب، لكن الملك الآشوري سرجون الثالث تمكن من القضاء على الثورة، وأسر دياكو عام (٧١٥ ق.م)، ونفاه مع حاشيته إلى مدينة (حَمَاه) في سوريا، ثم أعيد إلى ميديا أو إلى تخومها بعد فترة غير معروفة. (دياكونوف: ميديا، ص ٢٨، ١٤٣، ١٤٦. ديلاهورت: بلاد ما بين النهرين، ص ٣٠٨. ديورانت: قصة الحضارة، ٤٠٠/٢).

وظلت ميديا خاضعة للإمبراطورية الآشورية إلى عهد الزعيم الميدي فراورْتيس Phraortes ابن دياكو، ويسمى خَشْثَرِت، ويسمى خَشْثَرِتَا Khshathrita في كتابات نقش بهستون (بيستون)، وحكم فراورْتيس بين عامي (٦٧٤ - ٦٥٣ ق.م)، وامتاز بدرجة عالية من الحنكة، إنه أعاد توحيد القبائل الميديّة، وأسس حكومة مستقلة في ميديا، وبعد أن أخضع السَمَّيَّريين (الكرميريون) Cimmericians والسكيث Scythians والفرس

للسلطة الميديّة، هاجم العاصمة الآشورية نِيدَوَى، لكن السكيث الذين كانوا قد تحالفوا مع الآشوريين هاجموا من الخلف، فباء هجومه بالفشل، وقُتل في المعركة، ولم يكتف السكيث بذلك، بل هاجموا ميديا، وبسطوا سيطرتهم عليها (٢٨) ثمانية وعشرين عاماً، بين عامي (٦٥٣ - ٦٢٥ ق.م). (طه باقر وآخرون: تاريخ إيران القديم، ص ٣٩ - ٤٠. Mehrdad Izady: The Kurds, p. 32).

نهوض دولة ميديا وسقوطها: بعد مقتل فراورتييس خلفه على الحكم ابنه كَيَّ أَخْساَر Cyaxares أو كَيَّخُسُرو kai-Khosru (٦٣٣ - ٥٨٤ ق.م)، ويسمى في بعض المصادر (أكسركيس) و(سيارشريس)، وهو أعظم ملوك ميديا، وكان قائداً محنكاً، ورجل دولة حازماً، حرر ميديا من السكيث، وفرض سيطرته على بلاد فارس من جديد، وأسكن القبائل الرحالة، ونظم شؤونهم، وسن القوانين، ونظم الجيش على أسس حديثة، مقتبساً بعض أساليب السكيث في القتال؛ مثل سرعة الحركة والمناورة، وأحدث خيالة سريعة الحركة، وميّز رماة السهام عن الفرسان. (طه باقر وآخرون: تاريخ إيران القديم، ص ٤٠. ديورانت: قصة الحضارة،

٤٠٠/٢. Mehrdad Izady: The Kurds, p. ٣٣).

ثم عقد كَيَّخُسُرو تحالفاً مع الملك البابلي نبو^١ولاصر Nabopolassar (٦٢٧ - ٦٠٥ ق.م) ضد عدوهم المشترك (دولة آشور)، وشنّ الهجوم على دولة آشور عام (٦١٥ ق.م)، واتخذ أَرَابْخَا (كركوك) قاعدة لانطلاق أعماله الحربية، وزحف بجيشه على العاصمة نينوى، فقاومته مقاومة عنيفة، فاتجه إلى العاصمة الدينية (آشور) وفتحها، وعندئذ انضم إليه حليفه الملك البابلي نبوولاصر، وهاجم الحليفان نينوى من جديد سنة (٦١٢ ق.م)، فسقطت بعد دفاع مستميت، وانتحر الملك الآشوري ساراك بن آشور بانيبال، وتولّى القيادة عمه آشور أوباليت، فانسحب بفرقة من الجيش الآشوري إلى مدينة حرّان، منتظراً وصول المعونة من حليفهم الملك المصري أمازييس.

وأسرع أمازييس إلى تقديم العون العسكري لحلفائه الآشوريين، وبعد مناوشات ومعارك عديدة دامت بين عامي (٦١٢ - ٦٠٥ ق.م) خسر الحلف الآشوري المصري الحرب أمام الحلف الميدي البابلي، وزالت من الوجود واحدة من أقوى إمبراطوريات العالم القديم. واستكمل كيخسرو توحيد المناطق التي استقرت فيها

الأقوام الهندوأوروبية على تخوم القوقاز، فهاجم دولة أورارتو، وألحقها بالدولة الميديّة، وأصبح غربي آسيا مقسماً بين أربع دول، هي: الدولة الميديّة، والدولة البابليّة الحديثة، ودولة ليديا في آسيا الصغرى، والدولة المصرية. (هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٨٠. ديلاپورت: بلاد ما بين النهرين، ص ٣٢٠. دياكونوف: ميديا، ص ٢٨٤، ٢٩٤، ٢٩٦).

وأخضع كَيَّخُسُرو السكيث لسلطته، لكنهم كانوا ينتهزون الفرصة للانقلاب عليه، فهاجمهم وهزمهم، ففروا غرباً، ولجأوا إلى مملكة ليديا في آسيا الصغرى. وطلب كيخسرو من إلياتس ملك ليديا تسليمه السكيث الفارين، لكن إلياتس رفض، فأعلنت ميديا الحرب على ليديا سنة (٥٩٠ ق.م)، ودامت الحرب بين الدولتين حوالي ست سنوات، وصادف أن كسفت الشمس سنة (٥٨٥ ق.م)، ففسّر الفريقان ذلك بأنه غضب من الآلهة، فتصالحا وتحالفا، وتزوج أسّتيّاگ بن كيخسرو من أريينس ابنة إلياتس، واستقر الأمر بين الملكين على أن يكون نهر هاليس (قزيل أرماق) حداً فاصلاً بين الدولتين. (هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٦٣ - ٦٤. دياكونوف: ميديا، ص ٣٠٢. هارلي

٨. ديلاپورت: بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال، المطبعة النموذجية.
٩. الأستاذ طه باقر، الدكتور فوزي رشيد، الأستاذ رضا جواد هاشم: تاريخ إيران القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٩.
١٠. الدكتور عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧.
١١. الدكتور محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.
١٢. مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
١٣. هـ. ج. ولز: معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧ - ١٩٧٢.
١٤. ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨.
١٥. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، أشرف على الترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩.
١٦. هارلي بورتز: موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١.
١٧. هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١.

18. Mehrdad R. Izady: The Kurds, Crane Russak Washington, Philadelphia, London, 1992.

الحرب سجلاً بين أستيياك وكورش، وأخيراً خسر أستيياك الحرب نتيجة خيانة هارباك وفريقه، ووقع في الأسر، وخسرت ميديا استقلالها، وأصبحت تابعة للإمبراطورية الأخمينية بدءاً من حوالي عام (٥٥٠ ق.م). (هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٩٦، ٢٥٩. أنطون مورتكارت: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٣٥٠، ٣٦٧. ديورانت: قصة الحضارة، ٢/٤١٠).

المراجع

١. أرشاك سافراستيان: الكرد وكردستان، ترجمة الدكتور أحمد خليل، دار سردم للطباعة والنشر، سليمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.
٢. أرنولد توينبي: مختصر لدراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شربل، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، الطبعة الأولى، ١٩٦٤.
٣. أنطون مورتكارت: تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان، علي أبو عساف، قاسم طوير، ١٩٥٠م.
٤. بونفارد - ليفين (إشراف): الجديد حول الشرق القديم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٨.
٥. جرنوت فلهلم: الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.
٦. الدكتور جمال أحمد رشيد: ظهور الكورد في التاريخ، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، كردستان العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.
٧. دياكونوف: ميديا، ترجمة وهبية شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق.

بورتز: موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ٨٧). وبعد وفاة كَيْخُسْرو سنة (٥٨٥ ق.م) خلفه على العرش ابنه أَسْتِيَاك (أَسْتِيَاكيس) Astuages، بين (٥٨٤ - ٥٥٠ ق.م)، وكان من نتائج التفاهم الميدي البابلي الليدي أن ساد السلام في غربي آسيا، ونشطت حركة التجارة، وكثر الثراء، وانغمس نخب المجتمع الميدي في الترف والبذخ، وظهرت التناقضات الداخلية، وأدت سياسات أستيياك غير الرصينة إلى خسارة التحالف مع بابل غرباً، وإثارة نقمة تابعه ملك أرمينيا شمالاً، فانتهاز ملك فارس كُورُش الثاني بن قمبيز الأول وأمه ماندانا ابنة أستيياك، الفرصة، وتحالف مع كل من نابُونيد ملك بابل ومع يَرْوَانْدت حاكم أرمينيا، وأعلن الثورة على أستيياك حوالي سنة (٥٥٢ ق.م). (ديورانت: قصة الحضارة، ٢/٤٠٢). مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ، ص ١١٩).

وكانت سياسات أستيياك الاستبدادية قد جرت عليه نقمة بعض نخب المجتمع الميدي، ومنهم هارباك (هارپاجوس) كبير قادة الجيش، وأقنع هارباك بعض الكهّان المُوغ والنبلاء والقادة الميّد بالانضمام إلى كورش، ودارت



فان إيروتيك

للشاعر قوباد جلي زاده

ياسين النصير

ويعزف ثم يغادر كأني درويش
ملك كل طاقات التبليغ.. في البعد
المثيولوجي للشاعر يكون العراف
مستبطنًا لغته التبليغ، ومنشدا
لغة الحكمة التي تعبر عن خبرة
السنين، ليس غير العراف الشاعر
بمقدوره أن يعيد فان ثانية للحياة
كي تخرج من كهفها ثانية وما
الأغنيات/القصاصد إلا نشيدا دائما
كي تعود فان ثانية..

الشخصية الثالثة، هي الفعل
«الايروتيك»، الفعل الجنسي
المشترك بين البشر والشجر والطير
والحجر، هذا الفعل الذي بنى المدن
ودمرها، جيش الجيوش للحرب
وللسلم معا، وأقام حضارات وثقافة
وحداثة، هذا التكوين الذي يمتلك
وحده لغة كل الكائنات، يحضر في
هذا الديوان ليس كفعل للجسد،
بل طاقة مولدة لحياة الأشياء، وفي

أسرار الكون كله، ولنا في التراث
الإسلامي أكثر من صلة بين الرسالة
والمحافظة عليها والكهف، ففي غار
جبل ثور حمى الله الرسول وعلي
من بطش الأعداء بهما حين بنى
على باب الكهف العنكبوت بيته،
وبيت العنكبوت هو غشاء البكارة،
من هنا فعودة فان إلى الكهف ثانية
عودة لأن تكون عذراء غير مدنسة
من أفعال البشر، عودة ستكون
في موقع البداية/السّر، وفي زمن
السرمدية /الحب.

الشخصية الثانية هي الشاعر
المتجول بين حقول الجسد والفكر
والشجر، «قوباد» يلتقط من
حديقة العشاق كل الأزهار النافرة
النهدين، ويلقي بها في شوارع المدينة
فتدخل البيوت واللسان مطعمة
أريج الفم بالقبلاّت. الشاعر هنا
الساحر الجوال الذي يغني ويطرب

١
بدءا ثمة ثلاث شخصيات
تتقاسم هذا الديوان:
«فان» الحبيبة والرمز
والأسطورة، تلك التي وهبها الله
لشاعر أشيب فملأت جراره وأرضه
بخصب القبلاّت، ثم عادت من حيث
أتت غائبة في زمن السرمدية..

قبل أن تعود (فان) إلى الكهف
بعثرت أمام
أقدامنا كيسا من ليرات الحب
التي وهبها إياها شاعر
أشيب،
متيم: في لقاء ليلة دامسة.

ص ٨
العودة إلى الكهفية، هي عودة
لبداء الخلق وبدء الرسائل كلها،
فالكهفية هي الرحم هي تلك
الغرفة السرية التي دفن الله بها



التنقل بين الأزمنة الشخصية.

لم يكن ثغراً،
وإنما موقدا للجمرات
يكوي شفتي حيناً
وحيناً آخر لساني!

بمثل هذه الشعرية الحسية يكتب قوباد تاريخاً للجنس/الجسد وهو يغطي ويحاط بالشجر والمطر والثلج والقبلات، الجنس هذا الكائن الخرافي المغيّب عن أدبنا، هو أحد أهم حقول الإبداع لو أتيح للشعراء والأدباء الكتابة عنه، لخف عنف اللغة، لكنهم ما أن يمارسوه حتى يرحلونه للغة فيفقد هيجانه وصخبه.

معهم الطبيعة الكردستانية واللغة، والأشياء، والرسوم، والحرية، والأسرة، والأفكار، والأشجار، والورود، وكل ما يصنع مشهداً حسياً مغرقاً بالأيروتيكية..

وبالطبع تتحكم الأخلاق العامة في هذا الثلاثي، فلا يفصحون تماماً عن العلاقات الفاضحة التي يولدها الجنس، فتجد نفسك أحياناً في بنية فكرية/ذهنية، وصور كونية، تبدو بعيدة عن الفعل المباشر، وعشتار لا تنزل من عليائها إلى الأرض طمعاً بلقاء عابر مع دموزي، بل تنزل لشعورها بأن الخصب لا يتم في الأحلام..

قليلة هي إسهامات الشعراء العراقيين في مجال الإيروتيك، ماعدا قصائد خجولة لسعدي يوسف لا ترقى لمستوى الشعر/الجسد، لم نجد في الشعر العراقي ما يوازي الحياة العراقية الخاصة والسرية في العلاقات الجنسية، هذه فرصة يتيحها الشاعر الكردي قوباد لنا لرؤية هذا الموضوع الشعبي، من زوايا مختلفة، لعل في المقدمة منها إشراك الطبيعة والتاريخ والأحياء به، فالجنس في هذا الديوان فعلاً مشتركاً قبل أن يكون لغة أنية مبررة عن لحظة زمنية قصيرة، لأن الشاعر جعل منه طاقة وفراسة معاً، قوة لصياغة مشاهد شعرية للمكان وللطبيعة، وحرية في

الديوان مئات الصور الأيروتيكية التي تخرج من كونها فعلاً بين اثنين، إلى فعل جدلي بين كائنات مختلفة كي تولد القصيدة النفي.

في صلب العملية الشعرية يولد الشاعر بنية صيانية وتدميرية معاً، البنية الجدلية التي تخرج قليلاً عن سياقات هيجل في أنها تعتمد الجدل الداخلي والمؤثرات الخارجية لا لتولد مربعا ثالثاً هو نفي النفي، بل تولد تغييراً جذرياً في الموجب والسالب معاً مع الإبقاء على الموجب والسالب ولكن بحركة متطورة، فقد تنقلب البنية الصيانية عندما تتحجر مفاهيمها إلى بيئة تدميرية وقد تتبدل قوى وضرورة البنية التدميرية عندما تتجدد مفاهيمها، فتصبح صيانية بانتظار أن تنعدم ثانية، هذه الصيرورة نجدها في هذا المركب الثالث الشعري، فان التي تحضر في الحياة فتحدث حركة كونية تغير من سياق الشاعر، ثم تغيب ويبقى الشاعر مستعيداً عبر الفعل الأيروتيكي كبنية جديدة التي هي الصائد، والقصائد لا تعود عند إنتاجها وقراءتها لا إلى فان ولا إلى قوباد، أنها بنية صيانية/تدميرية خلاصة لفعل جدلي ولكن ضمن سياقات الشعر..

سيتبادل هذا الثلاثي الأدوار في صنع القصائد، مستصحبين

٢

ميزة هذه التجربة هو أنها جعلت القارئ يعيش الجنس/ الخلق بأشكال مختلفة، فنأى بها من الجسد الإنساني إلى جسد الطبيعة، فكتب عن ممارسة المطر الجنسية مع الأرض، الفجر مع الشجر، والطير مع التغريد، والنهد مع التلال، والنتوء مع العضو الأنثوي، فصير الطبيعة جسدا وأفعالها جنسا، معمما بذلك الفعل الإيروتيكى بجعله طاقة الحياة في الأشياء، وقدرة الحلم على صياغة واقعة، ولغة مبهمة تغيب عنها الكلمات في لحظات الاحتدام الجسدي، وشعيرة يمكن ترديدها في الأوقات الخاصة، ومجرى مائي يستوعب البحر.. بهذه الطريقة التي منحت الطبيعة فيها الطاقة الحيوية للجسد البشري، أفصححت عن امتزاج فلسفي بين عناصر الحياة بأشكالها وصورها المختلفة، وفي الوقت نفسه كاشفة عن أن الإيروتيكية ليست فعلا مشينا يقف ضد الدين والأخلاق والتقاليد، وإنما هي تكوين قار في كل الأشياء، حيث لا الطبيعة ولا اللغة تستغني عنه..

ما ينزل من السماء
ليس بماء
ألا تراه

تحيل منه الأرض

أورافا وزهورا

ص ٦٥

كل شيء يستحيل إلى نطفة، هذا ما تخلص إليه هذه التجربة، وعندما يبني الشاعر تصوره لقصائد الإيروتيك على هذه الفكرة المطلقة، لا تجد شيئا غير مشمول به..

٣

في الصياغات الفكرية للحدثاثة يصبح الجنس/الخلق طاقة مغيرة للكثير من مفردات الحياة اليومية، فالحدثاثة لا يمكنها أن تبني تصوراتها في مجتمعات تفتقد إلى أدنى حرية للجنس، الجنس هنا ليس بمفهومه الساذج، وهو الإشاعة والتلذذ، بل هو تفريغ طاقة الجسد وشحنها بقدرات النمو، هو الطريقة العملية لاكتشاف المجهول، لا تتصور أن السفر أو فتح طرق التجارة العالمية واكتشاف البلدان وثقافة الشعوب والتعرف على تقاليدهم وثقافتهم وقوى الطبيعة ليس من أفعال الجنس المولدة، ناهيك عن أن الكثير من الحروب الأسطورية والحقيقة كان وراءها الجنس، هلينا وكليوباترا، وعشتار وأفروديت، فالجنس ليس ثقافة أحادية مختصرة على السرير والجسد، بل هو تكوين يعيد الأفكار

المبهمة فينا إلى مشاريع وخطط وأفكار وثقافة، ويدفع بالمجتمعات إلى الحدثاثة ويفرغ شحنات الجسد والنفس والجماعات من العنف، ولذلك عندما لا يجد الإنسان تفريغا لهذه الشحنات المكبوتة، يلجأ إلى طرق أخرى من بينها العنف للتعبير عن طاقاته.. الإيروتيك ليس الكتابة عن الممارسة الجنسية فقط، كما يفهم من ذلك نقديا، بل الكشف عن قوى التجاذب بين الأقطاب المتنافرة، هذه القوة هي الفعل الإيروتيكى المولد، وقد تكون له اتجاهات مختلفة، أحيانا يأتي بالضد من عملية التوليد والتكرار كما هو في حالة الملك لير حيث صاغ شكسبير منها دراما الرقص، عندما يتحول فعل الجسد بالإنجاب إلى فعل مضاد للجسد نفسه عندما يلقي به في البرية ليواجه بجسده المتعري العاصفة والمطر. فالجسد/الجنس هنا يحكم بأفعاله عندما يتحول الإنجاب إلى جريمة تؤدي إلى تقسيم جغرافية المملكة، ها هو الملك لير تائها في البراري ومعه المهرج بأسنانه المهدمة ساخرا منه، متعريا من ثيابه تحت قوة وسلطة الطبيعة... ويتحول الفعل الجنسي دائما إلى عمال سلب لقوى الإنسان، عندما يصبح قوة قاهرة تضغط عليه باتجاه الثورة ضد أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية

ص ١٠٦

٥

تحاكي بنية هذا الديوان
بنية السيرة الشعبية، والحكايات،
حيث البداية تعلقا بالله، كمخلص
لل بشرية من وباء الحب بعد أن
زرعه في أجسادهم ونفوسهم، ثم
يأتي متن الديوان ونراه كالجسد
محتذا بتفاصيله ألف ليلة وليلة
ومعرجا على أطرافه، حيث يحتل
الفم والعينين والوجه وما شابه
ذلك، القسم الأكبر من القصائد.
وكأنه بتدرجه يقرأ لنا هذا
التكوين قراءة مشهديه، مفصحا
عن تفاصيل دقيقة للعلاقات
الأنثوية/ الذكرية، فغير أحدى
عشر ليلة، ثم تفاصيل لـ ٢٢
مقطعا ليلية الثامن والعشرين
حيث ينتهي الشهر القمري و
لترحل فان عن هذا العالم غائبة في
السماء البعيدة أو في أحشاء الأرض
أنها عشتار الباحثة عن تموز:

رحلت (فان)

وأنا مزروع للأبد،

شجرة حزينة

من أشجار سرجنار

على هذا التل المهموم.

ص ٤٤

« تغيير تراتب الصور من

عندي»

يتبع الشعر تفاصيل القارة

والصور الفوتوغرافية للجسد، لكن
ثقافة الرسم التشكيلي تبعد
كثيرا عن المباشرة، كما هي في هذه
الرسوم التعبيرية المشحونة بجو
القصائد المرافقة لها، فالتعبير
عن طاقة الخيال الشعري للرسام،
تتطلب قدرة على مزج الشاعر
المختلفة للقراء، وعندي أن الشاعر
والرسام تأمرا معا على القارئ
بحيث وضعاه ضمن دائرة مغلقة،
هي الجسد في هياج الطبيعة.. من
جانب آخر لو عزلنا هذه الرسوم
الجميلة وحدها وضمن إطار
الفن التشكيلي لمحتنا تشكيلاتها
الشعرية وألوانها الشعبية الزاهية
التي تضعنا في مناخ القرية المبهج
والمضيء بالاخضرار، رؤية جمالية
للبيئة والطبيعة والمرأة الكردية
والأشجار والطير والحجر.. نحن في
طاقة الجسد الكونية التي تذكرنا
دائما بأن: الربيع فصل الخصوبة..
ولم يفتني القول، أن الترجمة التي
نقرأ بها هذا التكوين الكوني الغائر
في الجسدية، قد وصلت إلينا بلغة
صافية نقية، هي لغة المترجمة
«أرخوان».

الريح (ذكر)

ألا ترى أنه يخطف فقط

الغلالة

والستيان

والسراويل النسائية

من على حبل الغسيل؟

المزرية، يذهب ماركس بعيدا
عندما يجد أن مدفأة الشتاء
وموقده عندما لا يحتويان نارا
وكسوة تغطي الناس وتحميهم من
البرد، على الجسد البشري العاري
مواجهة هذه الأوضاع بالثورة
عليها.. لكي يسد الجسد حاجاته
البيولوجية ومنها ممارسة الجنس
بهدوء الطبيعة، تبني الثورة على
الأوضاع بالحدثة.

٤

ليس ديوان الشعر، للشاعر
قوباد وحده هو الذي منحنا كل
هذه الشعرية، بل هناك شاعر آخر
هو الرسام «روستم اغاله» رافقت
رسومه القصائد فكانت قصائد
أخرى، هذه الرسوم التي سلطت
الضوء على الجسد وتفاصيله
المثيرة، وعلى البيئة والخيال
والأشياء، تفصح عن قدرة خفية
للخطوط والكتل الملتفة والمنحنية
والرخية والناعمة، والمكتنزة،
لتكشف عن أنثوية طاغية في
الأشياء، فغير خلالها بشفافية
شعبية مباشرة عن الرغبة
الجنسية الشاملة لكل الأشياء، وهو
ما يجعل القصائد تقرب كثيرا
من الذائقة الشعبية للتلقي، ربما
حاجة شعر الايروتيك إلى مشهدية
بصرية، مفعمة بالحسي، وهو ما
يقترن ذلك دائما بأفلام الجنس

السابعة بتعبير الشاعر حسب الشيخ جعفر، هنا حيث يضطجع هذا التكوين المانح إلهاً أرضياً ممتلئاً بالخصب، وهناك حيث الله يرقب مبتسماً ما يراه، وفي داخل القصيدة ثمة نوافذ لا تغلق على الرشف الدائم من ينبوع الصور، هذه التركيبة ستغادر الجزء الثاني والثالث من الديوان، ففي الجزء الثاني يدخل في التفاصيل الصغيرة للقلبة معنى:

القبيلات معبد النار ص ٤٥

هل ثمة ثقافة ميثولوجية مشبعة بالأديان القديمة نراها في بنية القصيدة؟ اعتقد أن الشاعر قوباد واحد من القراء الذين يجدون في الصور الحديثة امتداداً للميثولوجيا الدينية القديمة حيث الديانات الزرادشتية وغيرها متشربة في اللغة والممارسة الكردية، ومعظم هذه الديانات تتعامل مع الجسد البشري كجزء من الجسد الكوني والطبيعي، القبلية نار والنار قبلية السماء إلى الأرض، والجسد أرض والعشق هو حب النار في الجسد..

ومن القبلية إلى الموجة، الغلالة، التنشيف، الوداع، الوشاح، العشق، النبع، الناموسية، الخليج... الخ وكل هذه العنوانات تفريغ

للجسد، ومسميات للحب، ويقع مشتعلة بالنار، مازجا بها الطبيعة بالجسد الأنثوي، مقيم على أنقاض هذا الخراب الكبير، مدنا للعشق والصيرورة، أنه الشاعر الذي يقول:

عارية

ذهبت الغابة

إلى سوق النساء

لتشتري كسوة

ص ١٠٧

٦

في لغة الديوان ثمة رومانسية طاغية، ربما كانت الترجمة مولعة بمثل هذه اللغة أيضاً، بينما الرسوم تخرج عن إطار العاطفة المباشرة إلى التكوينات الانطباعية الجميلة، مازجة الجسد بالأشياء، مكونة لغة للرؤية غاية في الواقعية الفنية، أقول أن اللغة الرومانسية طاغية، طغيان الذكر، وما كان عليها أن تكون كذلك، لأن الايروتيك ليس حبا من طرف واحد، ولا شغفا بالأنثى فقط، وإنما هي فعل جدلي بين الذكورة في الأشياء والأنوثة لتولد شيئاً ثالثاً: الشعر أو الرؤية الثقافية، بغياب صوت الأنثى من القصائد وهيمنة صوت الذكر السيد، قرأنا تجربة غير مكتملة.. بمثل هذه البنية المركبة من القوة واللغة تجعل أية معالجة محكومة بالمجتمع

وتقاليده، الساكنة وبما تفرزه، ومن هنا وجدت بالرغم من شاعرية القصائد وتنوعها وشمولها الكوني والإنساني والطبيعي، ليست إلا رؤى أحادية لثورة الجسد، في حين أن الشاعر بمقدوره أن يضعنا في جوهر فلسفة الحداثة ليبحث ليس عن العلاقة الجنسية بين الأشياء، وإنما عن تكوين صورة تندمج فيها الأشياء في احتفال كوني مبهر، يشمل الأرض والسماء، البشر والأحياء، مكوناً بقصيدة مركبة طويلة وبرؤية ملحمية البناء ليستخلص لنا أوفيد جديدة، وهلينا الساحرة ومينا العاشقة، ونسرين الوله، وزين الجبلية، وهو الذي يمتلك رؤى وفكر الميثولوجيا الكردية الغنية بالتراث والثورة والحب والطبيعة.. هذه الملاحظة لا تنقص تجربة فريدة ومهمة في الشعرية الكردية المعاصرة، ولكنها مؤشر على أن تحديث الثقافة لا يمر عبر البقاء- كما يعتقد البعض- ضمن دائرة الصورة القديمة وما يتغير منها سوى تناول.. كنت أمني نفسي بقصائد نثر مفعمة بالتمرد والخروج على بنية القصيدة التقليدية بتركيب جديدة، وهو الذي تناول أمكنة وقارات الجسد الأنثوي والذكرى معا..

الرحالة ابن بطوطة الكردستاني بدل رفو المزوري في ترحال مع الشعر بين الأمم

د. خالد يونس خالد

أكتب هذه الصفحات عن الشاعر المترجم والإعلامي بدل رفو المزوري، لتبيان دوره في رسالته الأدبية الرائعة من خلال رحلاته الثقافية لنشر الثقافة الكردية بأسلوب أدبي متميز وحضاري، وتعريف العالم بالقضية الكردية من نوافذ لغوية باعتبار أن اللغة وعاء الثقافة.

ليس المزوري الذي أطلقت عليه، الرحالة "ابن بطوطة الكردستاني" أول كردي يجوب الأقطار، ويشد الترحال بين الأمم، فقد سبقه أدباء وشعراء كرد كثيرون، أمثال الشاعر الكلاسيكي الكردي أحمددي خاني صاحب رائعة الحب الكردي (مم وزين)، وشاعرنا العاشق وشيخ العشاق المعروف بإمام الغزل الكردي المولوي. لكن رحلات المزوري

لها طابع عصري يغلب عليها الوعي الحضاري بسبب إطلاعه على الثقافات الكردية والعربية والأوربية، وبحكم تواجده في وسط أوربا، وبالذات النمسا، وسهولة التنقل بوسائل النقل المتيسرة في العالم الحديث، وتوفر إمكانية الاحتكاك بالحضارات الأخرى.

بدل رفو المزوري، الشاعر العاشق لوطنه كردستان، وهو المترجم بالدرجة الأولى لأشعار الشاعر الكردي عبد الرحمن المزوري، الشاعر المجدد في كلماته ومواقفه، والجرئ في نقده للبؤس الاجتماعي في المجتمع الكردي. ويبدو أن الشاعرين المزوريين عاشقان في الصميم للوطن وللترحال، ويشعران بالغربة في الداخل والخارج، لأن الحياة بلا حرية غربة في كل مكان، حتى

وإن عاش المرء في عقر داره. لنقرأ معا هذه القصيدة بعنوان "أنا ووطني غريبان" من ديوان الشاعر بدل رفو المزوري "وطن اسمه آفيقان":

"تعال نساfer معا

ياوطني

عبر البحار والمحيطات

سأحملك معي في ترحالي

ونطوف حول تاج محل

كي نطليب بالحب والنقاء

الذي أفتقده في شعبي

ونسلم على غيفارا في هافانا

كي نتذكر بطولات شعبي

الجائع

وإلى جبال كشمير

ربما نجد حبا حقيقيا

أصبح في وطني مسلسلات

مدبلجة

سنحيا معا يا وطني

غريبان في الغربية
حيث لا تكتسحنا انهيارات
جليدية

ولا مزایدات وطنية
أنا وأنت
يا وطني

في أهلنا وغربتنا".

عندما أقرأ هذه القصيدة، وأنا في الغربية، أفهم أن الشاعر يحلل الوضع الاجتماعي من زاوية أدبية صادقة. يقول بصراحة أن المرء يفتقد للحب، وهو أيضا يفتقد للاستقرار في الوطن بلا حب حقيقي. هذه الخوارج التي يعبر عنها الشاعر تزورني كل لحظة، وأنا أتذكر مقولة مستشرق ألماني، تخونني الذاكرة أن أذكر اسمه، أن القيادات الكردية لم تدرس التاريخ بوعي. وما أكثر الكرد الذين يدرسون التاريخ، ولكن قراءتهم ليست قراءة واعية.

قرأت القصيدة أعلاه "أنا ووطني غريبان" وشعرت أنا أيضا غريب عن وطني، ووطني غريب عني. أين يكمن الخلل؟

في سذاجتنا أننا نصفق لكل من يحمل التيجان، ولا نفكر يوما متى يسقط قصر الباستيل؟

أنا لست هنا في مدرسة أدبية تاريخية، ولكني أريد أن ينظر القارئ إلى صور القصائد ليقرأ الألوان والمعاني بدلا من أن ينظر

إلى الألوان ويقرأ الكلمات، وأعني هنا أن تكون قراءته تحليلية وتفكيكية، طبقا لتحليل المنهج التركيبي عند الفيلسوف عمانويل كانت، والمنهج التفكيكي للفيلسوف الفرنسي دريدا، حتى تكون قراءته قراءة عن وعي، ويفهم أن التحرر ليس في القصور المرمية بقدر ما هي في الوعي الاجتماعي والحضاري للأمة.

أنا لست بصدد تصنيف صديقي بدل رفو المزوري في أدب رحلات كردية أو أجنبية، لكني أقول باختصار أن رحلاته كردية حضارية، وهو رحالة ينقل الثقافة الكردية إلى الأمم بطريقة عصرية ومدنية، وبشاعرية، وبلغة يفهمها المستمعون. إنه سفير كردي، وإعلامي وشاعر ومترجم، لا يبحث عن الشهرة، على عكس بعض السياسيين. هدفه ليس بناء القصور كما هو عند البعض من الذين يتباهون بقصورهم المبنية بأفواه الجياع.

لماذا هذه الرحلات الثقافية؟ شرح الشاعر بدل رفو المزوري الغاية من رحلاته بجلاء في رسالة أرسلها لي، وتضمنت مايلي:

"إن كل هدي من رحلاتي أن أربط ثقافة وحضارة شعبي بالعالم لكي يعرف العالم بأن لنا وجه آخر من الإبداع والثقافة الانسانية،

فكل ما يعرفه العالم حول الكورد وخاصة الأوطان البعيدة، مأساتنا مع الانظمة السابقة والدكتاتورية ونحن أقوام الجبال لانعرف شيئا من هذا العالم. وتصور لحين أن زرت المغرب، كان عامة المغاربة يتصورون باننا ناس مثل البربر، وحين حللت ضيفا على احدى القرى على ساحل الاطلسي فكل اهل القرية جاؤوا لرؤيتي وسمعوا بوصول كوردي عراقي الى قريتهم كأنه انا قدمت من متحف ما، وحين التقوا بي تغيرت صورتهم نهائيا حول الكورد، وفي مهرجان شعري ايضا حين القيت الشعر باللغتين".

بعد قراءتي لتلك الحديقة الوردية، وأنا أجد صورة المزوري بين السطور تذكرت قصيدة الطلية لشاعر الشعراء زهير بن أبي سلمى، وهو يقول في معرض دفاع المرء عن أهله وقومه:

ومَن يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُبْخَلُ
بِفَضْلِهِ

على قَوْمِهِ يُسْتَغْنَى عَنْهُ
وَيُذْمَرُ
ومَن يَوْفٍ لَا يُذَمُّ وَمَن
يُهْدَقَ قَلْبُهُ

إلى مطمئن البر لا يتجمجم
صور فوتوغرافية للشاعر المترجم والصحفي بدل رفو تعبر عن شخصيته، يمكن قراءتها

لفهم شخصيته التي تعبر عنها في طريقة الوقوف وتقاسيم الوجه، والملابس وأسلوب الحديث، والعلامات والألوان. هذه الصور نوع من الإبداع في أعماله الأدبية والفنية. إنها ليست تجارية، ولا هي تعبير عن الريح المادي، بل هي سياحة فكرية وأدبية من أجل شئ أسمى من المادة، وأرفع من السلطة. إنها اللغة الكردية باعتبارها وعاء الثقافة، وهي أيضا الأدبيات الكردية باعتبارها تعبيراً عن مأساة الكرد في وطن يبحث عن الحرية. إنها دروس كردستانية يقرأها الآخرون من خلال الشعر الكردي بلغتهم التي قام صاحبنا المزوري بترجمتها بعقله ووقته وفكره بلا مقابل.

إنها الإباء والعزة في النفس التي تأبى أن يمد شاعرنا ومترجمنا يده للذين يجمعون قناطر الذهب والفضة في القصور المرمرية. أراد أن يعيش فقيراً بالمال، غنيا بالعزة والكرامة والثقافة والشرف وقوة الشخصية.

هل كان كل هذا وذاك، وهذه وتلك في شخصيته، وفي طريقة حياة الأم التي سهرت من أجل رفعة هذا الرجل، أو من قصائد الشعراء الكرد، وعلى رأسهم شاعرنا عبد الرحمن المزوري؟ لقد تعلم بقراءته الواعية وعيا أعطاه

الرفعة والمروءة والبساطة والحب، أو كلاهما وكلتاها.

أراه كالسندباد في مشيته، وكالباز في طيرانه بعقله فوق الحدود المرسومة من قبل البشر. أراه منسياً في وطنه لأنه يأبى نسيان الوطن في قلبه وذاكرته، حتى لا يكون تَرْساً في آلة بيد الآخرين، يتحكمون في فكره وأدبه. فالأديب يجب أن يكون حراً، والأدب بحاجة إلى الحرية، لذلك ينبغي أن لا يكون عبداً أو مَقِيداً بأغلال أحد، أياً كان. فهل اختار المنفى في الغربية المُرّة مثلي، وأنا الذي أبحث عن هوية وطني الضائعة مثله، فلا أجدها إلا في البعد البعيد عن الوطن، كما قال ديقول في فترة الاحتلال النازي لوطنه: إذا أردت أن تعرف الحقيقة عن وطنك فسافر بعيداً عنه.

هذا المزوري الذي يحمل حقيبتة الصغيرة ويرحل بكلماته في ذاكرته. حقيبة ثقيلة بالثقافة، ومحفوظة خفيفة لاتحمل إلا بضعة أوراق نقدية بعيداً عن الرائحة الكريهة التي تتصاعد من مخازن دولارات عتيقة بين الرطوبة.

أمامي ديوان "وطن اسمه آفيان"، الصادر عام ٢٠٠٩ في القاهرة. كتب شاعرنا العراقي الكبير يحيى السماوي في صفحته الخلفية هذه الكلمات:

"في شعر العزيز المبدع بدل رفو، يتأخى نخيل البصرة وسنديان أربيل ... وصحراء السماوة مع سهل شهرزور ... فلا يفرق قارئ شعر بدل بين هديل حمام الكوفة وغناء طيور القبح في بهدينان ... أو بين خريز نهر الفرات وخريز شلال كلي علي بك ... ولا بين حفيف بساتين جيكور وحفيف غابات أزمير ... ولا عجب، فالشعر عند بدل رفو ليس ترفاً لفظياً بقدر ماهو الذود عن الفضيلة والمحبة والأرض ... عن الأطفال والطيور والشجر ... عن الجمال ضد القبح، والمودة ضد الضغينة ... وعن الحرية ضد التعسف والديكتاتورية". (يحيى السماوي شاعر عراقي).

وهنا نقرأ في صفحة الإهداء لديوان "وطن اسمه آفيان" معاني عميقة تكمن وراء الأبجديات: إلى وطن منسي من جغرافية الأوطان إلى وطن يخرج من صليبي ليصلبني

إلى وطن أسميته آفيان". لنقارن تلك الكلمات بالكلمات التي كتبها لي في إهدائه للديوان حتى نفهم مغزى كل كلمة، وكناية كل جملة في ذاكرته.

كتب في إهدائه لي مايلي: "إلى أخي وأستاذي وصديقي د.

خالد يونس خالد

أهديك من القلب هذا الوطن
الذي سميت به آفيغان
واسميت به أنت وطننا بدون
رتوش ومكياج
مع جزيل احترامي
دمتم.

أخوكم بدل رفو " ٢٠٠٩/١٠/١٨
وكان جوابي على إهدائه
مايلي:

"الأخ الشاعر الكردي المتألق بدل
رفو

هنيئاً لك في هذه الباقية العطرة
بألوانها الزاهية

بدل رفو شاعر الجمال والمحبة،
يكتب بلغة سهلة جميلة وأسلوب
سلس، ويفهم معاناة الغربة،
والوطن في قلبه. تخرجُ كلماته
من الأعماق، مضفية بالعاطفة
الجياشة والحب الصادق بثوب
الطبيعة المتعطشة للحب، من قلب
مفعم بالوفاء لوطن اسمه آفيغان
د. خالد يونس خالد - السويد."

ماذا يفهم المرء من هذه المحبة
الصادقة والعشق للوطن؟

لنقارنها مقارنة أخرى في ديوان
الشاعر الفذ عبد الرحمن المزوري
بعنوان "آفيغان" ترجمة الشاعر
بدل رفو. كتب في إهدائه لصاحب
الديوان:

"إلى أبجدية النرجس وروح الشعر
وقصيدة القبوج وآفيغان

إلى شاعر ارتشفنا من مناهله
العشق والشعر والإنسانية
إلى الشاعر الإنسان
عبد الرحمن المزوري
تكريماً له في حياته
أهديه ثمرة جهدي".

المرجع ٢٠٠٨/٢١/١

لقد أصبحت الآية واضحة، أن
للشاعر عبد الرحمن المزوري دور
في إبداعات بدل رفو في الرؤية
والترحال.

لنقرأ معا قصيدة المعاناة
المرتبطة بالقافلة والحركة بعيداً
عن النسيان. قصيدة "الأمطار-
مطلب والدتنا" من ديوان "آفيغان"
الذي صدر قبل ديوان "وطن اسمه
آفيغان"، للشاعر عبد الرحمن
المزوري، ترجمة بدل رفو:

"أماه، يا أماه

اني أعلم

أن قلبك أضحي بحر الآلام

وتحول إلى موقد ملئ

بجمرات الأحزان

أن افق مسيرة القافلة

مسكون بالمعاناة والأشجان ...

وموانئ المراكب مليئة

بالآهات والآلام...

إني أعلم

أن ما يفكر به الأطفال

هو رغيف الخبز ...

وأن ربيعك هو الشتاء

هو الشتاء

أماه، يا أماه

- نحن نسأل

نخاطبك يا أماه

ماهو مطلبك؟

نستحثك أن تجيبنا

أن ترد علينا

فأجابت الأم:

يا أحبائي، يا فلذات كبدي

سأزيح الستار

عندما يعمل في القلب والأعماق

والعيون:

أن أمكم عاشقة

جريحة

مطلبها - الدواء

ودواؤها - الأمطار...

مطلبها: إطفاء نار الخطيئة

مطلبها: تدمير الليل والقيود

والسحب السود

مطلبها: (لاوك) و (حيران)

مطلبها: الأمطار ... "

إلى آخر القصيدة.



الشاعر الرحالة بدل رفو في

ريكا عاصمة لاتفيا عام ٢٠٠٥

من خلال قراءتنا لهذه الصورة
نجد الابتسامة المرسومة على
وجه بدل رفو الوسيم.

من أين جاءت الابتسامة، وهو
بطبعه يحمل عشرات الأسئلة عن
قضية شعبه ليطرحها، ويعطي لن
أراد أجوبتها؟

هنا في ريكا عاصمة لاتفيا،
يتأمل المزوري، متى يأتي يوم أقف
هكذا مبتسما مسرورا في وطن حر
اسمه "أفيان"؟

هنا في الغربية ابتسم لأن ذكريات
كردستان في مخيلتي أطول عمرا
من الأحلام.

أقول لأخي وصديقي المزوري:
شعب لايموت؟

فأين الرعاة في المسيرة؟
أحب الحرية لي ولكم، وليس
لبعض البعض فقط.

بوسترات كوردية من الغربية

١- البكاء

السماء تبكي،
وانا ابحت لها عن
منديل
يجفف دموعها.

٢- الفنان

العاذف يغادر المسرح
غير قادر ان..
يعزف لحنا راقصا ،

لراقصة شرقية..
تهز خصرها
الرفيع
لأصحاب الكروش
النتنة.

٣- النار

النار اضرمت في بيت
فقير معدم..
لم تجد سبيلا
لدخول بيت سياسي
فاسد
لتجمع حراسه الشخصيين
(البوديكرات)
على باب منزله.

٤- رئيس التحرير

رئيس تحرير
انبه ضميره،
لم يرد على تهاني
الاصدقاء
لمنصبه الرفيع
فعوضها..
بالرد على رسائل الفاتنات
الجماليات.

٥- الانتهازي

انتهازي..
كان يخجل من لغته
و قوميته
حين كان اتباع الفرعون
يلتهمون شارع مدينته..

وبرحيل الفرعون
صار وطنيا ويردد
كم انت رائع يا وطني!!..
ما اكثركم يا اولاد ال.....

٦- زوربا اليوناني

حين كان اليوناني زوربا
طفلا صغيرا..
اخذ يدخر مصروف
جيبه اليومي
ليشتري الفستق،
يشبع منه ،
حتى الافراط..
فمتمى ساشبع من عشقك
يا وطني المسافر معي
عبر محطات الغربية.

٧- رئيس دولة

اطلق رئيس دولة
مرسو ما جمهوريا:
على شعبي أن يظل شابا
أن يزيل الشيب
بالاصباغ الفاخرة!!..
لئلا يتهم الرئيس
بأنه المسيطر والمحتكر

لصبغ الدولة
لشعره فقط....
حينها...
زود الأسواق والشعب بالصبغ
مجانا...
إنه العدل يا سيادة الرئيس

وليحفظكم الله ويرعاكم.

ليسمح لي صديقي بدل رفو أن
أكتب نيابة عنه هذه الكلمات:
أيتها الصديقة، سفيرة دولة
كوبا في النمسا! ידי بيدك، فماذا
أحدث لك في غربتي؟
سأشدد لك قصيدة شاعرة
كردية اسمها (تريفة دوسكي).
قصيدتها حب للوطن، وعشق
للوفاة.

عنوانها "عيد الحب". فاسمعي
خلجات قلب المبدعة الكردية،
وحبها للورود وثلوج جبال الوطن
والفراشات والطبيعة، لتعري براءة
جمال شاعرات الكرد. إنها أغنية
خريز خابور والزاب وشلالات كلي
علي بك. إنها عيون الأرض المبللة
بدماء الشهداء، وذكريات صراخات
الأمهات وأحاديثهن مع الأرواح
الطاهرة في ثرى كردستان الباكية
بأثواب الابتسامات الطاهرات
النقيات. ها هي الشاعرة (تريفة
دوسكي):



الشاعرة تريفية دوسكي

عيد الحب

شعر الشاعرة الكردية تريفية
دوسكي. ترجمة: بدل رفو
المزوري

حبيبي ...

اقترب عيد الحب،

فما اهديك؟؟

وردة حمراء ،

قبلة حمراء ،

أو احتضان احمر

أو اغني لك اغنية حمراء
في هذا الشتاء

حيث لا ثلج

وانت رجل ثلجي

ابيض ابيض،

مثل روح الغيوم

تحوم حول،

فنجان قهوتي وتمتزج به

بعشق:

تخط عتبة حجرتي

وانفاسك على زجاج النافذة

تستحيل

اقف وباناملي اخط اسمك!

بعشق:

تقرأ القصائد

وتلاعب اناملك قامات الورود!

بعشق:

مثل الفراشات تحلق وتفتش

احلى وابهى واقيم الزهور..

أتذكر حين علمتك لعبة

(بينجوكاني)

وفتحت يدك وسرقت مني

كلهم

وحين كبرت ،

سرقت قلبي

وخبات روحي في خريز

النهر!

بعشق:

تجعل من كل ايامي

أعياد حب

وتجعل من الانهار ،

قلادة ماء وتزين بها جيدي

وتجعل من شقائق النعمان

قلائدا معلقة في دواويني!!

أله..

كم أشتاق لك وانت بجنبي

الي..

انه عيد الحب،

ورود حمراء في فؤادي

وشموع حمراء،

اوقدها وتغني لي:

(عاشق انا واعرف عشقك جيدا)

انا فتاة حمراء وانت رجل احمر

وتتحد روحينا

لكنك لم تنطق

أي شئ اهديك ؟

الجهات الرسمية في البلدين خاصة
وأن بدل رفو يقر أن أقرب الشعوب
للثقافة الكوردية هم العرب، وفي
مقدمتهم المغاربة .



ابن بطوطة الكردستاني
الشاعر المترجم بدل رفو في حوار
عن الكرد مع أشهر متسلق جبال في
العالم راينهولد ميسنير في النمسا
٢٠٠٨. نحن في حديث عن الوطن:
في وطن لم يذق طعم الحرية،
في أزمنة العهر،
وسقوط الشعر
في مهرجانات الموائد المتعفنة
الكلمات سيارات مفخخة
القبلات أحزمة ناسفة
الصداقة طعنات غادرة
الأغاني والتماثيل كفر والحاد
(أستغفر الله)
إذا فليدفن الإنسان
ولتبصق الديمقراطية
حرية في جبين الغد،
في وطن، مازال أبطاله
يرقصون
على حبال السيرك بإتقان.
المبدع بدل رفو يتأمل، وتأمله

حتى تستفيق أنشودة
الطفولة المريرة
وتلويحة وداع أخيرة! "

الشاعر المغربي الكبير اسماعيل
زويرق يهدي سفير الثقافة
الكردستانية المزوري شهادة
تقديرية في المغرب ٢٠٠٨
كتب الكاتب المغربي (إبراهيم
فهوايجي) من مدينة مكناس بالملكة
المغربية مقطوعة رائعة جاء فيها:
إنه الشاعر المترجم والصحفي
بدل رفو المزوري الذي حمل
حقيبتة الظهرية طارفاً باب المغرب
من سواحل البحر الابيض المتوسط
جهة الشمال الى شواطئ المحيط
الاطلسي ... حط الرحال في قرى
مغربية لم تسمع قط عن الأدب
الكوردي قرية تارغة (العرائش)،
قرية أحد آيت ميمون (الخميسات
) رابطا جسور المحبة والتواصل
مع الشعب المغربي من شماله في
شفشاون و تارغة الى مدينة اغادير
وتارودانت و الصويرة ومراكش
وفاس ومكناس والدار البيضاء
دون تكليف من أية جهة رسمية،
بل كان ضميره الثقافي الكوردي هو
الذي دعاه الى أن يخوض غمار سفر
ثقافي بامتياز تفاعل من خلاله
الشعر الكوردي بالشعر المغربي
كأول عتبة يمكن بلورتها مستقبلا
في إطار مشاريع ثقافية تتبناها



الرحالة الشاعر مزوري يقدم
باقعة من الشعر الكردي إلى عشاق
الأدب في المغرب ٢٠٠٨
هنا في المغرب، بعد رحلته على
سواحل البحر المتوسط، يتلاعب
الشوق بجوارحه، ويئن الحنين
إلى وطنه، ويشده إلى الذكريات في
غربته حتى تستفيق الطفولة
المعذبة بين الكلمات.
لنقرأ معا قصيدة بعنوان
"شوق"، كتبت على سواحل البحر
المتوسط في فرنسا واسبانيا وجنوب
المغرب، مهداة إلى الوطن في الأعماق،
(إلى آفيغان ... توأم الروح):
"شوق يرقص
شفاه المحيط الأطلسي
أداعب جدائلك
ضفائرك يا آفيغان
بعشق وحنين غربتي
وأمشطها،
بأهداب ذكرياتي
وأنامل أيامي النازفة
وهي تتبعثر في محطات الغربة
الكئيبة
لا صخور تتحطم الأمواج
العاتية عليها

يتابع الأحداث في وطنه الجريح،
فبدأ يفكر بعقلانية ذكريات آلاف
الشهداء الكرد الذين ضحوا من
أجل الوطن الذي أحبه، وطن اسمه
"أفيهان". وراودته شكاوى النساء
اللاتي فقدن أحبابهن من أجل
الحرية التي هي جزء من إنسانية
الإنسان. قراءتنا لصورته الحزينة
تحت نصب مانفيلوف الشهداء
تعيدنا إلى صاحبه وصديقه عبد
الرحمن مزوري وقصيدته الرائعة
(يوميات ميهربان البروارية).
لنقرأ ترجمة بدل رفو لبعض
أبيات القصيدة، وهي شكوى
بين سطورها أننا لم نوف بعهد
الشهداء.

قدموا... وقالوا

للأمير

خزائن مليئة ذهباً وفضة

وبلاطه

حبلى بالرفاهية والأمنيات

فتعالي وكوني...

وصيفة للأمير

قطعة من بلاطه

فأجبتهم:

اذهبوا وقلوا لأميرنا الذي

تبلغ قامته عنان السماء

أن لا يغضب أبداً

فنظرة من ابن العم البائس

يحيل قلبي مروجاً

ويحيله ربيعاً

قولوا له:

ان الفراشة التي تحوم بحرية

ستصبح في بلاطك

أسيرة،

ومن الإضطهاد تموت.



نائب رئيس جامعة كازاخستان

يقدم الشاعر الرحالة بدل رفو

للجمهور في محاضرة شعرية

كردية

يقول بدل رفو وهو ينظر إلى

نائب رئيس الجامعة، بعد أن قدمه

للجمهور:

ماذا أنشد لكم؟

شعبي يتطلع إلى الحرية،

ووطني حزين، وجماليات شعبي

تنظر إلى الأفق بعيون عسلية

نرجسية، ينشدن المحبة في حديقة

الأحزان. وأنا هنا، لا أستطيع أن

أنساهن، لأنهن سحر الوطن، وجمال

الطبيعة التي تبحث عن الحب.

أنشد لكم قصيدة صديقي

عبد الرحمن مزوري، (أحزان بيت

كردية)، حتى لا تلومونني لماذا

هذا الترحال بين الأمم، وأنا احمل

حقيقتي الحزينة، وجوعي كجياح

فقراء الوطن والمهجر بعيدا عن

الوطن. وفي كل هذه الحالة، فالعشق
غداؤنا، والحب سريرنا، والجمال
رداؤنا، والوطن حبيبنا. ودموع
لاتعرف النسيان في كردستان وفي
البعد الذي لايعرف الزمان.

أحزان بنت كوردية

نحن وهي

ولدنا في ليلة واحدة

وسوية ترعرعنا وغدونا

يافعين

هي العروس ونحن العرسان

تنبع مع جداولنا

وتهطل مع امطارنا

وترضع مع صغارنا

ونرقد سوية على سرير

ومضجع واحد

فمن لم ير (أحزان)

فأحزان بنت كوردية

إنها بلباس وأقراط (حيدرانية)

الحذاء الذي في قدميها،

صنعتة الخيرة (البابانية)

تمتهن الرقص والدبكة

على الطريقة (الشيخانية)

أحزان تلك...

كانت تتنقل مع رُحلنا البدو

وتأتي الى الزوزان

وتقف على جدالات وصراعات

الرعاة على المروج

ورأت بأَم عينيها

كيف ان (خجوك)

ذات العينين الكحيلتين

الطريق	تتجول في فناجين قهوته	صرعت (سيابند)
ولم يصل الشاطئ	وتحت عباته كانت تأوى	يجوى العشق
أحزان تلك...	الى الفراش	أحزان تلك...
هذا المساء	وكالجمار تحط على غليونه	كانت تذهب مع جيعنا
كانت في بيت (شيخ موسى)	لغاية ان غزا الشيب	وفقرائنا
تغني،	رأسه	الى القفار والبرية
فأثارت اشجانه	وأصبح حظه عاثرا وتعيسا	وتصنع الفحم
وحطمت سدود عهوده	وهدمت اسمه وداره.	وتجلب اوراق الشجر
وحصدت مرج آماله	أحزان تلك...	وتعقد جدائلها
مرة واحدة	قطعت الجبال وحدها	وتشمر عن سواعدها
وأصبح كبده وروحه	الى ان وصلت	وتتنقل من احراش
مقطعا بالآلام	محل (القاضي)	الى احراش
واحترق.	وكفرخ ثعلب وبمكر	كنحلة،
أحزان تلك...	نهضت وكسرت عصاه	وكانت تعود مساء
تصبح حيوانا مخيفا	في ذلك الصعود	إلى أكواخنا
في بعض الليالي	كان القاضي شيخا	منهكة ومرهقة
وتقرع الابواب	هرما وحزينا	وروحها تن
باباً... باباً	ارتعش وسقط	أحزان تلك...
وتدخل البيوت	وكل سعادته وأفراحه	كانت ترفد في بيت (الجزيري)
وترقص على انغام الناي	غدت اتراحا ومآسي	صديقة له ولحبيبته (سلمى)
والأطفال يرتعبون منها	أحزان تلك...	وما كانت لترحل
ويختبئون	في الحقيقة كانت جدتي	وما كانت لتموت-.
وبالسنتهم الساذجة	اما لأبي	ضيف ثقيل كالحمى
يدعون عليها	ولهذا سموه	ومع ذلك،
ولا يقتربون منها.	(صالح ابن خم) صالح ابن	ما كانوا غاضبين عليها
أحزان تلك...	أحزان	فكانوا الثلاث
كانت حبيبة صديق عزيز	وكانت احزانه كثيرة	ياكلون من قدر واحد
مفتول العضلات لفترة	تهطل عليه مزنًا	وكانت لهما كالأم الحنون
وكان يعانقها كل يوم	كأحزان (زين ومم)	أحزان تلك...
يئن معها	فألتهمت الزوابع قاربه	احيانا كانت تحلق
وكانت تعلم بأنه كان تعيسا	ولفته ،	(وتحط على برجاً بلك)
ومرت الايام	وانقطع سبيله في منتصف	في بلاط (بدرخان)

فأصبح صديقي يبتعد وينفر منها وأصبح قاب قوسين من الهلاك. أيتها البنت (احزان) الخادعة يا عاشقة فتياننا وتلالنا وجبالنا كطائر القمر ألا تنزلين من على رموشنا الذابلة اسقطي ارضا وغادري فراشنا فقط لمسافة شبر ابتعدي عن خيامنا المهلهلة فاللعنة عليك وليحرق الرب دارك فنحن في فرار ونفور منك ليل نهار. ولم نصمد امام سهامك القاتلة بالله عليك كُفي عنا ولا تتعقبيننا كُفي عنا ولا تتعقبيننا.	كما هو يحتضنها في قلبه الكبير. إنها الأم الكبرى، حبيبة الملايين. رأيت صورة صديقي المزوري، ولم أجد ما يفرحني أكثر من أشاركه أفكاره، وأفاستمه غربته لأتحدث له بهذه الكلمات: لن يغيب البحر من ذاكرتي أن أزف له قصائدا من لغتي أيها البحر كن شاهدا أنني جئت إليك بقصائدي من تأوهاتني إنني أرى الأمواج تنشد للأسماك والرمال أنها عشقت رحلاتي في خيريك أسمع شعري كما كنت أنشده في سمراتي كردستان لن تنسى لو تَهْدَم الدنيا في جوارحي وذاكرتي أنا السائح وأنا السفير ابن بطوطة الكردستاني في غربتي ها نرى الشاعر صاحب القلب الرحيم يقبل المرأة التي أنجبته وربته وعلمته دروس الحياة. هذا هو الوفاء والتواضع. فالأم هي المدرسة الأولى. هذه هي الأخلاق: إنما الأمم بالأخلاق ما بقيت فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا هذا هو الرحالة ابن بطوطة الكردستاني، وفي اللغة محب للأدب	مترجم للشعر عاشق للوطن عزيز القلب للأم، وفي شوق حنانها، وهو يقبله بقلبه قبل شفتيه، ويغمض عينيه إشارة إلى طرد الأحزان والآلام من الفراق لحظة التلاقي. ولسان حاله يقول: عدتُ إليك يا أماه! فأنا ميت في فراقك، ولكن عندما أراك تعود إلي الحياة. سنواتي مع تشي غيفارا - سياحة في عمق ثورة هزت الانسانية رسالتي الى كردستان برئيسها وشعبها: ألم تحن الفرصة بعد أن نُعرف العالم بثورتنا وابطلنا ؟؟ نتساءل هنا ماذا يفعل المتألق بدل رفو المزوري في هذا اللقاء. إنه يقف بجانب صديقه (ليوناردو تمايو نونيز) بطل وثائر من أبطال الثورة الكويتية. رافق تشي الى بوليفيا عام ١٩٦٦، حيث حاول خلق نموذج دائم للثورة. ونجح بعد موت حيفارا في بوليفيا أن يعود حيا الى كوبا مع ثلاث من رفاقه. وكان خبيرا استشاريا في انغولا ونيكاراگوا.
--	--	--

الشاعر المترجم بدل رفو هنا ليتحدث عن رسالة شعبه الكردي من أجل الحرية.

إنه هنا ليقول أين موقع وطننا في نضالاتكم؟

أين يكمن الخطأ؟ أهو فينا أو في رُعاتنا، أم هو في نسيانكم لقضيتنا؟

لنقرأ القصة باختصار.

"ليوناردو تمايو وسنواتي مع تشي غيفارا" كان عنوان الأمسية التي أقيمت له ضمن أسبوع أفلام أمريكا اللاتينية بمناسبة الذكرى الواحد والثمانين لميلاد الشاعر الكوبي تشي غيفارا، في المركز الثقافي للحزب الشيوعي النمساوي في مدينة غراتس. امتلأت القاعة بالزوار وعشاق تشي غيفارا والحرية. وحين دخل الشاعر ليوناردو القاعة وقف الجمهور تحية واحتراماً لهذا المناضل وصفق له طويلاً. سجل ليوناردو حافل بالنضال في أمريكا اللاتينية. بالإضافة إلى مشاركته إلى جانب تشي غيفارا في بوليفيا، حارب في أنغولا وفي أفريقيا من عام ١٩٧٥ ولغاية ١٩٧٨ حيث قاد العمليات ضمن صفوف الثورة. ويعمل الآن جنرالاً في وزارة الداخلية الكوبية. المترجم المبدع د. فيرنار فاسيلي ترجم الحديث من الأسبانية. وبدأ الضيف بسرد ذكرياته مع تشي

غيفارا الذي تعرف عليه عام ١٩٥٧، وظل بجانبه أكثر من ١٠ سنوات. وقال بأنه كان له الشرف والفخر بأن يرافق تشي غيفارا في مهماته الخاصة. وكان يردد عبارة تشي غيفارا حين كان يقول "بأنه مواطن كل العوالم وأنا ابن العالم وليس فقط الأرجنتين وكوبا".

لقد كان تشي غيفارا الباحث الطبيب والانسان يحمل مسؤوليات كثيرة. فلم يكن فقط وزير صناعة بل كان هناك على عاتقه الكثير حيث كان يقضي أكثر من ١٧ ساعة في خدمة وطنه، فقد قالها فيديل كاسترو "بأنه لو انصفنا وزيراً ما فعلينا أن لاننسى تشي غيفارا أبداً". لقد قال تشي غيفارا لكاسترو أن عليه أن يهتم بوضع كوبا الداخلي، وأما أنا فواجبي التوجه الى دول امريكا اللاتينية لأنشر الحرية والعدالة الاجتماعية هناك. وارفد قائلاً بأن تشي غيفارا كان يعلم بأنه يكبره عمراً وان ليس بوسعه قيادة الثورة لو بلغ ٣٩ عاماً. لقد نشر تشي الف باء الثورة في بوليفيا. وبعدها تحدث ليوناردو عن وضع كوبا ومكانتها حالياً بين دول امريكا اللاتينية، وقال بان لكوبا علاقات دبلوماسية وسياسية واقتصادية مع هذه الدول، وشعب كوبا شعب مكافح ومقاتل من أجل حريته وأنه يتضامن مع كل

الحركات التحررية وضد السيطرة على الشعوب والاضطهاد.

بعدها فتح باب النقاش وبروح رقيقة وصدر رحب، وأجاب على أسئلة الحضور

بدل رفو المزوري كان حاضراً بفكره، ومعه كردستان وشعب كردستان في هذا اللقاء

سأل (بدل رفو) الشاعر الكوبي "ليوناردو تمايو نونيز":

"كنا ننتظر أن تحدثنا أكثر عن ذكرياتك وطبيعة تشي غيفارا وتعامله مع الأسرى والرفاق.

ثم طرح عليه السؤال التالي: مَنْ يعيش ثورة فعليه أن يقف إلى جانب ثورات العالم، فمثلاً لم نسمع يوماً بأن كاسترو أو كوبا نطقت اسم كوردستان أو أسماء الثورات الأخرى فما هو السبب؟؟؟ أجاب ليوناردو على أسئلة الرحالة الكردستاني (بدل رفو) قائلاً:

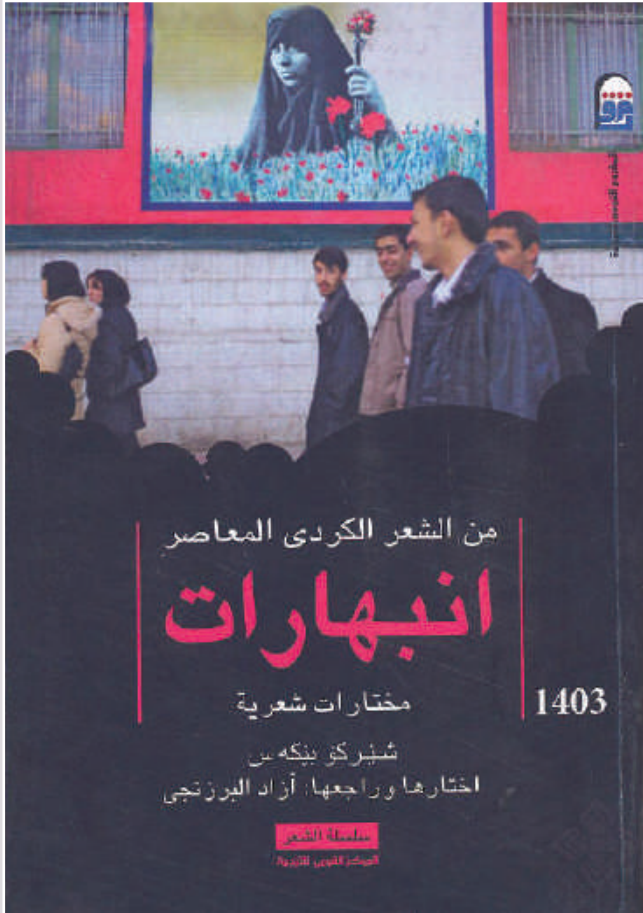
صحيح أنني لم أتحدث عن تشي غيفارا كثيراً، فبدأ بسرد بعض ذكرياته معه وطريقة تعامل تشي مع الأسرى حيث كان يعطي دواء المخصص للربو للأسرى العدو. ولكن حين وقع في الأسر لم يرحموا تشي غيفارا بل وجدوه مقيد الأيدي والارجل.

وتابع قائلاً:

بالنسبة للحركات التحررية

- فنحن نقف مع فلسطين من أجل حقوقهم. وأما بالنسبة لكوردستان فلأسف ليست لدي معلومات عن كوردستان!!!
- هنا تألم بدل رفو كثيرا. ولسان حاله يقول: من حق الرجل أن لا تكون لديه معلومات، ولكن أليس من حقنا أن نصدر أبطال ثورتنا الكوردية الى العالم؟
- ما الذي يقومون به مسؤولوا الأحزاب والحكومة الكوردية في العالم؟
- وبعد انتهاء المحاضرة كان الجمهور يرحو توقيفه والتقاط الصور معه، وأنا قلبي يكاد يتمزق متذكراً أبطال الثورة الكوردية الذين ربما كل ثلاثة أشهر لا يستلمون الراتب سوى مرة واحدة.
- واتذكر ممثلينا في أوروبا والعالم وهم بحاجة الى أبجدية الكوردياتي وغير قادرين على نشر ثقافتنا وأدبنا وثورتنا الكوردية، ذلك التاريخ المشرف من نضال أبطال سجلوا تاريخ كوردستان بأحرف من ذهب.
- ومن هنا رسالتي الى كوردستان برئيسها وشعبها.
- ألم تحن الفرصة بعد أن نصدر أخبار ثورتنا وأبطالنا الى العالم؟؟؟ وفي النهاية قال المزوري بحسرة:
- ربما ستدفن هذه الرسالة في مقابر النسيان.
- بدل رفو المزوري**
- * مواليد ١٩٦٠/٨/١ / الشيخان / قرية الشيخ حسن / كوردستان العراق
- * أكمل دراسته الابتدائية والثانوية في مدينة الموصل
- * تخرج بقسم اللغة الروسية، كلية الآداب جامعة بغداد عام ١٩٨٥
- * بدأ بالنشر نهاية السبعينيات باللغة العربية بجريدة الحدباء الموصل.
- * من خلال دراسته في بغداد، واكب صحافة العاصمة ونشر نتاجاته الأدبية والصحفية باللغتين العربية والكوردية في صحافة ودوريات العاصمة ومنها (الأقلام، الطليعة الأدبية، بيان، هاو كاري، روشه نيري نوى، الثقافة، العراق، باشكوى عيراق، .. الخ)
- * عمل مراسلا صحفيا من مدينة الموصل لصحيفة بزاف وهاو كاري ومجلة ره نكين منتصف الثمانينيات.
- * يعمل بمجال الشعر والترجمة والصحافة
- * يعيش بدولة النمسا منذ عام ١٩٩١ .
- * عضو عامل في نقابة صحفيي كوردستان والنمسا.
- * عضو اتحاد الأدباء الكورد / فرع دھوك والنمسا.
- * عضو جمعية المترجمين العراقيين، المركز العام، بغداد
- * شارك في الكثير من المهرجانات السينمائية ضمن الطاقم الصحفي للمهرجان ومنها مهرجانات أفلام الجبال ومهرجان الفيلم النمساوي.
- * شارك ومن خلال مسيرته الثقافية في كثير من المهرجانات الشعرية في العراق والنمسا وكازاخستان والمغرب.
- * لقد كتب الكثير من الأدباء والنقاد حول تجربته الشعرية: ومنهم زهير كاظم عبود، إبراهيم اليوسف، عبد الخالق سلطان، د. خالد يونس خالد، فتح الله الحسيني، د. توفيق التونجي، د. هدية الايوبي، جلال زنكبادي، عبد الكريم الكيلاني، الناقد مسعود عكو، الشاعرة فدوى كيلاني، عبد الكريم يحيى الزيباري، عبد الإله اليوسف، عبد الغني علي يحيى، د. مؤيد عبد الستار، حكيم نديم الداوودي، نجيب بالايي، الشاعر المغربي إبراهيم القهوايجي، عبدالوهاب طالباني وآخرون .
- نشر نتاجا كثيرا في الصحافة العراقية ومنها الثقافة الأجنبية والأديب والتآخي والصوت الآخر

- والاتحاد والحقيقة وآفاق سبيريز
والصباح الجديد وطريق الشعب
والمؤتمر والمنازة ونشرت قصائده
في أنطولوجيات عربية وألمانية.
** صدر للشاعر:
* ومضات جبلية من الشعر
الكوردي المعاصر عن وزارة الثقافة
والإعلام في العراق عام ١٩٨٩
* أغنية الباز - قصائد كوردية
مترجمة - دهوك ٢٠٠١
* رسول حمزاتوف وطالما تدور
- الأرض بمشاركة الأستاذ خيري
هزار مزوري - دهوك ٢٠٠١
* أنطولوجيا شعراء النمسا
باللغة العربية، ترجمة عن
الألمانية - دار الزمان السورية -
دمشق ٢٠٠٨
* أنطولوجيا شعراء النمسا
باللغة الكوردية - مؤسسة سبيريز
للطباعة والنشر - دهوك - كوردستان
العراق ٢٠٠٨
* وطن اسمه آفيغان - قصائد
- كوردية مترجمة - سندباد للنشر
٢٠٠٩
* آفيغان - قصائد للشاعر
الكوردي عبدالرحمن مزوري
- ترجمة - دار سردم للطباعة
والنشر في السليمانية - كوردستان
العراق ٢٠٠٩
* قصائد حب نمساوية، ترجمة
عن الألمانية دار الزمان السورية -
دمشق ٢٠١٠



انبيهارات
قصائد مترجمة للشاعر شيركو بيكس
من مطبوعات المركز القومي للترجمة
القاهرة - ٢٠١٠

تناص الألوان في قصيدة النثر

فرهاد بيربال أنموذجا

عبدالكريم يحيى الزبياري

والعنوان هنا جزء رئيس في القصيدة، لأنه يدفعنا إلى إعادة اكتشاف أنفسنا أمام مفارقة تشكيلية، لاحتوائه لونين (الأصفر والأخضر) من أصل ألوان القصيدة الثلاثة، والأصفر والأحمر علامتا التوقف هُما أشدُّ الألوان حرارةً، في مقابل الأخضر البارد علامة السير. والألوان الأساسية هي الأصفر والأحمر والأزرق، وبذلك يمكننا استنتاج عدة دلالات للعنوان:

١- العنوان هو المنزل الأول، الذي يعيشه الفتى، ويرى كل الأمكنة من خلاله، والعنوان: دالٌّ أوَّل. والذي لنَّ أيَّ (دالٌّ في النص/ حبيب في الحياة/ معلَّم أوَّل/ مسكن أو موطن... الخ) إلا من خلال ألوان الدالِّ الأول، فبِيربال يعيش مدينته أربيل، وسيف الرحبي يعيش مَسَقَط،

ماركو باولو/ احتسينا قدح شراب أحمر/ تحدَّث عن رحلته الطويلة إلى أربيل/ واستغرب كثيراً أن أربيل باقية حتى الآن/ نصوص كردية حديثة- ترجمة نوزاد أحمد أسود- ٢٠٠٧- سردم- ص ٥٠). الألوان التي وردت في النص هي (الأصفر والأخضر والأحمر) وهي عين الألوان المُستخدمة في إشارات المرور، وفي هذا تناص ظاهر مع قصيدة الشاعر بيربال الشهيرة "شرطي المرور" (كل يوم شرطي المرور يرفع يده/ عشرات المرات/ وفي الشهر يرفع يده ملايين المرات/ فيقبض في نهاية الشهر ثلاثمائة ألف دينار فقط/ وعضو البرلمان يرفع يده مرة واحدة في الشهر/ فيقبض أكثر من سبعة ملايين دينار). فشرطي المرور هنا، هو رمزٌ للأخضر الأكثر اصفراراً.

لم يبقَ لونٌ في الطبيعة إلا... لم يبقَ لونٌ في ذاكرتي إلا... لم يبقَ لونٌ في ذاكرة الشَّعر إلا وتحدَّث لنا همساً بصوتٍ خافت، سرعان ما يلتحق بملايين الأصوات التي يحتفظُ بها الفضاء، ثم تبهُت ألوانها وتختفي فجأة كأنَّها لم تكن، ما لم يتعرَّضْ إلى قراءة ثانية، تعيد لها اهتزازها واخضرارها. ولا توجد حياة في الماضي ولا في الحاضر، بدون ألوان، وإذا كان للون هذا الحضور، فهو في الشَّعر أبهى حضوراً، فهل الشَّعر مُجرَّد رغبة في التلوين، أم إشباع نفسي في إعادة تلوين الأشياء بألوان جديدة، لتثير فينا الدهشة؟

يقول الشاعر فرهاد بيربال في قصيدته "الأصفر الأكثر اخضراراً" (بالقرب من كامبوسان لوركا في بار الفالتو/ صدفة التقيتُ



ويقول في قصيدة "السريـر الكبير" (الـجبل الأصفر بتفرعـاته المهيبـة/ ونتوئه الذي يشبه السريـر الكبير/ يستقبل القادمين من مسقط/ إلى عـُمان الداخل/ كما يستقبل كتابُ الليالي مخلوقاتـه وأشباحـه/ ويستقبل الأبدية/ هل أقام السـحرة فيه أعراسهم؟/ وناموا على سريـره الدافئ/ "السريـر الذي يسميه عبدالله كرفاية الوحش"/ واتخذوه حصناً منيعاً/ كما اتخذت الآلهة الإغريقية جبال الأولمب/ ربما حلم القادم بسريـر أيامه الخوالي/ حين كان حيواناً عملاقاً/ يسرحُ في البرية). والجبل الأصفر سرعان ما يكتسي بالخضار، كتاب الليالي هو الاسم الغربي لألف ليلة وليلة.

٢- الأصفر الأكثر اخضراراً، هو الغرور الأكثر تواضعاً، وهو القديم الأكثر حداثةً، والقديم هو الذي اكتسب أو فقد شيئاً من صفاته بمرور الزمن، والحديث كذلك، واللون الأخضر هو نتيجة مزج الأصفر بالأزرق، وبذلك يكون الأصفر نصف الأخضر، رغم أنهما كرمزين متناقضين، فالأول للجفاف والثاني للخصب والذمءاء، وبذلك يكون العنوان: الجفافُ الأكثرُ خصباً.

٣- ليس الأصفرُ المخضّر، بل هو الأكثر اخضراراً، أي النفس الأكثرُ صيانةً، باعتبار

الـاخضرار عمليةُ صيانة للأرض والنفس البشرية، كما يقول البحري (صنّنتُ نَفْسي عَمّاً يَدَنَسُ نَفْسي/ وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبْسٍ/ فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْـ/ فَرَّ يَخْتَالُ فِي صَبِغَةٍ وَرْسٍ). والأصفر رمز الخريف، والأخضر للربيع، أمّا عن الأخضر الأكثر اخضراراً، والحياة الأكثر موتاً، والأمل الأكثرُ يأساً، فيقول الشاعر محمد القيسي (كَمْ الأرضُ خُضراءُ/ خُضراءُ/ خُضراءُ/ خُضراءُ/ الأرضُ خُضراءُ/ خُضراءُ/ وَمَوْ حَرْشَةٌ!!). لأدّها لا بدُّ أن تستقبل الخريف. الأصفر الأكثر اخضراراً، هو الصحارى التي كانت في يوم ما، أرضاً ناضرة خُضراء، تحولت إلى اللون الأصفر بمرور آلاف السنين، وكذلك يتنبأ العلماء بعودة هذه الفيافي الجرداء إلى أرض خُضراء.

٤- الحبسُ الأكثرُ حرِيَّةً، كالسجن الذي كتب فيه ماركو

باولو كتابه الوحيد واصفاً رحلاته وأسماء " وصف العالم". والأصفر رمز الموت، والأخضر رمز الحياة، والموت الأكثر حياةً هو الخلود الذي ينشده الإنسان منذ كلكامش، مروراً بالرحالة الفينيقي ماركو بولو، الذي كان عمره ١٧ عاماً حين وصل الصين مع التجار الإيطاليين بقيادة والده نيقولا وعمه مافيو، ١٢٧١ وكان ماركو بولو يتقن أربع لغات، مما ترك انطباعاتاً عظيمةً في نفس قبلاي خان، حيث بعثه في جولات رسمية في طول المملكة وعرضها وخارجها، وبقي ماركو بولو مدة خمسة عشر عاماً يتجول في أرجاء الصين وجنوب شرقي آسيا ممثلاً شخصياً للخان حاكم الصين. وحين رجع نشر كتاباً عن رحلاته وسماه "وصف العالم"، ولولا الفرصة التي وجدها بولو ونقل طرفاً لتصنيع الثلج، والنظارات للمساعدة في القراءة، ولأحظ استخدام عملة ورقية، وفي عام ١٢٩٦م قام جيش جنوة بالقاء القبض على ماركو بولو وأودعه السجن. وهنا قرّر بولو أن يكتب عن رحلاته فأكمل كتابه وصف العالم عام ١٢٩٨م. وفي عام ١٢٩٩م عقدت جنوة والبندقية سلاماً بينهما فأطلق سراح بولو وعاد إلى مزاولته التجارة في البندقية.

٥- الأصفر هو التاريخ الخيالي

لذاكرة تنوء بأحمالها، والاضضرار هجوم اللون الأخضر على الأصفر، والحياة هنا ليست هي الحياة المعيشة، بل هي الحياة المصطنعة بطريقة إحياء الذكريات، والمفارقة ليست في التقاء الرحالة الإيطالي ماركو بولو، ولا في بقاء أربيل، بسبب الاضرار، بل في الطريقة التي يستعيد بها الشاعر ذكرياته، مستعيناً بذاكرة القراءة، مستحضراً لوركا وماركو بولو، أمّا الأحمر فهو نقطة التقاء لا بين الشاعر والرحالة، بل بين الأصفر والأخضر. يقول ماركيز (ليست الحياة ما يعيشه أحداً، وإنما هي ما يتذكره، وكيف يتذكره ليرويه/ مقدمة عشت لأروي).

٦- الأصفر هو الجرح، والاضضرار هو التئام الجرح بمرور الزمن، الطبيب الحقيقي، وتقول نازك الملائكة في قصيدة "شجرة الذكرى" (ودرت أسائل عن جرحها/ أما دملته أكفّ القدر؟ فلم أر إلا اضرار الحياة/ فليس عليها لجرح أثر).

٧- الأصفر رمز الشمس، والشمس تشرق من جديد، كل صباح، والأخضر هو ضوء النهار المخفف بعد مرور الغلاف الجوي. يقول سعدي يوسف في قصيدة "تكوين"، الأصفر هو الآخرون، والأخضر هو التفرد، (نعيد الدورة الصمّاء والوردية/

نعيد رهافة الوحدة/ ونسكن في التفرد ... في اضرار الوشم). ويقول قباني في قصيدة "مقابلة تلفزيونية مع غودو عربي" (غودو أنا/ ولم أزل أبحث فوق الرمل، عن بقية اضرار/ ولم أزل أبحث في الركام عن زهرة جئنا/ ولم أزل أومن بالشعر الذي يطلع كالوردة). ويقول قباني في قصيدة "أكبر من كل الكلمات" (سيدتي! عندي في الدفتر/ ترقص آلاف الكلمات/ واحدة في ثوب أصفر/ واحدة في ثوب أحمر/ يحرق أطراف الصفحات/ أنا لست وحيداً في الدنيا/ عائلتي .. حزمة أبيات/ وقطعت بحاراً.. و بحاراً أنبش أعماق الموجات/ أبحث في جوف الصدقات/ عن حرف كالقمر الأخضر/ أهديه لعيني مولاتي/ سيدتي! في هذا الدفتر/ تجديد ألوف الكلمات/ الأبيض منها و .. والأحمر/ الأزرق منها و .. والأصفر).

١- يقول الشاعر فرهاد بيربال في قصيدته "م" (يقول كافكا: كل شيء أسود/ يقول جيمس جويس: كل شيء رمادي/ يقول موني: كل شيء رمادي/ نصوص كردية حديثة- ترجمة نوزاد أحمد أسود- ٢٠٠٧- سردم- ص ٤٨). رغم أن جويس لم يكن بشكل من الأشكال أقل من كافكا سوداوية.

اثر القص في التماثل السياسي

جدلية الادب الكوردي والقاص مصطفى صالح كريم

رحاب حسين الصائغ

يراهنا بوضوح وتنفيذ بمنهجية صادقة، للتأكيد على التاريخ وما ينجزه من رسالة انسانية في حركة الزمن، شاهداً بزوغ تلك الذات بكل ما فيها من ضعف وقوة تجعله قلقاً وفي حيرة تعد مقارنته بابعاد المرحلة التي تصوغ حقيقة العلاقات الاجتماعية، وتحصن القاص مصطفى ازاء مراحل السرد الزمني في المعيشة، وشروط بنائه الحكائي قائم على ثمرة متحدة بامتيازات الفن السردى، هو واثق ان لديه مادة خام، لكن تبصره الذكي جعله يصوغ منها في براعة التقاط المشهد بقلم كاتب سياسي محنك ويده تبارك الثقة في استخراج ما ينطوي المغزى، ففي احداث القصة يؤكد على مادته الخام في التأثر النفسي من خلال ضمير المتكلم: (لقد رفع اسطى

المنظمات الديمقراطية للاتحاد الوطني الكوردستاني في مجلة بيفين، هناك اربع قصص للقاص مصطفى صالح كريم، من صفحة (٢٣١) الى صفحة (٢٧٠) القصة الاولى (القلم) ترجمة: رؤوف عثمان \ القصة الثانية (رعشة الهم في اغاني العشاق) ترجمة: ياسمين شيخ محمود البرزنجي \ القصة الثالثة (طير ابابيل) ترجمة: حسين عثمان نيركسجاي، مراجعة الكاتب \ القصة الرابعة (« المهلة » أو بقية جمر في الرماد) ترجمة : عبد الستار كاظم.

قصة القلم، تعتمد التضافر بين الذاتي والآخر وكلاهما في فكر القاص مصطفى صالح يتواصلان في حركة مقابلة بمزيد من العمق الشامل كأنهما في حلم التداعي وفناعات انسانية حرة،

مصطفى صالح كريم، قاص روحه غنية بالصبر المرتبط بالنضج القومي المشبع بالانتماء الاصيل لما يعنيه تواجد كرجل مفكر وسياسي، قصصه ذات شمولية وعمق مثيرة للاهتمام مما تمنح للقارئ احداثها المترابطة والقائمة على الصراع في استحضار تيارات مختلفة تهدف بفيض توجيهاها في نصه المكتوب بتشكيلات متكافئة برحلتها الانتقائية من حدث لحدث، حاملة الطابع الاجتماعي والمشاعر المشبعة بغنى الطموح الذاتي منجبة افكار قادرة على تقديم المزيد من التجربة الشاملة، يركز على رؤية الحياة وأثرها على المتخيل عند المبدع.

في كتاب (قصص بيفين) منشورات مهرجان كلاويش الثاني عشر عام ٢٠٠٨ اعداد : مكتب



جليل الخياط المنهك في عمله رأسه ورد على تحياتكم، عندما طالع وجوهكم الذابلة اغرورقت عيناه بالدموع، فانحنى بسرعة على ما كنته ليوصل الخياطة كرة أخرى) في هذا المشهد صاغ لنا معاناة لمرحلة الانتكاس لمجموعة من الشباب الكورد وما يلبس ظروفهم الحياتية من قسوة هم ليسوا بساكتين ولكن عملهم من اجل الافضل الذي ينظرون له في مستقبلهم يعانون بصير الانبياء، والاسطى جليل يعلم ما في رؤوسهم من هموم يتألم لهم وليس بيده غير الدعاء بضمير صادق، وتوضح معاشيته لهم مرة بشرط درامي نجدها في المشهد من خلال دموعه ووجوه الشباب الذابلة وتصوير صراع يعيشه جيلان من البشر، شباب طامح، والاسطة الذي يمثل فئة الشعب المتعب، تواكبهما مثبطات الحياة والصعوبات ما زالت تواجه الشباب في معالجة همومهم ومتابعة الواقع، ففي مشهد آخر من القصة يوجد حوار بين الشباب يعنى بهموم أخرى تصادفهم: (هل رضي البنؤون بالبقاء، ليبدأوا العمل من جديد مع العمال ذو الاذرع الفولاذية لأعادة بناء القلعة؟.

- هيهات لقد فات الاوان، لا اعتقد ان أحدهم يتحمل

تلك المسؤولية.) . يبدو من الحوار انهم مجموعة يعيشون نكسة من لحات الحوار نفهم هذا عند الشباب واصرارهم في البحث عن حل يحمل القوة والطموح وطاقات ملتبهة، الحوار يعبر عن وجود احساس شمولي في انجاز ما يقع عليهم وما يتوجب من مصير، القاص حمل الامتداد الفني في رسم استقرار الواقع ضمن مفارقة السارد وفناعات مشحونة بالحدث الصائب، مجتاز عبر ضمير السارد بقايا متكررة من الحدث المتوالد في ذاته، بينما هو متابع لما واقع حوله بدقة المتأبط وجع القضية، والمعطف الذي امدجه بتعابير جميلة في خلق حدث ملازم للواقع العبيث شاهداً على شيء آخر وهو الفكر الذي عبر به عن القلم، مسعى تعبري ذكي، في اظهار وضع صديقه والمعطف ولحظة شعوره بالهزيمة، هو متأكد من أن صديقه قد امتلك المعطف الذي الان بين يدي أحد الدالين في سوق شعبي لبيع الاشياء القديمة والمستعملة ومع مرور الحدث وجد نفسه بلا ارادة منه يمتص انفاس الدخان مجترأ من بحر الذكريات امواج الالم، وتانيب الضمير، اشتغل القاص مصطفى صالح كريم على خطين في قصة القلم، وجع الحاجة، ووجع رفض الواقع الممزق، لكن ظهور صاحب المعطف يعني مسك زمام الامور مع امتلاك نوع من الامل، فيشعر بشيء من الاطمئنان، وامام قضية أخرى شرف مهنة (القلم) سلاح الفكر، شيء يعني له كل القضية وليس من السهل ان يتنازل عنه كإنسان واعى، يستلذ منه الكثير في خط سير الحياة مثل الراحة والجاه و الوضع المادي والاستقرار، اما القلم فهو كالوطن لا يمكن استلابه ولن يتنازل عنه في اقصى الظروف، انه

سلاح يحمل وجه آخر للقضية،
يمثله كشخص معني امام الآخر
أيا كان نوعه وحجمه، وللقلم
دور لن ينتهي طالما فقص صدره
يعتلج بالحياة، رغم مرور الصعاب
في واقع الحياة الممزقة نجد القاص
مصر على الاعلاء من شأن القلم،
وان الكاتب قصد في قصته تلك
انه رغم المأساة والمعاناة الا انه لن
يبيع قلمه. جاء ذلك في زمن كان
شراء الأقلام هو هدف النظام.

قصة (رعشة الهم في اغاني
العشاق) تقدم نماذج من المشكلات
العامة التي أهدافها ضمن سياقات
معاناة الانسان المستلب حقه والذي
لم تخدمه الظروف بشكل لائق
في مسعاه اللامباشر وغير المباشر،
ونجد القاص يطرح فكرة الهم
السياسي بحالة نفسية مختلفة
تحمل امكانيات جميلة عن واقع
متأزم يتخللها نوع من العاطفة
التي تنطوي على نوع ثابت من
المواجهة، الالم في هذه القصة
كمراة عاكسة للنفس المعذبة
بصمت والعشقة بصور الحياة
ومصاعبها المنمقة بشكل سافر،
خط الاحداث يسير بخطى رائعة
نحو العلاقة الصادقة بين عناصر
الحياة المرأة والرجل، طريقة السرد
تذوب بتشابك ابداعي رائع وسلس
وجميل، واقع يجتهد في خلق
الاجهاد لفتاة جميلة قدمت عمرها

هدية لقضية الوطن، والرجل الذي
طموحه المستقبلي يقوده لأماكن
بعيدة يغلف حياته الاغتراب مغالبا
الشوق للاهل والوطن من اجل
نفس القضية، القاص قاد انجازات
رحلة بطله الخصبة بلغة دقيقة
ومعبرة تحمل الدمج الجميل والحب
الملبس بالصدف المدهشة والصعاب
التي اصبحت طرية بوجود هذه
الحالة الانسانية الرائعة، يشير
بالحدث الى جانب آخر قد يكون
غامضاً، ولكن هو الهدف من
الحبكة في النص الحكائي، فمصير
الفتاة المجهول مثل مصير القضية
التي ينسج عليها الامل في عمل
كل انسان يسعى لتحقيق الهدف،
مع وجود المفاجأة، هو والحبوبة
يتقاسمان الحزن بصمت من خلال
رؤية عامة للامور الدائرة على
واقع الحدث، والتفرعات الموجودة
في جوانب الساحة التي وقع عليها
الحدث تفضي في تشابكها الى مغزى
يفهمه القاص وهو المطلع والراصد
على شؤون القضية من بعيد
وقريب، السرد يعلمنا بما يحدث
في قاعة اللؤلؤة: (فقد رايت على
المائدة المقابلة لنا ثلاث فتيات أو
ثلاث زهرات يانعات، كن يزين تلك
المائدة، وكان الحائط من خلفهن
مزداناً بإسم القاعة المنقوشة
بالمصابيح فقلت أحدث نفسي:
- «بالضبط.. انها الحقيقة..

انهن بحق لأئ يزين القاعة»
- وفجأة أحسست بلمسة على
كتفي.. وجاء صوت صديقي
(دنيا) ليعيدني الى رشدي
ويسألني:

- ها.. مالذي يشغلك؟
قبضت على يده فرحاً كاني
أخشى أن يفلت مني وقلت له
ونظري لا يزال مركزاً على
الناحية الأخرى:

- أحسنت بالمجيء يا صديقي..
قل لي بالله عليك، من تكون تلك
الفتاة صاحبة الصدر الناهد الذي
يحاول نهذاها النافران ان يشقا
السوتيان.

- تلك هي (نازنين) احدى
رفيقاتنا.

- حسناً فهمت، ومن هي التي
تريد بطرفة عينها الحاملتين ان
تنزل الفارس المرسوم في اللوحة
المعلقة على الحائط عن فرسه.

- وتلك (كولشن) خطيبة هذا
الشاب الذي يجلس بجانبها.

- والثالثة؟

- استحلفك بحق الاثنتين أن
لا تسألني عن أسم الثالثة.

- ان اجوبتك تشبه البرقيات
التجارية.

بطل قصة (رعشة الهم في
اغاني العشاق) تبدأ رعشة قلبه
من تلك اللحظة في قاعة اللؤلؤة،
وتلك الفتاة التي سلبت لباً قلب

القاص يسير بنا بطريقة (آلان روب غريه) وتلاعبه في مجرى الأحداث يدخلك في مدى ووعي وتبصره في الجهد الابداعي الذي قدمه، رافضا الاستسلام في اعماق داخله المتعشب بالحيوية والنشاط كرجل حر وكناشط سياسي، بتقديمه وضع اجتماعي تدور أحداثه وفق رغبة منفعة وترميم لزمان يميل جسده لخصائص الابداع، مروراً بموجة التحرر من نقاط السيطرة، ساعد على كشف مرجعية الوظيفة الأخرى في مجتمعات مخادعة، استعمل الرمز افراز تشظي انسيابيات كثيرة في مواطن الوعي واللاوعي عن الآثار المخفية للشباح السادية وظاهرة السلطة وقناعاتها المستهلكة، وبدل ان يكون الشخص الأول في الحدث، كان دور المرأة الدور البارز، تلك الفتاة الجميلة التي هي ضحية والشخصية الأولى في مجمل الحدث وبطرق غامضة تشد القارئ، عاد بنعشها بعد ان عاش معها اجمل اللحظات في الغربية بعد ان فرقتهما الوضع في الوطن وجمعتهما الغربية بعيداً عن الوطن، مع ذكريات مؤلة لفراق جهل سره،

(اجل انا ايضا بعد ان وصلت الى هذه النتيجة وجدت نفسي مجبراً على ترك الدراسة والعودة مع نعش (نرجس)).

فهو عاد مع حبيبته التي توفيت اثر عارض جهل في الظاهر سره، ولكن في عمق نفسه يعلم الحقيقة، انها سطوة الأنظمة وقوانين الحياة تتجاذبها عواصف الحيرة والامل المخنوق، والنفس التي تنطوي على مزيج من المصاعب لا يمكن تجاوزها وحجمها في تواصل بين الظل الذي ينفرد بمفتاح سياسي من نوع آخر، وأخيراً نلمس بأن هذه الفتاة للغز "نرجس" هي رمز لقضيته التي ناضل لأجلها.

قصة (طير ابابيل) لا استبطان في هذه القصة، جو لغتها معبر بدقة ووضوح، فهي تحكي عن صانعي المخاوف، والقاص مصطفى ملتقط صور شاملة في ظل حقيقة من واقع مسافته الزمنية تعبر عن واقع سياسى عامله الافتراض والاستقصاء النفسي، وكشف اسرار مظلة الظلم، نافذة الحدث تحمل الهزيمة والعار لمنفذيها، انها تتخلل نوع من التسلق المفضي الى الهاوية، وعملية السقوط تأتي من اقزام دبرت تلك الواقعة المؤلة، يكون فيها غياب الضمير عنصراً مهماً عند السلطة، ولكن الاصرار لم يمح حاسة التمسك عند المتضررين ممن اصابتهم مصيبة الحدث المؤلم، رغم وجود الحقد عند السلطة يقابله وجود روح التعاون

عند العامة مما يشكل الشاهد الصادق لبراءة الشعب من براثن الدولة وتماسكه رغم اختلاف المناخ والجغرافية والمكان واللغة، نجد تماسك واحساس بمشكلة الآخر تجاه بعضهم لأن الجميع والاغلبية من الشعب مغلوب على امرهم مع الدولة وجلاوزتها، وما يقع ضمن حدود سيطرتها، وان عناصر الشعب لا دخل لها بما تقدمه السلطة والطغاة منها، وما تخلقه السياسة في بعض الاحيان تعالجه العامة بصور تعبر عن وجود تكاتف رائع لحياة تعيشها مجموعات من الناس الابرياء في ظل اللفة والخير الذي يعمر مشاعرهم، والجميل في القصة ان استعمال المآذن لقلب صباح يوم صافي غير عابئ بلحظات آتية مشؤومة من الجامع استعمال ذكي جداً، فهو ربط صائب جداً اذ كيف يكون المكان الذي هو مصدر خشوع و يحمل لغة الاطمئنان، استعملته السلطة لاغراضها الخسيسة، جميل جميل جداً، مكان جعلته السلطة موضع لقلب الحال في غمضة عين لجحيم اصاب بشراً ابرياء ونالهم ما فوق طاقتهم وشمل من يجب ان تشملهم الرحمة في عرف الحياة، لا وبل الغي اي وجود انساني لما قدمه منفذو أوامر السلطة، الاطفال والنساء والشيوخ، عجباً

لأمر الطفاة، يقدم القاص مصطفى النفاق بين اجناس البشر ويعري تعرية كاملة لواقع حال حمل معه العار على مدى التاريخ، صباح برئ ولحظات طرية يعقبها جو ساخن من الظلم والتدمير والتهجير والقتل بصورة بشعة خالية من اي رحمة، ثم يعود لجو آخر، بشر عاديون هم لبنة المجتمع وليس قادة لهم مصالحهم الذاتية لا دخل لهم بالقسوة والطفان، يساعدون طفل نجا من المجزرة، ونجاة الطفل في القصة يعني ان هناك آملاً لمستقبل حي لا يمكن ان يموت بمثل هذه الصورة البغيضة من قبل قساة القلوب وحاملين صلبان الموت، الطفل شاهد حي على الحدث وهول الظلم الآتي من قبل الآخر المتمثل بالسلطة، هذا الشاهد الطفل الذي سلم من عملية التهجير والقتل الاجماعي شاهد بريئ لا جرم له غير انه انسان يجب ان يعيش بسلام ويبحث عنه في اصعب الظروف يعبر هنا وجوده عن الالم الذي صاحبه والقوة التي امتلكها كي يبقى ويفضح مارآه في الخفاء: (اصوات المجارف وهدير الشفلات تؤكد على البدء بردم الرجال والنساء والاطفال دفنت احياء وهم تحت الرمال والتراب واخفيت وضعية اية أثر للجريمة ، وانت تدخل رويدا رويدا في احضان

الاعماء) يتحول الوضع الان الطفل يكون معانداً للموت شاهداً على كل ما فعلته ايديهم التي تلوثت بدماء الابرياء، يحكي افزع جريمة وهي دفن الاحياء بدون ذنب ارتكبه، انه المستقبل الذي يرفض العنف الذي يولد العنف، ولكن الحق الذي لا يمكن اخفاؤه بتراب وسلاح غادر من القتلة : (وقيل غروب الشمس وبعد ما قطعت مسافة لا تعرف كم ساعة رايت من بعيد خيمة فلاحت لك بارقة امل في الافق بدأت تخطو بسرعة نحوها حتى اقتربت منها وسط نباح كثيف للكلاب اهل الخيمة استقبلوك واحتضنوك، وما ان شربت طاسة ماء كاملة حتى دخلت في غيبوبة).

القاص مصطفى يدخل ذلك الطفل كشاهد وحيد ناجي من المجزرة، ويعيشه الغيبوبة مؤكدا ان محاولات الاحباط المتكررة لن تمحي الحدث الجسيم والمفتعل، ولا بد للحق ان يظهر وينتصر، كاشفاً رغبات الحقد عند السلطة، الشهادة كانت على لسان طفل والطفل لا يعرف التلفيق والكذب انه من صلب البراءة والصدق، تفاعله مع وجوده الذي سعى الجلادون لإخفائه يقع في قمة الروعة في ادراك القاص بفن الروي وغاية الابداع في السرد الذي في الحقيقة

هو من واقع الحياة ومأساة عانا منها الشعب الكوردي، وكل ما في القصة من خطاب في خلق الصورة والمشهد النفسي وانسيابيته الخارجة من اصالة التجربة تحمل ترجيح المعنى المعطى وجاذبية انتباه القارئ، واضاءة طريق المتلقي الذي قد يكون غير مدرك ملاسات زمن غاشم، القاص مصطفى صالح كريم مدرك ومسيطر بادراج خطابة المتفق عبر فكر ناضج وملامس للمعاني وصفاتها الحسية، : (فيما كان مغنيا عليك وتهذي وتخلط بالكلام. أن الموت نزل من ناقلات الجنود وانه حاصر، وبدأت بالأنين والصراخ، وعندما فتحت عينيك، ورأيت كأن ملائكة على جبينك، كان امرأة في متوسط العمر مرتبة وانيقة على ذقتها شامات وبأذنها خزام وهي تنظف جروحك بمنشفة، واعطاك شاب طاسة صغيرة من الحليب، طلبت المرأة منك شربه، وكان عندك لذيذ)، مضت ايام وجاء للخيمة ضيف وهو شاب وسيم طويل القامة.. حنطاوي اللون، ببشاشة وابتسام اقترب منك، وبلغه كردية ضعيفة ومكسرة قال لك : شلونك كاكه.. تصير زين، لا تحزن فهذا بيتك). دائماً الناس البسطاء تحمل قلوبهم الرحمة وحب التعاون لا تحمل نفوسهم الطمع والغدر،

يشعرون بمعاناة بعضهم، القاص لم يغفل ان هناك فرقا بين الناس وما تقدمه السلطة وسلاطين لا ترحم، وان التاريخ غير غافل عن ظلمهم، ومن هؤلاء الناس هؤلاء البسطاء من الناس الذي عاملوا هذا الطفل كواحد منهم في ديارهم وفي قلب بيتهم كانه واحد من صلبهم وابنا لهم، ولكن بقاء حنينه لمكان الاجداد والجذر الذي نبت منه جعلهم يحسون بما يقاسي وساعده على تخطي المسافة والعودة الى الديار بسلام وامان ليبقى الشاهد والمستقبل الناضج بالحياة.

قصة (المهلة أو بقية جمر في الموقد) لطقوس الحياة جمالية، وما يؤشر على وجود نوع من الانسجام في مضامينها من موروث ثابت، تخلق الانحيات والتحويلات المعرفية وتتشكل منها كينونة التفكير الجمالي في احداث هذه القصة تجانسات وتوافقات اخرى، بمعنى ان القاص ادخل في احداث القصة نوع من السرد الآني بصورة حدثية جديدة اعد لها وجه آخر من الاسطورة، بدأ قصته بمقولة : (تنسي وليامز) بهدف لجر القارئ الى جانبه والأحداث المتسلسلة فيها الحكمة، ثم بدأ مع اسطورة سومرية تموز راعي كرس قيثارته من اجل حب أسرته، مشبهاً نفسه

بذلك العاشق لأنه ايضا راعي لحب سلبه لب قلبه، واجداً نفسه بذلك العشق مملوك لأحاسيس لا يستطيع تجاوزها، القاص مصطفى وجد لغة منسجمة مع متخيله في التعبير في خلق تيار يقوم على علاقة منطقية لواقع تدخله اختيارات جمالية شروطها متكونة من التأثير والتأثير في مرايا القص، مما يؤشر حدة استجلاء البنية الداخلية في تجاوز الوعي المستقر عند القاص، حاملة شيء من الانتماء في تمايز التوحد، صيرورة الحياة ينوب عنها تصورات في لغة مكثفة، : (كان تموز يقضي الليل مسهداً، يحرق في النجوم التي تلمع فوق سطح بيت عشتار يستنجد بها يتوسل اليها ان توصل سرقلبه بهمسة)

-(وانا كذلك في الليالي كنت اللعب مع تلك النجوم اللائي كن في رهان مع عيني شه وبو، عسى ان يوصلن اليها اسرار قلبي الهائم)، تنامي في معرفة الشاعر عند البطل وعند القاص وعند تموز، تطير مشع في ذائقة القاص، صيرورة في حياة البطل، تعويض في الاسطورة، نوع من التداول في الاحتماء بالصمت والكشف عن دواخل عاجزة على فضح مكوناتها امام الحس الواقعي، نوع من الكبت او الكآبة قد لا يجرأ على الاعلان

عنها، القاص نفسه هو المخول في دور البطل وتحويل صوته الى صوت الاسطورة، ليجنب هدير أحاسيسه المنبعثة من عمقه تجاه حب لا يجد فيه امل، فعاش صراع البوح والصمت في آن واحد، من طرح افكار تموز: (تموز عندما كان يخلو الى نفسه يقرر العديد من الامور لينفذها: (غدا سالتقي بها، بالالحن، بالهمسات الرقيقة اقول لها: (منذ امد وانا في انتظارك يا ربة الحسن والجمال) ولكن عندما يلتقي بها يلجم لسانه وتنهار قواه، ولا يبقى بمقدوره ان يبلغها سر قلبه) القاص مصطفى استفاض من بحثه عن حقيقة شاملة دأب عليها قلب الانسان وعواطفه بما لا يوازيها من مشاعر اخرى من دقة وعمق فحين اوجد لنا تطابق بين افكار تموز وافكار البطل وافكاره، مخترقا مساحات الزمن التي بينه وبين الاسطورة تلك الميثولوجيا والتطابق في السعي لعقد التوحد الذي هو عنصر اثبات يتخذ منه مفاهيم العلاقة الوجدانية ، وابتكار القاص هنا يدل على الذائقة الجمالية والتجربة المتبادلة في المعرفة وهو متخيل صرخة تموز وعلاقته الحاضرة، ولا يعني القاص الاستنساخ الفكري انما المعادل الموضوعي في ذهنه المبدع دفعه ان يبحث عن

التكامل في الربط وادراج ظواهر في رحم الاسطورة، ومشاعر لا تتعترف بمسافات الزمن، جاعلا منها حالة لا تتبدد وحاضرة رغم اختلاف الازمان وما زالت تعتبر خامرة رائعة تتنفس بقوة في جسد الانسان، مهما اختلفت الاجواء، في الاسطورة منتصرة بل تحمل قيماً نبيلة في الحب، وتوحد الحب في الاسطورة يحمل الارادة، بالحب سعى للخلاص من ورطات الحاضر في محيطات غير سليمة، محيطات معنية بالمازق السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لأن الحب يعني الانتماء والحنين، وخاصة عند الرجل الحب يخرج من لغة التعصب، والعاطفة تتمثل عنده بالشعور الانثوي، واشتباك فكرة القاص التي خلق منها اجواء حبيكة الدرامية الوجدانية، وحدث متقابل مع الاسطورة خارجا بملكة الشروق القامع لحدود طبيعة التبعية، تماهي يؤكد تواطؤ متكافئ مع ائتلاف مقدس لحالة الشوق والقلق والحيرة التي تتوالد مع ثيمة دائمة تأخذ مع فعلها الآخر الى فعل يوصلها حد التأله ودخول التاريخ.

القاص مصطفى صالح كريم ، قدم لنا اعمال غايتها هادفة ، تبعث على الوصول الى نقطة جامعة في خلق جو اللفة والود والحيلة المبتكرة حتى ينفذ الى خطته بدقة في السرد والمحاكات حيث صاغ افكاره التي تقود العقل الجمعي في ذهن القارئ، على تطور العلاقات في الاثر المكتسب من ما يناسب الانسان البحث عن الحرية حيثما يشاء، ومحاولاته في رغبة التجدد عبر مسارات يحتمها المجتمع، كما اجد ان القاص يحب ان يكون قائداً لا منقاداً متفكراً متصفحاً في مخاضات البحث في عصر لم يملك من الجميع فيه زمام الامور وان من يملك ادوات عمله المناسبة، حتما يكون متميزاً، القاص مصطفى صالح كريم دائما يعانق بؤرة الضوء حيث ما يكون يستل من منافذ النور خيوط تعينه في تتبع مسارات الحياة متمكنا من ايصال باقات زهوره في نهاية كل عمل يقدم عليه، كجندي مجهول يعمل على مرور الوقت في وصول شعلة الانتصار ذروتها، ففي مجال القص قدم شواهد ادبية تعلن عن بقائها ضمن الادب الكوردي المميز

باسلوبه الخاص، وفي مجالات اخرى يعمل القاص كسندباد يخوض غمار البحار بنفس الدأب، رافضا الجمود راغبا بالتفاعل، من خلال قصصه في كتاب مهرجان كلاويز، نجد لكل قصة مجرياتها المختلفة ومضمونها المتنوع، منها تحمل الانتساب للحلم، ومنها تحمل الانتساب للحرية، ومنها تحمل الانتساب للحكمة التي يملكها فيلسوف، وفي مجملها تتسم بالقنص في اختيار المادة ونوع السرد والعودة لأصل التجارب الحياتية التي اعطته فكر المجرب والحالم الذي لا يخاف من حلمه بل يحافظ عليه ويخطط له حيثما يشاء ويكون. ومن خلال قراءتي لهذه القصص وجدت رومانسية للوصول الى أغراض سياسية، فالزمن الصعب الذي عاشه جعله يعبر عن أفكاره وطموحات شعبه من خلال هذه القصص التي أغلب أبطالها هم رموز استطاع القاص استخدامها بمهارة. حبذا لو استطعت الحصول على ترجمات أخرى لقصصه وخاصة "متشحة بالسواد في العام الرابع".

من الشعر الكردي الحديث

نرجس ١٩٥٩

شعر: محمد صالح ديلان

ترجمة: محترم محمد

يا ايها الشعر الابيض
والعيون الخجلى
والشعر مثل كنز الذهب
مع نسيم الشمال
حين تعود المواشي
للديار
وتهز الرقاب بعضا لبعض
كشيخين
دب في اوصالهما
الهرم
بلحيتين بيضاوين
وخدود صفر
يلهبان النجوى
ويذران في الريح
الماضي العتيق
وحتى على شواقي القمم
يأفل الغسق
المسامع يرخيان
غير أن
مناداة الفراشة التائهة

على جنات المروج
تهبط
لا جواب في الافق
وكل ما تذكر وتفتن
مثل عمر شقائق النعمان
علي عجل تشرق
وتغرب
او مثل
ثلج الشتاء المتأخر
حين يهبط
حتي الغسق لا يصمد
وكما يقبل
النسيم والبرعم والجنبذ
ويدبر
وبدموع انداء الليالي
يغسل
اجسادا مشرفة على الفناء
واذ لا جواب في الافق
بعضهم لوجوه البعض يحدق
يا تساؤل الفراشة التائهة

يا ذات
ثنايا الشعر الناعمة
وخدود البلور
وعيون
بالثمالة والحشمة تفيض
ومثل الذهب المجتلى تبرق
وكنوز تغرك الصفراء
ترنو لبريق
احجار السفوح والهضاب
انت تسائلين ريح الصبا
حين التبسم
تهز شفاها متبرمة
والبرعم
حين عيونه الوسنى تطرف
والارخوان
حين ينقش شفاهاها الجنبذ
انت تسائلين ريح الصبا
متي تحلق
فراشات السهوب التائهة
ومتى



لا لمسامع الضفادع
 تتناهي
 ولا مسامع الابقر تفرع
 وبغثة
 تدمدم الغمامة
 والرعد الاحمر
 يهز قلب الجبل
 وسحائق اغياث الشمس
 الاوراق الناعمة تذبل
 يا ترى اي تسمية
 على هذه الحال تطلق
 اهي صولة
 ام نحيب الشمس
 ينثر
 على سطح الارض
 لونه الذهبي
 والطيور في الاجواء تحلق
 ومع الغابات تشدو
 وتغلي وترغو
 ونرجس امال الكرد
 في انتظار
 فراشة رسالة النهوض
 حتى تجفل
 قلوب هذا الكرد الباسل
 وحتى يذهلك
 ان الكرد
 بصفاء الحرية
 مزق غمامة الاستبداد
 وبرياح قوة الكفاح
 ابتاع صحو التحرير .

قصائد إلى حلبجة وكركوك

شعر: شيركو بيكس

ترجمة: صلاح بروري

١ - جواب

بعد اختناق (حلبجة)،

كتبت شكوى طويلة

الى الله!.

وقبل الناس

قرأتها الشجرة،

فبكت!.

وفي زاوية ما،

قال طائر زاجل:

-حسنا، من سيأخذها لك؟!

لاتعتمد عليّ في إيصالها،

فأنا لا أصل الى عرش الله!.

وحيث جن الليل^(١)

قال ملاك شعري الأسود:

-لاتنعم..

انا سأوصلها الى الأعلى،

الى حيث (درب التبانة)،

لكنني لا اعدك

بأن يستلم مني الرسالة

بنفسه!

فأنت تعرف،

من يقابل الله العظيم؟!.

قلت: شكراً.. خلق أنت!

خلق ملاك الالهام،

آخذاً معه الشكوى..

وحيث عاد،

في اليوم التالي،

كان (عبيد)،

سكرتير الله

-من الدرجة الرابعة-

قد كتب على هامش الشكوى،

بالعربية:

-ايها الابله!

عرّبها!

لأحد هنا يعرف الكوردية!

ولن نأخذها.. الى الله!!.

٢ - هدايا الله

هناك سبب ما

لو أن الله تعالى

شاء يوماً

أن يفكر فجأة

في النزول بين الكورد،

وأن يجلب معه،

بقدر الورق المتساقط

للحدائق والمزارع،

الشكولاتة لأطفال (حلبجة)،

وعرائس وألعابا

ملء وادي (سفره وزرون)^(٢)

وقمر الدين

ملء سهل (قراج)^(٣)،

حتماً..

هناك سبب لذلك!.

٣ - في ذلك العام

في ذلك العام..

نحن وتأريخنا

كنا لوحدا،

نحن وموتنا

كنا لوحدا!.

بعد ١٦/٣..

لاجبريل، ولا الملائكة

لا الصحابة، ولا المشايخ

لا احد منهم
ولو من بعيد،
لا بأيديهم
ولا برؤوسهم
ولا بأرجلهم
حيّونا!
موسى وعيسى والأنبياء
كلهم
لم يكتبوا لنا رسالة
ولو من سطرين!
ولأجل العزاء والسلوان،
حتى الله العظيم
لم يهاتفنا
ولا أرسل لنا فاكسا!
في ذلك العام..
كنا وهذه الأرض.. لوحدنا!
كنا وموتنا... لوحدنا!

٤- مشهور
في أفق (كركوك)
عرفت لونا
قرمزيا.
هذا اللون انبرى
يحارب (الأسود)،
حتى الغروب،
ولم يعرف مرة
لونا خافتاً
او لون هروب!

٥- معا
بنيت لنفسى
بيت شعر
في (كركوك)،

وسكنته.
لكن، ضاق قلبي،
لأن ورد حديقتي
ولون النوافذ والجدران
ولون الخيال والحيطان
ولون السماء والرؤية
وصوت كلماتي وطبوري
ورائحة كل غربي
لون واحد
وصوت واحد
ورائحة واحدة!
لكن...
حين اجتمع بود،
وفي بيت واحد،
كمان (قوال)
وناي (قوريات)
وقيثارة (آشورية)
وترومبيت (كلداني)^(٤)
صار للورد مئات الألوان،
وللأصوات مئات الأصوات،
وللروائح مئات الروائح،
وحينها أيضا...
انشرح قلبي!

الهوامش:
١- جنّ الليل: اشتد ظلامه، فلما
جن عليه الليل رأى كوكبا» (قرآن).
٢- سفره وزرون: واديان في منطقة
شاربازير.
٣- قراج: سهل في منطقة اربيل.
٤- قوال: نوع من المواويل الكوردية
في كركوك.
قوريات: مقام تركماني في كركوك.
ترومبيت: آلة نفخ موسيقية.



حمه كريم عارف

رجل من مطر الكلمات المستديم

شيركو بيكس

ت: جلال زنكبادي

حينما تكتب بعشق وتصبح نديم لغة الابداع والعطاء، وحين تسلم
حياتك كلها بيد القلم، ثم تمسي فراشة تطوف حول الكلمات واسرجة
الكتب وكل جملة جميلة، ستكف حينئذ عن ان تعيش لنفسك، بل
يصبح عمرك عمر اوراق المحبة وورودها، وتضحى حياتك حياة شعب،
وتلتحم مع المستقبل، وتمطر مع المطر، وتنهمر شمساً مع الشمس!

حمه كريم عارف:	وثمانون قبلة مني في هذي	حتى الصباح
رجل من السهر،	الكتابة!	لأسرد حكاية طائر جريح الصداح!
انهمار الكلمات	وها انذا وحدي	وحدي انا في هذه الليلة
وهيوب نسائم اليراع	اوقدت في هذي الليلة على	فحتى انا في هذه الليلة
ونافذة مشرعة	طاولتي	وحتى حمه كريم لم يدر
للشجن الاخضر	شمعة التكريم هذي لذاك العاشق	أي جريدة او مجلة
واشعة الغبش!	الولهان	ولا اي شارع في كركوك
حمه كريم عارف:	وحدي انا	ولا اي مقام لعلي مردان..
وتر لعشق الادب الابدي	مع بضعة ابيات من قصيدة سردمية	أجل
وعين للانسانية	وحدي انا	وحدي
والاغنية الفصيحة الدائمية	مع فراشة مهمومة	وطاولتي
لحنجرة الحياة!	وبضع قصاصات بيض منتظرة	ولا احد غيري.
ثمانون كوكبا - كتابا في سماء	وحدي انا	كركوكي
عمر	رحت اقلب صفحات العيون الندية	ممتليء ممتليء بكردستان
ثمانون ترعة صافية عبر غابة	لتلك المرجة الزاهية	وطافح بالعالم كله!
ثمانون تحليقا في سماء فضية	لأقرأ انفاس تلك البركة الصافية	كركوكي

أشـرات المترجم:

-الشاعر الكردي شـركو بيـكس في غنى عن التعريف.

-حمه كريم عارف: (تولد ١٩٥١ كركوك) قاص، مترجم (عن اللغتين الفارسية والعربية) وصحافي بارز في المشهد الثقافي الكردستاني المعاصر، وقد اتحف المكتبة الكردية بتأليف وتراجم تربو على الثمانين كتابا (نصفها لم ير النور بعد) وسبق ان ترجمت له مجموعة (ظل الصوت وقصص اخرى) ونشرت في ٢٠٠٥، كما شرفني بمؤازرته في تصحيح وتدقيق قاموسه الرائد والكبير (كوفند وژنار/ فارسي - كوردي/ ١٢٠٠ صفحة) وتقديمه، والذي صدر في ٢٠٠٦.

-مشامس: مفرداها (مشمس: المكان الذي تطله اشعة الشمس، لاسيما في الشتاء = خوره تاو باللغة الكردية) على ذمتي.

-سان: مخففة كلمة (سلطان) باللهجة الهورامية وتعني ايضا (قائد) وهي ذات مسحة تقديسية، ومن اسماء المواليد الذكور عند الهورامانيين.

-الوردة الصفراء: ترجمة لـ (شستير) الكردية، حيث لم اقلح في العثور على مايقابلها بالعربية.

-في الترجمة تصرف طفيف جدا دون المساس بـاي معنى وارد في المتن، انما لجلو المحتوى اكثر وموسقة المبنى، حسبما تقتضيه لغة الضاد الحبيبة.

المصدر:

جريدة كوردستانى نوى (ئهدهبو هونهـر) العدد ٦٤٣ - ٢٠٠٩/٧/٢٣

اجل لقد علق ثمانين قنديلا في
غرف اللغة هذي

عبر خمس وثلاثين سنة معطاء
وعبرها افتتح ثمانين طريقا
جديدا في هذه الخارطة المترامية
ونثر ثمانين بذرة للورود الصفراء
ونصب ثمانين سلم
ووهب ثمانين طيفا
ورسم ثمانين لوحة زاهية..

ألا ما أندر مثل هذه الحناجر
الصداحة
في هذي اللغة!
ما أندر مثل هذه النغمات في
هذه الالوان

ما أندر مثل هذه الزخات من
هذه الغيوم السارية
وما أندر مثل سنابل القمح هذه
في هذي الحقول!

وها انذا

وحدي

وهذه الابيات تسامرني

في الهزيع الاخير لهذا الليل

وقد اوقدت على طاولتي سراج

احتفائي

بكر كوكي

ممتليء بالكلمات

طافح بالمشامس

فمرحى

وسلاما

ايها المطر المليح للغة الكردية

سلاما ايها الكركوكي الحبيب

سلاما .. من السليمانية

يجلب الدنيا جمعاء

الى حضن الكلمة هذي

فتستحيل الدنيا جمعاء

الى حضن الكلمة هذي

فتستحيل الكلمة وردة (سان)

حيث صبَّ العديد من بحيرات
الرواية

من كل الارحاء

في وطن اللغة الكردية

وجلب العديد من جينات القصص

الى ربوع اللغة هذي

وعلق العديد من مرايا التاريخ

على حيطان نفوسنا الآسية.

كركوكي

خط اجمل بستان،

وسطر الحقول الغناء

ولم يتوقف!

كركوكي

ترجم لنا مشامس الدنيا

ترجم لنا الليالي القمرء

وترجم لنا عشق الابتكار الاكبر:

البير كامو، الكسندر فدايوف، هيرب
ميدو، قاسموف، تشيخوف، كازانتزاكيس،
غونتر ديشنر، فان كوخ، مالرو، شكسبير،
غوركي، تشيرنفسكي، هوميروس،
جاكوفسكي، ادغار الان بو، جاك لندن،
غوغل، سيروس برهام، بليخانوف،
كريس كوجيرا، مهدي حسيني، ثابت
رحمن، احمد محمود، صمد بهرنكي،
عزيز شريف، نجف فلي بسيان، اشرف
دقهباني، مسعود احمد زاده، كوهر مراد،
يلماز غوناي.. والعديد العديد من الجبال
والسهوب والبحيرات والانهار..



قصائد إلى الأم

شعر: لطيف هلمت

ترجمة: صلاح برواري

١- الأم

لو سَمَّهَتِ الظلامَ

روحكِ المتعبة،

ذات ليلة؛

ووددت احتضاني،

كما الأيام الخوالي

يا أمي العزيزة...

فربما لن تعرفي ابنك

الآن!

لربما ستقولين:

هذا الولدُ المشاكسُ

كان يقطعُ الماءَ عن الأسماك!

كان يكسرُ الأبوابَ والنوافذ،

يتسلقُ الحيطان،

ويزمقُ ملابسه!

أيا أمي العزيزة

لم أعد طفلاً، لأشاكس!

وحتى لو شاكست؛

فلن أقذفَ العصافيرَ بالحجارة،

ولن أشجَّ رؤوس المارة،

ولن أرميَ حجراً

على باب الجيران!

ولن ألاحق طائرة ورقية

من سطح إلى سطح!

لن أسرقَ الجوزَ والعسل لأولاد

الحارة

من بيت المونة،

ولن أشعل ناراً

أمام باب الدار،

ولن أعارك الصبيان.

حتى لو شاكست اليوم؛

فأنا مختلفٌ عما مضى!

الحجرُ الذي

كنتُ أقتلُ بهِ عصفوراً،

أرميه الآن

نحو عين العدو!

أيام منذُ

كنتُ أحبُّكِ وحدك؛

الآن كبرتُ يا أماه

وأعشقُ أشجارَ وأحجارَ هذا

الوطن،

وثلوج القمر، والشمس.

أتى وجدتُ شاعراً متعباً،

في الجنة أو في الجحيم،

يحملُ وطنه في قلبه؛

فقبليهِ كفايةً

يا أمي...

فهو ولدك...

إنه... أنا!

٢- قلبي يُمطرُ شِعراً:

لا يهمني

في هذه المدينة الضيقة

أغادرتُ مُبكراً

أم متأخراً!

لستُ مهتماً

أنمتُ في ظلِّ ليل شارعٍ

أم في غرفة فندق؛

فأنا وحيدٌ دوماً،

لا أم لي

يغتمُّ قلبُها لأجلي،

ولا حبيبة

يصدأ قلبُها

في انتظاري!.

قلبي مَنفُطِرٌ

كأُكُفِّ القرويين الفقراء،

بدلاً من الألم

يُمطرُ شعراً!.

٣- أيا أمي العزيزة

أيا أمي العزيزة...

أتبعُك

كما الكلابُ تتبعُ

رائحةَ الخبزِ الساخن

واللحم؛

كما الشعرُ يتبعُ

قلبي،

وكما يتبعُ المخبرون

الشاعر!.

٤- النجمة البعيدة

أيتها النجمة البعيدة

خذيّني معك... حتى الصباح

لن أسرقُ أشعتك،

لن أبكي،

لن أضحك،

لن أقتلُ عصافيرَ غاباتك،

لن أخفي بذار القنابل

تحت قدميك،

ولن أكشف أسراركَ

للعلماء!

فأنا لا أمٌّ لي

ولا حبيبة

لأحدثهما عن حدودك.

ألا خذيّني معك،

أيتها النجمة البعيدة؛

لأنظر قليلاً

من تلك العُلىاء

إلى قِرمِ وطني البعيد!.

٥- سأذهب

سأذهب... أماه

فإن لم أَعُدْ،

سأصيرُ وردةً في ذاكَ الجبل.

سأذهب... أماه

فإن لم أَعُدْ،

سأصيرُ قنبلةً

في أيِّ أرضٍ يحكمها ظالم!

سأذهب... أماه

فإن لم أَعُدْ،

سأصيرُ شبرَ أرضٍ

لدنيا أكبر من هذه!

سأذهب... أماه

فإن لم أَعُدْ،

ستمصيرُ روحي عاصفةً

تطرق كل الأبواب

بحثاً عنك!

سأذهب... أماه

فإن لم أَعُدْ،

فروحي كلمةٌ

لكل شاعرٍ شجاع!.

٦- بداية قصيدة ضائعة

أماه... أماه

أكملي لي

قصيدةً لا تأتيّني!

صيغي لي

بدايةً أغنيةٍ طويلة

كشعر معشوقتي!.

أماه... أماه

لو قيدوني آلافَ السنين،

وحرثوا جسدي بالسكاكين،

ثم أطلقوني للحظة؛

لقصّدتك من آخر الدنيا!

ولو منعوا الكلام

كالْمُخَدَّراتِ

لآلاف السنين،

وأطلقوا لساني

للحظة؛

لكلمتكَ... قبل أيِّ أحد!.

٧- قصيدة ضاعت بدايتها

أماه... أماه

قتلوا مُحَيَّاكَ

وسكبوا بيننا

صحراءَ آلامٍ!

أماه... أماه

كل يومٍ

أكتبُ لكِ قصيدةً

تذوبُ

ويتدفقُ الحُزْنُ

من مَوْجِ كلماتها

وهي تشدو لي.

كنتُ أخشى الحُزْنَ

في ما مضى؛
لكنني الآن
كلما أحسُّ بالوحدة
أتلهفُ لعودةِ الحُزنِ
ليغنيَّ لي!
لو استطعتُ

لوضعتُ جراحِي بينِ مخالبِ
الذكرى؛

لوهبتها لتلك العيون
الجميلة كليل القرية!
لو استطعتُ

لكتبتُ لك، أمامَ عتبةِ مدينةِ
الآلامِ

على شاحصةِ جراحِ آلافِ العشاقِ
... مثلي!

ترنيمةً مهمومةً!.

٨- أكبرُ جُرحٍ

حين ماتت أمِّي...
لا النجومُ تساقطتْ
ولا الأسماكُ ارتحلت!
حين ماتت أمِّي...
لم تدمع عين السماء
ولم يترك الحُزنُ
طائراً

ولا وردةً في أحضان السفوح!
حين ماتت أمِّي...
لا القمرُ خُسفَ
ولا الشمسُ كُسفتْ!
ولا ملاكٌ
أوقدَ سراجاً عند رأسها!

حين ماتت أمِّي...
بقيتِ الأرضُ كحالتها؛

لكن... في داخل قلبي
فُتحَ بابٌ قديمٌ
لأعمقِ جُرحٍ!.

أواه... يا أمِّي العزيزة
فراقك صعبٌ جداً؛

ليس كمِثلِ حرقَةِ الظمأِ،
ولا كحَرْدِ وزعلِ الحبيبةِ!

في بعادك... أحسُّ بفراغٍ كبيرٍ؛
حُرْنِي كمِثلِ «هلكورد»

يجثم على كاهلي!.

لو شعَّ نورٌ

ذاتَ ليلةٍ

من كُتِلَ ترابُ الضريحِ،

وبدَّ دَ الظلامُ؛

فلا تظنيه شمعةً!

إنه أنا...

أحترقُ لأجلك!.

أيا أمِّي العزيزة
أقولُ للسكاكر: سكاكر
وللجُرح: جُرح
وللوردة: وردة
لكن... أمَّاه
لِمَن أقولُ،
وإلى الأبدِ،
يا... أمِّي!.

٩- نجمة

كلُّ النجومِ المهاجرةِ

عادتْ

وحطت على زجاجِ النوافذِ،

وعشَّت هناك؛

ما عدا نجمتي!

أين أبحثُ عنها؟

في أيِّ غابةٍ،

أيِّ قريةٍ،

أيِّ تلةٍ،

أيِّ طريقٍ؟!.

أواه، ما أشدَّ خشيَتي

أن تضعِ نجمتي

كما ضاعت... أمِّي!.

خالد جوتيار

«يا أخي أنتظر قليلا ... نحن آتون»

شعر: المهندس محمد حسين رسول

١

مِنْ وادي الغراب جاء صبي
يحمل حقيبة من صفيح أزرق
تراحمت فيها أخاديد تراب أسمر
يقطر جسدا أثقله هيح القرية
وقلبا أقمار الشجو غوره
يتلفت

يفارق زراير الحقل
ونافذة بيت من طين
تشرق منها الشمس كل صباح
لم تصحبه الزراير
ولا النافذة
تسممه جراء الرقاق
لكن البوم طارده

٢

مرأى المدينة
قلعة سقيمة مثل خيمة من تراب
تذكر ذاكرة اللقاء الأول
نافذة تذكر نافذة
شمس تسم رائحة شمس
أناس ينثرون العفاء على الوجوه
والبوم بوم

٣

كبر الصبي
مارس الشوق
حفظ الأشياء وعناوين الدروب
عشق أعتاب البيوت وآفاق
الحارات
تعلم كيف يتنسم

كيف يحب

أو يرسم شكلا أعجفا لامرأة
والبوم لازال بوما

٤

تعلم
دمدم قلعة
أربيل قلعة
أرباخا قلعة
حلب قلعة
آمد قلعة
.... قلعة
.... قلعة
عشق القلاع
والبوم بوم

٥

أَدْرَكَ أَنَّ الْقَامَةَ لَهَا انْتِمَاءُ
 إِنَّ كَانَتْ فَلَمَّا يُفْرَغُ مَا فِي
 ذَاكِرَتِهِ مِنْ أَسَى
 أَمْ شَمْعَةً تَذُوبُ بِأَبَاءِ
 كَتَبَ الشَّعْرُ
 زَامِلَ الذِّكْرِ وَالتَّكَايَا
 صَادِقَ اللَّيْلِ وَالسُّكْرِ وَأَوَاهِ الْآهِ
 لَكِنِ الْغِنَاءُ
 مَا أَرْحَمَهُ
 أَنْجَدَهُ
 وَالْبُومُ لَا زَالَ بَوْمًا

٦

الْقَلْعَةُ وَطَنٌ مُتَخَيَّرٌ فِي قَبْضَةِ تَرَابِ
 الْجَبَلِ وَطَنٌ أَنْهَكَتْهُ قَائِمَةُ الرِّيحِ
 نَافِذَتُهُ لَا تُشْرِقُ مِنْهَا الشَّمْسُ
 لَا أَقْمَارَ وَلَا جِرَاءَ

غَادَرَ الْقَلْعَةَ

عَاشَرَ الْجَبَلَ
 وَالْبُومُ طَارَدَهُ

٧

كَتَبَ الذَّاكِرَةَ
 النَّافِذَةَ وَالْأَقْمَارَ وَالزَّرَازِيرَ
 وَالصَّفِيحَ وَالْجِرَاءَ
 وَالْبُومُ بَوْمٌ

٨

يُغْنِي
 مَا كَانَ مَا كَانَ مَا كَانَ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مَا كَانَ
 يُغْنِي
 وَالْبُومُ طَارَدَهُ

٩

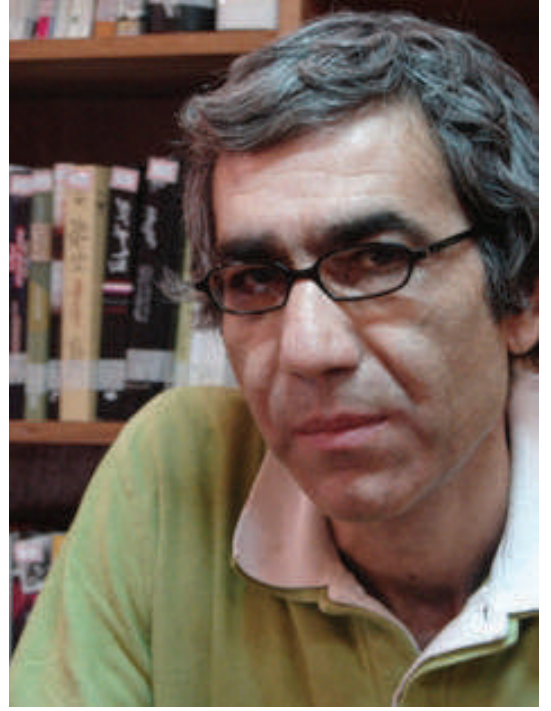
جَاءَ الْخَرِيفُ الْأَهْبِلُ بِغَلَالَةٍ
 تَغَضَّضَتْ بِشَدْوِ الْحِيرَانِ
 أَلْقَاهَا عَلَى سِيْمَاءِ كَدِّهِ الشَّدْوُ
 رَنَّمَ خَالِدٌ أَهْزَوْجَةَ الْقَلَاعِ وَالْجِبَالِ
 وَنَسَلَلُ كَاوِسُ مِنْ بَيْنِ أَضْلَعِهِ
 يَتَلَمَّسُ أَخَادِيدَ التُّرَابِ
 يَسْتَرْقُ السَّمْعَ لِلشَّهَقَةِ الْفُضْلَى
 تَتَفَجَّرُ آهَ الرَّحِيلِ

١٠

الْبُومُ لَا زَالَ بَوْمًا
 الْقَلْعَةُ بَوْمٌ
 وَالْوَطَنُ بَوْمٌ
 وَالزَّرَازِيرُ لَا الْجِرَاءُ بَوْمٌ
 وَالْقَلَمُ وَالذَّاكِرَةُ وَقَائِمَةُ الرِّيحِ
 وَالشَّعْرُ وَالسَّادِي بَوْمٌ.
 كانون الثاني ٢٠١٠

أين أذهب

شعر: لقمان محمود



الجميع يضحكون من حبل سرّتي.
غير أنك وحدك إرتبكت و
مسكتني و قرّبتني منك، حتى
قلت باكياً: دلشا أكتبني إسمي، كي
يمسحوا أصدقائي جسمي، لأرتاح و
ترتاحين. فدهشوا، لكنك فهمت، و
لذلك صرت تبكين معي. لكن المرأة
التي تذكّرتني كانت تبكي قبلنا
بدموع كبيرة، و قبل وصول دمعها
إلى الأرض كانت تصبح تفاحة، و
كان وجودي تحت شجرتها سبباً كي
تسمح ليدي الصغيرة جداً، الإلتصاق
بتفاحتها، و امتدت يدي الأخرى،
الصغيرة جداً بالإلتصاق أيضاً، و
حتى الآن يا دلشا، أحسّ بالملوحة
في جميع حليب العالم، طالما كانت
فمي تمصّ دموع أمي من الحلمة.

: صرتُ لا أعرف الحقيقة من
الوهم.
* * *
دلشا، الأيدي الباردة للأصدقاء
لم تخجل من دفء هذا الحب.
ضحكة الطعنات
لم تخجل من حزن هذا الجرح.
كل ما حصل
: أن هذا الحب
صار أكثر خلوداً.

أعرفك دلشا، و أعرفُ أنكِ
سهواً تنادين على جميع أصدقائي
بإسمي، و هذا ما يجعلهم يغضبون،
و يسحبون من صوتك جسمي،
و لهذا مرةً ضحكت... ضحكتُ
حتى صرتُ جنيناً، مما جعل

دلشا، كل ما أعرفه
: أنني ولدتُ قبل الله، ولدتُ
فيك.
ترعرتُ قبل صياغة الأوطان،
ترعرتُ فيك.
أين أذهب
و أنتِ بقائي، قوتي و جمالي
أين أذهب
و أنت دائماً ميلادي.

* * *

دلشا لم أحمل السلاح أبداً
لكن آثاره دائماً على صدري، و
على ظهري.
لم تلامس قدمي
ثلوج جبال كردستان أبداً
لكن ساقِي دائماً تُبترّ.
من أنا

حلقة الليل ونافذة العشق

شعر: كه‌ژال ابراهيم خدر

ترجمة: عبدالكريم شيخاني

تتعلق بأنفاسي (٧) كم أريد أن أحدث حفيف الريح لأجل أن تجلب لي عبيرك هل يخفي القمر حسنه؟ حين أريد أن أتحرّك مع نبراس روحي يروى ظمأ أعماقي (٨)	وإن عمر العشق طويل سيأتي يوم يصبح فيه نبراس نور ويستقدم احلام الراحة (٤) حين أنسكب في عينيك أحلامي تشعر بالارتياح وحينما أصبح ورقة صفراء فالدينا كلها كريمة سخية (٥)	(١) لو لم أكن آلهة العشق لما كنت أنظر اليك الى هذا الحد لو لم أكن شديدة الاشتواء لنوازع أعماقك لم أكن لألثم اناملك فتعال وأصبح السراج المنير لقلبي كن ضياء القمر لحياتي إغسل في أعماقي خربز التهذات والأحزان والثلوج على جفني (٢)
أضل الشبح موعدهم الغرامي لم تبق للضحك قهقهته أضاع الخريف لون الأوراق فتساقط على رأسي (٩) أنا بين عشاق هذه النواحي قنية ورد ذابل وكر لا مأوى له جدائلي وقلبي مهموم ومضطرب	منذ فترة اوصدت ظلمة القلب نوافذها إن زفة الحب طلسم أخمدت وجه شعاع الشمس (٦) أنوي أن أسطر وطننا يكون خريره شبيها لصوتك حين أفكر في لحظة فأنت شجن تلتهب	إنني قد سألت رحلة تساقطي كيف تتمل بأريج الورد إنني قد سألت عشقي الولهان حين يصبح إطارا للقلب (٣) إن قلبي -دوماً - جذوة يعرف الحب



(١٠)

إنني أعرف
أشجاننا من أين ظهرت
لماذا أجهشت سمائي بالبكاء
لماذا أخذ الحمام بالرحيل
في ذلك الوقت انهارت
روضة قلبي من الأعماق
(١١)

لا تمر ليلة دون أن أحلم بك
دون أن أسكر بعبيرك
انثذ، يسبح جسدي في الخمر
ويقبض على جدائلي
عبير الامك واحزانك
(١٢)

ساودع أمر انفاسي
بنوافذ غرفتك
إنني سائحة امام بابك
وكل خطوة تأتي من لدنك
انما هي انشودة لقامتك
(١٣)

حين أخوض في الآلام
تكون الأمطار روحانية ميتة
كلما أريد أن اسطر حلاوة الحياة
فان العشق ظل لاروح فيه

أمست الام الليالي كوة روحي
وأصبحت الأوراق والورود أشواكا
أطوي الذكريات طيا
اي سر هو الليلة الظلماء
لتودع الأحزان نفسها بقامتي
(١٥)

واشم الورود الجميلة شما
الى ان يغيب عن البال غنجها
ودلالها
في الأوقات التي يخيم فيها الظلام
فان نافذة قلبي مثل شجرة
تستبد بها مخاض الأحزان
وفي الأوقات التي أنوي
تطير الذكريات
ألمح ظلي
حين أطوي هودج قلبي
(١٤)

كانت رحلتك متأخرة جدا
لماذا أفلت
بأقت الأوراق صورة لفصل الخريف
أدارت غيوم وجهها
الليل ينبئ عن وهن جسدي
تفوح من أناملي رائحة الأحزان

عشق كرسالي

گولزار جلال

ت: بلند كريم

هل تعلم ان عشقنا هذا
كالجمر يذيب الاصعقة
إذا ذاب الصعيق
أينع حينا في رياض الزهور
كبرعم زهرة..
وبراعم الزهور ايضا
تبشر بقدم.. ربيع عشق كرسالي
يا الهي الكبير..
متى يرقص قوس قزح حينا
في سماوات عشقنا اللامتناهية؟!
حبيبي.. في رهانات الاصعقة
ينمو عشقنا كاللآلئ
على ضفاف الجداول، ومن ثم
يصطفون كهذا..
لجيد هذا العشق الكرسالي
بعدها.. يزهر براعم عشقنا
ظافراً في هذا الرهان.

هذه الليلة..
مرايا عشقنا
مؤطرة بحرارة الحنين
تعال.. هذه الليلة
اسمح لك بمعاقتي كما تشتهي،
وانا اجعل من هذه المعاقبة
كرنفال هطول ثلوج كرسالية
تعال.. لتعري تحت هذا الثلج..
ونفتح ذراعنا له.
تعال.. لنكو جسدنا بالثلج
حبيبي..
عشقي لك على أحرّ من الجمر
يذيب الاصعقة.
ويلّ له ان حاول قهر حينا..
تعال.. نتعري هذه الليلة حدّ
الجنون..
حبيبي.. لانتعجب..
العري تحت الثلوج الكرسالية
طقوس مقدّسة
تعال.. لنجعل من رذاذ الثلوج
كسوة..
نتغطى بها.. حتى نلوج في العمق.

تعال.. هذه الليلة. تهطل الثلوج
من سماء العشاق
انها ثلوج كرسالية
عشقي أنا.. منذ أبدٍ بعيدٍ
باستمرار هطول هكذا ثلوج..
لللقاء
تعال هنا.. تحت هذه الثلوج
الكرسالية
أعرف.. أن هذه الثلوج الكرسالية
تستحيل إلى قلادات تزين جيدي
ومن ثم.. تكشف خفايا عشقنا
ساردة قصة أعوام حينا..
والثلج على سفوح القمم
يواكب عشقنا المملوء بحنينٍ
عاصف..
وهي تتنفس الصعداء.
أنت منذ امدٍ طويلٍ
جعلت من عشقي
لآلئ كرسالية.. إن غفيت..
وضعتها في جيبك..
وإن أمطرت حنينك عليّ
وضعته في خصري أنا..



الشاعرة الكوردية «بهجان ماتور» ابنة القمر

ترجمة وتقديم: دلشا يوسف

الشاعرة و الكاتبة الكوردية (بهجان ماتور)، مواليد ١٤ أيلول ١٩٦٨، قرية مقصود أوشاغي التابعة لمدينة مرعش التركية. أنهت دراستها الثانوية في مدينة عنتاب و تخرجت من كلية القانون في جامعة أنقرة. حصلت الشاعرة على جائزة (خليل كوجا جوز) و جائزة (أورهان مراد أربرنو) للشعر عن مجموعتها الشعرية (قصور تعجّ بالرياح) ١٩٩٧.

نشرت قصائدها في مجلات معروفة في تركيا مثل (آدام سه نعه ت، دفتر، آكين بو لته ن و يازت إلخ...).

صدرت لها مختارات شعرية بالإنكليزية بعنوان (معبد الإله المريض) عن دار نشر آرج ٢٠٠٤. كما صدرت لها مختارات شعرية بالألمانية و الفرنسية بعنوان (الرياح تجتاح هيرن هاووزر) عن دار نشر (بي، إيتش، إي) في لوكسمبور عام ٢٠٠٨.

ما زالت الشاعرة و الكاتبة المعروفة بهجان ماتور مستمرة بنشر مقالاتها في صحيفة زمان التركية حول مجالات شتى مثل اللغة، الفكر، و القضية الكوردية، حيث تعمل رئيسة لمركز الثقافة و الفن في ديار بكر و الذي تأسس عام ٢٠٠٨.

من مؤلفاتها الشعرية:

- قصور تعجّ بالرياح (١٩٩٦).
- ليت الله لا يرى أحرفي (١٩٩٨).
- الأبناء الذين ربتهم القمر. (٢٠٠٢)
- في صحرائه. (٢٠٠٢)
- تركني إبراهيم. (٢٠٠٩)



نصوص شعرية:
المرأة حرفٌ على جدار الله

(١)

المرأة حرف على جدار الله
تشبه بجعة سوداء
أدمنت الإنتظار.

(٢)

حينما قال الموت للزمن
سرّ لا تنتظر
علمتُ.

مددتُ ولدي على بلاطٍ
لم يضربه شعاع الشمس بعد
و خنقتهُ.

علمتُ حينما كبر في رحمي.

تلك المرأة التي دخلت الحوض
مثل بجعة سوداء،
تصلتُ من حروف الله
و تمذّنتُ نفسها في صوت الماء.

(٣)

وقفتُ في ظل النافورة
لأيام...
كانت تود أن تصبح إنساناً
و لتتخلص من جناحها.
كلما تدفقت المياه من النافورة
رقت جناحها.
و حينما رفعتُ جناحها

رأت تحتهم أفعى

تعرت من جلدها
و رقت غشاؤها

لو أطالت الأفعى رقبتها حينها
و نظرت في العمق
لرأت ولداً متفسخاً.
لكنها لم تنظر أبداً.

(٤)

متسولٌ في الباحة
كان يقول في أغنيته
آثمٌ...

كل من لا يعرف حروف الله
و مع صوت الصلاة
إختلط الماء بالمرأة.

(٥)

حينما قال الموت للزمن
سرّ لا تنتظر
توقفتُ في الباحة.
لم أكن أعرف حروف الله
كنتُ الزمن
و الخطيئة معاً.

كل امرأة تعرف شجرتها

عند مجيئي إليك

أود أن أفتح جناحيّ

المرصعتان بالأحجار السوداء

في سماء تلك المدينة المزهوة

لأجثم على فروع شجرة

و أصرخ بألم :

كل امرأة تعرف شجرتها.

طرتُ تلك الليلة

تجاوزتُ تلك المدينة

التي تهابها الظلام

روحي كانت وحيدة

دون ظل.

.....

.....

كنتُ العلوّ.

الوداع

طوال العشق

لن أتعب الضوء

و لا الصمت

أدفتته

مع العشق

عند الشاطئ

الذي ولد الموجة العاتية في

داخلي.



اسطورة العمى

قصة / نجاه نوري

ت / غفور صالح عبدالله

منكم يستطيع ان ينظر الى تلك الصور كما هي. قليل من الناس يستطيعون ان يتعلموا اسرار العمى، اكثرىتكم عندما تنظرون الى صورة احد العميان، او ترون احد العميان، تشعرون بالعجز وتحزنون لاجله. لا نشعر بحقائق الاشياء التي خلف روح اولئك العميان و المخبة هناك. انت كيف تستطيع ان تسير خطوة بخطوة اعمار اناس كانت العمى جزءاً من اعمارهم.

مع هذا انهم مثلنا يحبون الحياة، واكثر عشقا منكم، هذه هي الاسرار التي تسرد لكم حكايات العمى. انا منذ اللحظة التي تعلمت تلك الاسرار من عمى جدي، لم استطع ان احس بعالم العميان، كان جدي يستطيع ان يكتب الرسائل و الغزليات الجميلة للعشاق، ان التجوال في حياة و عمى جدي يتعب الانسان، لحين

هذه المدينة نتعرف على الاشياء المحيطة بنا، ذلك الرجل الذي من خلاله تعرفت على المدينة و الناس و العشاق، رجلا كان نسيانه صعبا بالنسبة لنا، كان يقول : ان العمى كان موجودا بيننا في جميع العهود. انتم ترون فقط عينين ضريرتين لدى العميان، لاتشعرون بدنيا مليئة بالعشق و غزل الخلود خلف تينك العينين. ان صور العميان جزء من مشاهدة ارواح اشخاص اخرين، الذين يصلون الى الارض المضيئة بظلمة ابدية، انتم لاتعرفون بأن عشق العمى يعود بنا الى الرؤية، واكتشاف اولئك العميان الذين يعشقون مثل سليمي البصر. مثلهم يملأ قلوبهم بالجمال، الغزليات التي كانت هم يلقونها على اسماعكم من سقوف الظلام، اشعارهم كان شعرا لم يكن يكتب بمئات الرجال ذوي الاصحاب العيون السليمة، قليل

لم يكن في هذه المدينة احد يملك بيتا مثل بيتنا، بيوت هذه المدينة كانت مليئة بصور المطربين، واناس ذو العيون السليمة، وصور اعزاءهم، والرجال الكبار، كانت تلك البيوت مليئة باللوحات الملونة والجالبة للانتباه. لكن بيتنا كان متحفا لصور العميان، كان بيتنا على مدى سنوات طوال مليء بصور هؤلاء العميان، تلك الصور كانت جزءا من الحزن و الالم بالنسبة لي. لكن كانت اجمل الصور لدي، صور اولئك الرجال الذين سماهم جدي بـ (الاحياء الكبار)، لم يكن هناك جدارا في بيتنا، والا كانت هناك صورة اعمى معلقة عليه، لذا على مدى تلك الايام لم يكن هناك شيئا اخر عدا تلك الصور وحكاياتها لاعيش معها. لذا لم يكن صعبا بالنسبة لي و عائلتي والاخرين ان نتعرف على غزليات و تصرفات احد العميان في هذا الزقاق، او في

عمى جدي لم يكن احد يعرف شيئاً عن العمى ، ان جدي منذ سن الثامنة عشرة كانت تفوح منه رائحة النعناع و الشاي المعطر و روائح البهارات و رائحة البخور، عندما كان يعود الى البيت عبر الزقاق ، لم يكن ثمة احد لم يشتم منه تلك الروائح من قامته. لحد الان تفوح من تلك الازقة للمدينة تلك الروائح ، وتحملها الريح الى جميع البيوت. ان جدي منذ ذلك الوقت عندما اخذ شاي المعطر الى ذلك التاجر في بغداد، في زمن عبدالكريم قاسم ، ذات ليلة قبضوا عليه بتهمة التجسس ، و بعد توقيفه لمدة اربعة عشر يوماً، ومحاكمته اخذوه الى قبالة جلاد كهل ، والذي كان عمله الوحيد هو سمل عيون الذين يتم اعتقالهم في بغداد العاصمة ، ويقتادونهم اليه لكي يسمل عيونهم . في غرفة هذا الجلاد مثلما تحدث لي جدي بعد سنوات ، وقبل ان يصاب بالعمى، قد رأى جميع تلك الصور في غرفته، فقد شاهد هذه المقولة على جلد غزال معلق على احد جدرانها (لاتغفلوا ولا تمثلوا). ان الاشخاص الذين يفقدون البصر الى الابد على يد هذا الجلاد الكهل ، كانوا يحفظون صورة تلك المقولة في عيونهم المسمولة، كان جدي يقول بأن ذلك الجلاد كان يحلفهم

على قرآن ضخم، بأن لا يذكروا ملامحه لأحد، وهذه كانت صورة اخرى من تلك الاسرار للجلادين التي تعلمنها للمعاقبين، كان جدي يقول بأن ذلك الجلاد كان له حكاية خاصة لكل سمل للعيون، قال الجلاد ذات مرة بأن هذا السمل بحق المعتقلين له امتداد منذ عهد هارون الرشيد، كان جدي يقول بأن هذا الجلاد كان كهلا جدا ، بحيث كان يضع رأس كل شخص يراد سمل عيونه في حضنه بصعوبة ، فقد تعلم هكذا لكي يحقق غاية العمى . كان يفرش في حضنه منشفة صوفية نظيفة معطرة، و يضع رأسه مثل طفل رضيع في حضنه، ثم يشرع في سرد تلك الحكاية التي حضرها له، كان يتصرف بصورة عجيبة ، ويحزن لك و يشفق عليك بصورة عجيبة يبدأ هكذا ، كان يقول لك : انظر الى الجهة المقابلة للصحراء ، او الى الضفة الاخرى للنهر، انظر الى الطيور الكُرْكة فوق بيوضها في الاعشاش ، بحيث كان يجعلك بحق ان تترأى لك تلك الصور التي كان يصفها لك، كنت تحس بأنك تتجول في البحار و الصحارى، وليس انك تَهَيأ لسمل العيون. سرد الحكايات لم تكن بحاجة الى التعب من قبل ذلك الجلاد، فقد قرأ الكثير من كتب الحكايات ،

مثل الف ليلة وليلة والاحاديث الشريفة، ومئات من الكتب الاخرى، لكي لا يعرقه ايما حرف لسرد الحكايات في غرفته المخيفة، العجيب من ذلك كان يكتب تلك الحكايات التي كان يسرد للمعاقبين في كتاب ضخم، يكتب كلها ، كانوا يقولون بأن بغداد كانت جميلة بهذا الكتاب، يقولون بأن عشرات البحاث زاروا بغداد لاجل العثور على كتاب حكايات ذلك الجلاد ، لكن مع مقتل عبدالكريم قاسم يضع ذلك الجلاد مع كتابه. فقد روى ذلك الجلاد لجدي حكاية سمل عيون و قطع اوصال (عبدالرحمن بن ملجم) قاتل علي بن ابي طالب، فقد روى ذلك الجلاد بان (عبد الرحمن) مع بتر كل قطعة من جسده ، كان يغني الغزليات للعشق و الخلود. هو اراد ان يكتب تلك الغزليات بدمه على جدران زنزانتة، الذين كانوا يعذبون هذا الرجل يومياً تعجبوا منه، كان يغني اجمل غزلياته لكل تعذيب، تعجبوا منه ذات مرة بأنهم ارادوا، بأن لا يعذبوه، وهو بدوره لن يستطع ان يغني غزلياته، اندهش معذبيه من كانوا على رأسه، كانوا يشعرون بالخجل لكل غزل يقوله (عبدالرحمن)، قبل ان يقطعوا شريان تفكيره ، طلب من الجلادين

ان يمنحوه مهلة للتخليق ، تخليق لاجل ان يعتذر في عزاء (امام علي)، قال (عبدالرحمن) لقتلته ، أنني قتلت رجلا لقد رهن جل عمره للعدالة و خدمة الفقراء، قتلته لكي يكون خالدا الى الابد، قتلته لكي يذكر اسمه بين رجال العظام على الارض الى الابد. كنت اعرف بأنه اذا لم يقتل سوف يكون في المستقبل في عداد الاشرار، انا قتلت (علي) لكي يبقى خالدا بيننا الى الابد، ان جلادي (عبد الرحمن) عندما فكوا قيوده من جسده، رأوا جسدا ضئيلا يخرج من نافذة الزنزانة الى الخارج، انهم رووا ذلك بعد سنوات للناس، فقد حفظ احد جلادي الرجل جميع غزلياته، كان جلاديه لم يردوا ان يقطعوا لسانه ، لكي يتلذذوا بغزلياته، مع قطع اوصاله كانت الغرفة تمتلئ بحروف غزلياته التي كان يغنيها (عبدالرحمن) للعشق و لعللي و للموت وللصحراء، كان على الجلادين ان يهدأوا لوهلة لكي يفقهوا معنى تلك الغزليات ، التي كان يغنيها قاتل علي تحت التعذيب، انهم عذبوا كثير من الناس بهذه الشاكلة. لكن لم يروا شخصا مثل هذا الرجل ان يغني الغزليات اثناء التعذيب و قول الامثلة، الوقت كان موزعا لهم

على وجبتين عجيبتين، وجبة للتعذيب و والانتقام من عمل مقزز وموت علي، والاوقات الاخرى كانت لاستماع عشرات الغزليات التي تعود بالانسان الى اقصى طهارة الروح و الحياة، الشخص الذي حفظ جميع غزليات (عبدالرحمن) في الزنزانة ، بعد فترة كان يردد تلك الغزليات في الساحات و بين الناس وينسبها الى نفسه. لحين مماته لم يدر احد بأن تلك الغزليات تعود للقاتل. بعد ايام تعجب كيف جلاد اختصاصه التعذيب و قطع الرؤوس يتحول فجأة الى شاعر كبير و ، يقول كل هذه الغزليات الجميلة. هذه حال الدنيا اغلب الاحيان تسرق غزليات الاخرين ويشتهرون في المدن كقاريء الغزل وليس جلادا. عندما حان وقت سمل عيون عبدالرحمن ، قد رمى الجلادون عيونهم في الارض ، فقد رأى عبدالرحمن تينك العينين بعيون الروح على الارض ، وقال اخر غزلياته لتينك العينين. فقد روى ذلك الجلاد الكهل حكاية موت ذلك الرجل لجدي حتى الهزيع الاخير من الليل. قال له بأن عيونكم المفقوءة ثروة كبيرة لي، لا احد يستطيع ان يأخذ مني ما حييت. هناك في بيتي الاف العيون، انا اراكم بتلك العيون

وليس بعيونني. ذلك الجلاد الهرم تحدث بشكل عجيب ، عن اصفهان و سمرقند و اذربيجان و المغرب والسليمانية و مصر. وقال بأنني اجد كل شيء لاطوان هؤلاء عن طريق تلك العيون المفقوءة ، ارى بتلك العيون التي اسملها واحتفظ بها لدي، كل تلك الشوارع والازقة و دواخل بيوتكم. في فجر احد الايام عندما وجد جدي نفسه مرمي في احد شوارع بغداد و فاقد البصر، لم يسمع صوت ذلك الجلاد الكهل ، ولاصوت احد في الشوارع المحيطة، رغم عدم تأله على يد ذلك الجلاد ، اثناء سمل عيونهم، فقط شعر بأنه قبل ايام في بغداد كانت عيونهم سليمة ، و لم يزل تفوح من ثيابه رائحة الشاي المعطر، لكن الان في نفس المدينة، ومختلف عن تلك الايام يعيش في عالم اخر، يرى بغداد بدخيلته وليس بعيون الايام السابقة. عرفني جدي بدنيا العميان بهذه الصورة، انه قام بتربيتي في تلك المعارض الكبيرة لصور عميان هذا البلد وصور عميان المدن الاخرى، صور اولئك العميان التي وصلت الى منزلنا بطرق مختلفة، في اليوم الذي علقت مئات الصور للرجال العميان على جدرانهم ، كان يوما لم يكن لاحد غرفة مليئة بهكذا صور. ذلك اليوم والصور علماني

منذ الطفولة البحث داخل اسطورة العمى، انا تعرفت على دنيا مليئة بالاسرار ، والبحث اثر الغزل و حياة العميان ليس شيء اخر. تلك الدنيا التي جلبت لي حظ سيء، انا الان لا اتحدث عن عمى الذي يمنحه الرب لعبده في الاعمار المختلفة، انا لا اتحدث عن تلك اللحظات المشؤومة في عهد الخلفاء ، و العهد العثماني واقطاع اوروبا و فترة امارة اردلان ، التي كانت تنفذ سمل العين بحق المعارضين ، ان سمل العيون جزء من تراث كل شعب، لاتجد حضارة ما ليس فيها الحديث عن التعمي، ان الرؤية بعين القلب لدى العميان للاشياء المحيطة بهم ، كانت حديث الناس و الوجهاء، ان الجلاديين الذين جعلوا من سمل العيون مهنة لهم داخل الزنزانات، كيف صمدوا امام نور و رؤى اولئك الذين كانوا يسملون عيونهم، او كيف تم تعميهم بألة حادة، ان محادثة مع اولئك الجلاديين جزء من كتابة تأريخ ضائع، الذي لم يستطع ان يدونه احد، او ان يبحث عنه. كُتبت اشياء كثيرة في حياة السجناء و جلاديههم في الفترات المختلفة، مع هذا ان ذكريات اولئك الجلاديين حول التعمي و سمل عيون السجناء ، هي اقل الصفحات داخل مكتبات الدنيا الكبيرة، انا فقط من خلال

جدي وعلى لسان ذلك الجلاد الكهل في عهد عبدالكريم قاسم ، سمعت بان ذلك الجلاد منهمك في كتابة مذكراته ، و باسماء اولئك الذين قام بسمل عيونهم. ان حكايات تلك الحقبة من مدينة بغداد تسرد هكذا، ان الامراء والحكام و ذوي السلطة ، اول عمل لهم هو استدعاء القتلة، ومن بينهم الذين جعلوا من سمل العيون مهنة يومية لهم، ان ابشع الاعمال في الحضارات كانت سمل العيون، (عندما يقتل محكوم ما بعيون سملة، بعد ذلك يبحث زوج من العينين عن صاحبه الى الابد، ان الرب يمنح عبيده موهبة ما، ان الذين يتم تظليم هذه الدنيا امام ناظرهم، لكن لا يستطيعون قتل نور ارواحهم، لا يعرفون بان الله سيمنحهم دنياً أكثر ضياء من هذه الدنيا). هذا كلام والدي الذي كان يقوله لي من خلال صور العميان، تلك الصور والتي من ضمنها صورة كبيرة لجدي ، عليّ ان اعلم نفسي تلك الاشياء التي يتعلمها العميان، على مدى سنة ولمدة ثمانين يوما بقيت باستمرار داخل صور العميان ، قطعت علاقتي بدنيا النور، على اية حال لبست ملابس قديمة لجدي ، شرعت في البحث داخل الظلمة عن دنيا العميان، في الايام الاخيرة

لايام الثمانين تلك ، عندما كنت مشغولا بقراءة الكتابات التي كتبها جدي في حينها في بغداد ، صادفت رحلة كانت بالنسبة لي عجيبة ، ونسيانها صعب لي حتى الان. والرحلة كانت، فقد وصلت الى مدينة كانت تغطى بالعميان ، او قد تم تعميهم، فقد كان الجميع عميانا، من الرئيس و الحكام و التجار و الموظفين وقراء الغزل ، دخلت الى مدينة كان يجب فيها ان اصل الى ملك العميان من بوابة كبيرة، لماذا اردت ان التقى ملك عميان تلك المدينة ؟ في تلك اللحظات سمعت صوتا، كان يشبه صوت جدي وقال لي ارجع . بعد ذلك تحدثت عنه لجدي، تحدثت عن صوته الذي منعني من الوصول الى ملك العميان ، فقد بدأ لفترة بتعليمي كيفية التعرف على عالم العميان، كان يقول لي بأن اولئك يتم تعميهم مثلي من قبل الجلاديين، ليسوا مثل اولئك العميان الذين فقدوا البصر منذ الولادة، انه علمني بأن الرؤية لدى العيون السليمة ، ليس السبب الذي نحن نسميها الرؤية الحقيقية ، كثير من الناس هنا ذو عيون ساطعة وجميلة، رأوا بها الآلاف من الملامح الجميلة للمدنية ، وقرأوا بها الاف الصفحات للعدالة و الاعمال المقززة. مع هذا انهم

الطلاب من ذوي العيون الكليّة يعملون لهم النظارات، عندما رفعت رأسي لم أرى صورة معلقة، لذا قلت لا أرى أية صورة، حينها صرخ والذي بصوت عالي: يا ابن الكلب كيف لا ترى الصورة الكبيرة للوطن، بعد ذلك جلبوا كتاب الصف الأول الابتدائي، لكي انظر الى الصور الموجودة فيه. اشترت لهم على جميع الصور باليد، قلت للمدير خشية: اني ارى الصورة الصغيرة العائدة لك التي تحت زجاج طاولتك، منذ ذلك اليوم كنت اعمى ازاء كثير من الاشياء، تلك الاشياء التي علمتني اياه جدي، علمني بان العماء شيء جيد في اغلب الاوقات، بعد سنوات تذكر والذي ذلك اليوم و قال لي: عجب انك رغم صغر سنك كنت شجاعا، بحيث لأول مرة استطعت بين كل اولئك الرجال، ان تقول للمدير بانك لا ترى الصورة الكبيرة للوطن، اعذرني بأني تأثرت تلك الايام. ان عمائي جزء من مئات الاسرار التي مكثت لدى جدي، انه علمني ان اكون اعمى ازاء كثير من الاشياء، كانت عيوني ترى الشجر و الطيور واشياء اخرى، كنت اقرأ اصغر الحروف، في كثير الاحيان عندما كنت اجلس بين صور العميان، كنت افقد البصر مثلهم. كنت اسافر الى المدن البعيدة،

لأمرأة عمياء باسم (سلمى) تم تعميها في ١٨٧٢ في عهد مدحت الباشا بايدي رجال ذلك الباشا. فقد روى لي جدي هذا القدر حول تلك المرأة، التي عشقت مدحت الباشا، وقرأ لي جدي غزليين لتلك المرأة، اللذين الفتها في عشق ذلك الرجل: (كم انا سعيدة بعد كل هذه الفضائح، وصل صقر الى البيوت الخربة لهذه المدينة، والتهم من جراء الجوع احشائي، وفي مسجد صدري أذن للعشق)، ان جدي لم يكمل لي ابدا قصة تلك المرأة العمياء، كثيرة هي الاساطير التي نسجت حول العميان وتركت وهي ناقصة. يجب الان وبعد سنوات ان تعرفوا الحكايات من خلال الدروس التي علمني اياه جدي، بعد سنوات انا أيضا فقدت بصري، بحيث كان مختلفا عن جميع فقدان البصر في هذه المدينة، عندما ابعدني والذي من المدينة، واخذني الى قرية قريبة لكي يدخلني الى المدرسة، ذلك اليوم قال لي جدي، بانه حان وقت عمائي، وانا كنت واقفا قبالة طاولة المدير مثل عود يابس، فقد اكملوا جميع الترتيبات لاجل قبولي، كان المدير رجل ذو شعر ابيض، قال لي هل ارى الصورة التي خلفه، لكي يتأكد اكثر من سلامة بصري، لان

اكثر عميا من جميع عميان الدنيا، هذا لديهم موهبة مدمرة، لكن العمى لدى الاعمى موهبة لقول الغزل و التعشق وللجوانب الجميلة، لايمكن ان يمنح العمى كاسم للعميان، هناك موسيقيين وشعراء و نحّاتين عميان، لكنهم يرون الاشياء المحيطة بهم باصابعهم، انهم يرون الاحرف باصابعهم، بهذا الشكل يعرفون عالم جميل بالنّاي، ليس كذوي العيون السليمة يعزفون الموسيقى للحروب، يصنعون التماثيل للخونة واللصوص، يلقون القصاصد للقتلة، هذه الاشياء لا وجود لها في دنيا هؤلاء العميان، كثير من الاحيان و ليس الان لكن في وقت متأخر، رغم كل تلك المظالم التي نفذت بحقي في بغداد، يجب ان اشكر كثيرا ذلك الجلاد الكهل، الذي اعماني بصورة جد رحيمة، وانقذني من دنياكم انتم، هكذا كان جدي يتحدث الي يوميا، فقد عرفني الى عالم بحيث اذا جاء دور سمل عيوني بأن لاخاف من ذلك العالم و لا احزن لفقدان بصري. يوميا في اغلب الاوقات داخل تلك الغرفة المليئة بصور العميان المعلقة، كانت تخبرني عن اسماء العميان، و الذين تم تعميهم فيها في الجانب الايمن، بين تلك الصور كانت هناك صورة

ذلك ونحن في منزلنا جميعا فقدنا البصر، فقدان البصر الذي ارشدنا جدي اليه، ثم لم نر اي شيء سييء لهذه المدينة، كنا نساغر مع غزليات جدنا الى تلك المدن المليئة بالروائح العبقة ، واصوات المغنيين و الغزليات الآسرة، كنا دوما في السفر، فقد نسينا مدينتنا الى الابد، كان جدي يقول لنا في طريق السفر ، ان المدن المليئة بصور رجال كذابين سوف تتعفن . كان يقول لنا : شكرا لذلك الجلال الهرم الذي اعمانى ، وانقذني من رؤية صور هذه المدينة، كان يقول لنا : نحن الان عائلة تذهب الى اراضي العميان الذين خلقوا اجمل الاساطير لانفسهم، نسلك طريق اولئك الذين لايموتون..

السيئين ، حتى من الموسيقيين و المغنيين الكذابين. ان العمى يخفي عني كثير من الاشياء التي حولي، كان جدي يقول لي انك حي، لانك لاترى الاشياء القبيحة من حولك، ان رؤية الاشياء القبيحة و المزيفة في هذه المدينة تشيخ الانسان، كان على حق، عندما كان الناس يبكون او يحزنون اثر رؤيتهم للصور التي حولهم، وان كنت اهدأ داخليا، اذ كنت لا ارى الاشياء التي تعذب الناس، قبل وصولي الى الاشياء ، التي لم ارغب في رؤيتها ، كنت افقد بصري. ان العمى كان يمحو جميع الاشياء امام ناظري، وادخل عالما مليئا بالسعادة ، لكي يملأ بيتنا اكثر بصور العميان، جمعت عشرات بل مئات من صور العميان ، وعلقتها على الجدران و اغصان الاشجار و باب باحة منزلنا. بعد

وابتعد عن مدينتي عشرات الايام، لكن كنت افقد البصر امام صور التجار السارقين و الشعراء الثرثارين، كان يصيبني العمى في الحفلات والمناسبات الوطنية، في اغلب الاوقات كنت لا ارى صور الاشخاص الذين كانوا يرشحون انفسهم للانتخابات، ولا ارى على شاشات التلفزة صور رجال عالم الكبار ، وعجبا كنت افقد البصر ازاء هويتي و جواز سفري، كنت افقد البصر ازاء كثير من اشياء هذه المدينة، لفترة طويلة كنت ارى عالما اخر وليس هذه المدينة والاشياء الموجودة فيها، تلك لحظات العمى كانت بالنسبة لي موهبة ، منحتني اياه جدي، وليس الرب او الاخرين. منذ اليوم الذي اخذوني الى المدرسة ، لم استطع ان ارى اية صورة للرجال



اقصوصة قصيرة

القاص: سيامند هادي

ترجمة: جيهان عمر

بشكل مختلف في كل مرة.. وهو
يراني في كل يوم بلون ما..!

(مرة أخرى)

في احدى اقتراحاته كتب لعلماء
الكون العالمي:

امنحوني فسحة في السماء
لأسكن فيها.. امنحوني السهول
والجبال والقرى والمدن وكل من
على الارض حتى أكون اول من
يسكن فيها..!

(التأمل)

عندما علم بأنهم لا يريدون
ان يفكوا قبضة يديه من الافق..
ويضعوا رأسه في جرة الخيال..
ويوظفونه على قدميه.. كان
يصيح ملئ حنجرته:

لا تقلعوا المسامير والصليب من
على ظهري.. أنني متمرس به..
صلبوني قبل المسيح..!

(موعد غرام)

بعد انتظار طويل، ترك كرسيه
وحيدا.. ماعدا اوراق الازهار التي
انتشرت على الكرسي وعلى الارض،
خلف الكرسي سويق زهرة وورقة
معلقة بها..!

(الوقت)

كانت تحس بأنها ليست لها
علاقة مع هذه الكلمة.. بل تتوقف
عند الذكريات، وعند التأمل
تنهزم..!

(النوم)

ميؤوسة لأجل عبور الوقت
والعادات الدائمة.. كانت في غفوة..
مثل انقطاع الوقت والاستراحة:
بعد ارهاقات كثيرة تنام..!

(المكان)

لست أنا الذي اتضجر من
مشاهدة الشارع.. لأنني اشاهده

(حفارة)

مثل المالك الحزين، كنت تبحث
عن شواطئ الانتظار في محيط
العالم لجزيرة النوارس.. حطيت
على الشاطئ.. كنورس حيث قطع
مجري خيالاته.. رأيت النوارس
تلتهم انفسها بمنافيرها..!

(الجندي)

نتيجة اللاوعي قتل صديقه
بطلقة طائشة، لقد كان دون أمل..
لأنه لم يستطع ترويض بندقيته
بعد عشرين عاما..!

(خادم الحرم)

كان يكتب كل مرة في وصيته:
عندما أموت، ارموا جثتي في
البحر.. لا تضعوني في اطار شجرة
ولا ضيفا عند رطوبة التراب.. لأنني
اول ماعرفته، التراب، والتابوت،
والموت..!



عيون المارد

«من أدب الرفض في زمن البعث»

قصة: معتصم ساليبي

ترجمة: محمد صابر محمود

مضحجي، فأنتني - ومنذ طفولتي
الباكرة - دائم الإصغاء شغوف
بالاستماع إلى القصص والأساطير
الخيالية التي تروى عن عيون
المردة، والغيلان.

رحم الله الجدة (هةمين) وغفر
لها ذنوبها، حيث هي الآن (تثوي في
دار الحق والبقاء وأنا الآن لا زلت
أثقل في دار الشقوة والفناء) مثلما
هي علمتنا هذه الجملة حينما
كنا أطفالاً، كانت هي لنا بمثابة
الذياع والتلفاز، حيث كانت تروي
لنا العديد من الحكايات، والقصص
المشحونة بالسحر، والسحرة.. ونحن
- بدورنا - كنا نلوذ بالصمت
المطبق.. ننصت مبهورين بعيون
مفتوحة وأفواه فاغرة.. نرهف
أسماعنا لما ترويه من أحداث
ووقائع. نلتقط كلماتها واحدة
فواحدة. أما في الليالي الممطرة فقد
كانت تتراءى لنا، فنتخيل أصوات
المزن الهائلة، وكأنها وقع سنابك

ذلك سبيلاً.
تري ماذا يمكن أن تكون عيون
المارد هذه؟! والتي يتوجس منها
واحد مثلي هكذا - أنا الذي لا اشك
لحظة في سلامة مخي - ويحافظ
على نفسه من شرورها بهذه
الصورة؟. لو تفضلتم بتصديق
ما أقول، فأني عيون المارد تلك لهي
أشد اضطراباً وإحراقاً من النار
المستعرة!!.. لو صادفت شخصاً
لأحرقته في غمضة عين فأحاليته
إلى كتلة من الفحم.. وإن شفرتها
أحد وأرهف من نصل (الألاس) لو
قدر لإنسان ما وسقط فوقها لشقته
نصفين في الحال وقطعته كما
تقطع الخيار!!.. ثم إن رائحتها
أشد عفونة وأنتن من رائحة
المزيلة!!.. فإذا ما دنا منها امرؤ
تراه سرعان ما يصاب بالدوار،
والغثيان، فيتداعى ويسقط مغشياً
عليه!!.. لكنني وبالرغم من كل
هذه المخاوف التي تنتابني وتقض

منذ زمن بعيد، صار عندي
الخوف من عيون المارد شيئاً
مرعباً.. لا ينفك يلازمي ويلتف
حول عنقي.. يعتصره مثل (طوق
عزازيل). لقد غدا ذلك الرعب
منذ بواكير طفولتي، هاجساً يدق
ناقوس الخطر حولي!!.. يملأ
جمجمتي ويحقن قلبي ونفسي
بالآلام المبرحة. من الجائز أن يقول
البعض: انه كاذب فيما يدعي..
وربما قال البعض الآخر: انه صادق
فيما يقول.. ولربما قال آخرون: إن
الذنب إنما هو ذنب الرجل نفسه
لأنه ليس بمقدوره أن يكيف نفسه
حسب متطلبات الظروف والأحوال.
وثمة من أناس - أستطيع القول
جازماً بأنهم كثيرون - هم على
شاكليتي، قد تبرعوا ذلك الفرع
والهلع في أعماقهم.. وهم - مثلي
أيضاً - يحاذرون تلك العيون
الرعبة المخيفة ويحاولون تجنبها،
والابتعاد عنها ما استطاعوا إلى

وإذ ألتفتنا إلى وسط (خاصة)، أذا بنا نشاهد زوبعة من الغبار، وهي تتوجه نحونا بسرعة مذهلة!!.. فما كان منا إلا أن نلوذ بالفرار، ونعدو مسرعين، باتجاه سطح دارنا ومن ثم أخفيها أنفسنا فوق سطح الدار.. من هناك ومن وراء السياج الفوقاني أخذنا نترصد ونراقب بإمعان عيون المارد!!.. وإذ وصلت إلى الجسر المنسوب فوق الساقية التي على هذا الجانب من الطريق المار من منتصف البستان، شاهدنا عيون المارد ترتدي ثياباً يميل لونها إلى اللون الخاكي، وإنها تلبس قبة بنفس اللون أيضاً.. تمتطي صهوة حصان أسود بلون القطران!!.. تيبسنا في أماكننا من شدة الفزع والهلع، وكادت الدماء تتجمد في عروقنا، توقفت عيون المارد على الطرف القصي من البيوت لحظة.. ترجلت وربطت حصانها أمام بيت (الحاج مجيد)، ومن ثم اندفعت داخل بيتهم!!.. أما نحن الأطفال فلم نجرؤ على مبارحة سطح المنزل إلى وقت متأخر من ظهر ذلك اليوم.. فبقينا في حالة من الترقب والانتظار إلى أن غادرت عيون المارد جميع الأحياء.. بعدها توجهنا مباشرة صوب الحمامات التي كنا قد بنيناها لكي نتفقددها.. ولكن - ويا للأسف الشديد - كلها كانت مهدمة تحت وطأة حوافر

ولفترة طويلة أيضاً كنا نبحث عن واحدة مثل الجدة (ههمين).. تملأ علينا الفراغ الذي تركته هي.. لتروي لنا قصصاً من أمثال تلك التي كانت هي ترويها لنا.. ولكن ذلك الحلم الذي كنا نحلم به لم يتحقق مطلقاً!!.. في وقتنا الحاضر حينما يصاب تلفزيون أحد البيوت بالعطل، نراهم سرعان ما يقومون بتصليله لدى أحد المصلحين. غير أن نموذجاً مثل الجدة (ههمين) فنادرًا ما يمكن الحصول عليه. أيها السادة المحترمون - لحد الآن، ما زلت أتذكر ذلك اليوم الذي شاهدت فيه لأول مرة عيون المارد بأم عيني مجسمة بشكلها الطبيعي وبحجمها الكامل، كنت ما أزال طفلاً وكان بيتنا يقع في أقصى المدينة.. صف الدور لمحلتنا كان يقابل وادي (خاصة) فيما بين البيوت ووادي (خاصة) كان ثمة طريق رفيع، وطويل يمتد ماراً وسط بستان الخضرة، أنا ومجموعة من أطفال المحلة كنا منهمكين في صنع ما يشبه حمامات صغيرة بالرمل، والطين.. كل واحد منا كان قد أعد - من جانبه - وعلى نسق واحد - بناء حمام صغير له على قارعة الطريق. على حين غرة انطلقت صرخة من أحد الأطفال، وصاح قائلاً: هيا بنا أيها الأطفال.. أسرعوا!!.. لقد داهمتنا عيون المارد،

تلك المهرة التي يمتطي صهوتها ذلك الفارس الشاب، البطل الذي يرد ذكره في سياق الملحمة التي ترويها لنا.. إذ كان معظم أولئك الأبطال الشبان يتصدون لعيون المردة، ويقاوتونها بمنتهى الجرأة والأقدام ودونما خوف أو وجل.. حتى تندحر فتنهار من أمامهم، ومن ثم يخلصون الناس من بطش، وآثام وشروخ تلك العيون التي تنقطر سما زعافاً.. وحيث في نهاية المطاف تقرر عيناً البطل الشاب بلقيا حبيبته الفاتنة الجميلة. ثم أن الجدة (ههمين) كانت هي الأخرى تضع النهاية لقصتها فتختتمها بقولها:- (أما أنا - يا صغاري الأعزاء فقد عدت من رحلتي صفر اليدين وبخفين ممزقين). غير أننا - نحن الأطفال - فقد كنا نحصل على الكثير الكثير!!.. فيأخذنا العجب وتستبد بنا الدهشة، والذهول من غرابة تلك الكوارث والأحداث الجسام فنثنى - من الأعماق - على الجدة (ههمين) ثناءً لا حد له. حينما ودعت الجدة (ههمين) هذه الدنيا للمرة الأخيرة، كان رحيلها - بالنسبة إلينا وإلى باقي المستمعين المغرمين بحكاياتها الطريفة - صدمة عنيفة.. فوضت أركاننا فانتابتنا أحاسيس ومشاعر ملؤها الحزن والأسى..

حصان عيون المارد، ومقلوبة رأساً على عقب.. وفي نهاية الأمر عدنا جميعاً من حيث أتينا، بقلوب تكاد تتفطر من الأسى والحسرة.. وفي طريق عودتنا سمعنا (گولچين) زوجة (الحاج مجيد)، وهي تروي ما حدث لنساء المحلة بصوت خافت يتخلله الخوف.. كانت تقول:

(ويل لكن، أيتها الخائبات!!.. ما أن دخلت عيون المارد بيتنا حتى هرع الحاج، فذبح لها ديكاً.. غير أنها بالرغم من كل ذلك، فقد كانت تستشيط غضباً من الحاج قائلة: يا عديمي الأصول، لماذا تذبجون لي ديكاً؟!.. ألا تعلمون بأنني أشتهي لحم الدجاج؟!.. متى تتعلمون الأصول..؟). أيها السادة المحترمون: ها أنا ذا أنزوي الآن في ركن قصي خوفاً من عيون المارد.. ولو أنني الآن كبير السن فإن ذلك الخوف أيضاً قد نما وترعرع معي.. إن كل ما خطه قلم أو دون وألف من كتب حول عيون المردة، إذا ما وقعت تحت يدي فأنني أسارع رأساً إلى مطالعتها بشغف وحماس شديدين.. سواءاً أكان الكاتب آسيوياً، أو أفريقياً، أم من أمريكا اللاتينية.. الآن، أنتم مندهشون.. يأخذكم العجب من فزعي هذا!!.. فتتساءلون: في أيما مكان يمكن أن يكون مختبئاً يا ترى؟!.. وهل تراه قد حشر نفسه داخل صندوق

حديدي مقفل؟!.. وأنا بدوري عند الإجابة أقول لكم: كلا.. وإنما أنا قابع الآن في إحدى القرى المنسية المبتورة، القابعة بين أركان أربعة جبال شاهقات عنيدة!!.. وهذا بدوره يحمل في طياته معنى الجبن أيضاً!!.. وإلا فلماذا لا أغدو واحداً من أولئك الشبان الذين، يأتي ذكرهم في حكايات الجدة (هه مين)، أتصدى لعيون المارد وأنزلها؟!.. أو لماذا لا أستحيل زوبعة، لأملأ عيون المارد بالأغبرة، والرمال والأشواك...؟.

أن كابوس سل الأفاصيص، والحكايات الخيالية، والملاحم، يأخذ بخناق على الدوام ويمعن في مضايقتي ولا يدع لي فرصة للخلاص منه.. وهو يطاردني دوماً. وكما كان ديدني في طفولتي فأنني لما أزل متمسكاً بتلك المسألة، حيث أسأل باستمرار من أولئك الشيوخ الطاعنين في السن، والعجائز المسنات الذين يشكل كل واحد منهم بحد ذاته خزانة تحتفظ بعشرات الحكايات في أكياس ذاكرتها!!.. أن انزوائي هذا قد أفادني من جهة حيث أنني دونت، وسجلت كثيراً من القصص السائرة على الشفاه.. كان (أحمد ذو الرأس المدبب، والابن الأصغر لـ) (محمد علي الأعرج) مخبراً لي.. يطلعني على الأخبار، أول بأول.. لا أدري بماذا

أدعو له!!.. أدعو له بطول العمر، أم أدعو عليه!!.. لأنه خدعني، واحتال علي عدة مرات.. في ذلك اليوم أوهمني، فصور لي حماراً مع ما يحمله في هيئة عيون المارد!!.. وفي يوم آخر أوهمني في سرب من الطيور الوديدة أيضاً!!.. فمثله لي عيوناً للمارد.. وهكذا!!.. حتى جعلني بحيث صار جحر الفئران عندي وكأنه سوق القيصرية!!.. ها هو ذا الظلام مخيم، ونحن جالسون على الدكة التي تتوسط حوش بيت صاحبي الذي أنزل عنده.. الرجل صاحب البيت مشغول - طول الوقت - مع العم (قورباني)، بالحديث عن المواشي والحيوانات.. أما أنا فمتمشغل بعالي الخاص.. أترقب الأخبار وأستطلع كل شاردة وواردة عن عيون المارد دونما أية فائدة تذكر.

بعد فترة من النباح المتواصل من كلاب القرية، إذا بأحد أبناء (لاله هه ياس) يندفع هو وبنديته داخل الدار!! وكما هو متبع لديهم فقد طلب مني أن أربط فم الذئب عن عجلهم الهائم - الذي تأخر في ذلك المساء عن القطيع - لكي لا تفرسه الذئاب.. ناولني مطواة ذات فم مفتوح.. في حقيقة الأمر، أذعنت أنا أيضاً لطلبه، فطويت النصل على المقبض مضطراً.. ثم تمت على مضض بناءً على

رغبته ببضع كلمات غير مفهومة. بعدها شكرني كثيراً وغادر البيت.. لم يمر سوى فترة وجيزة من الوقت حتى فاجأنا (أحمد) ذو الرأس المدبب، فدخل باحة الدار على وجه السرعة فصاح بي قائلاً:-

- يا هذا!!! لماذا أنت غافل هكذا عما يجري حواليك؟!.. ألا تعلم بأن عيون المردة تطوف حول القرية من جهاتها الأربع؟!.

داهمتني وخزة ألم ممض، فسرت في تجاويف قلبي رأساً، وأنهد على أثرها كياني، وارتعدت فرائصي!!.. احتذيت على عجل حذائي، فاندفعت صوب باب الحوش. حال خروجي من الباب، شاهدت القرية، وهي محاصرة من أطرافها الأربعة بعيون المردة!!.. كانت العيون تجوس محدقة بقوة، مرسله وميضها إلى كل الجهات!!.. وضعت يدي على ركبتي وقلت في نفسي: هذا هو اليوم الذي كنت أخاف منه!!.. غير أنني - مع هذا - تماسكت، فحثت خطاي متوجهاً صوب نهاية البيوت. أخذت الأعين تزداد اقتراباً من القرية بمرور الوقت.. خيل إلي وكأنها تقبل

باتجاهي.. تناهى إلى سمعي صوت هرج ومرج صادر عن ازدحام.. وإذ دنوت من مصدر الجلبة والضوضاء تعثرت قدماي بصخرة فسقطت منكباً على وجهي.. غير أنهم سرعان ما لحقوا بي فأنهضوني ثانية..

سمعت صوت العم (محمد أمين)، وهو يقول لي من خلال العتمة:-

- لماذا أنت مرتبك إلى هذه الدرجة! ولم تتخبط في مشيتك هكذا!!!؟.. بصوت متهدج ممتلئ فزعاً أجبت:

- عيون المردة.. عيون المردة.. ها هي ذي تحاصر القرية!!.. راح الجميع في فهقة داوية.. حيث أدركوا مبلغ الرعب الذي يساورني ويستبد بي.. ثم أخذ العم (محمد أمين) يخفف عني ويهدئ من روعي بقوله:-

- لا.. لا.. ليس الأمر كما تتوهم.. أنك على خطأ.. أنها ليست عيون المارد.. بل هم أبناء (لاله ههياس) الذين يفتشون عن عجلهم الذي أنفرد عن قطيع الأبقار، وهم يحملون المصابيح بأيديهم. حال سماعي هذا الكلام

أطمأنت نفسي وعادوني هدوئي ثانية، ثم ما لبثت أن استعدت قواي بعد ذلك أيضاً...

عدت أدراجي إلى ذلك البيت الذي كنت أقيم فيه في تلك الليلة الحالكة الظلام، وأنا خجل من نفسي غاية الخجل.. لكن الأغرب من كل ذلك هو أن صوتاً هادراً استفزني فجأة وأنا سائر في طريقي.. خيل إلي في البداية أنه صوت قنبلة انفجرت تحت قدمي.. وإذ عدت إلى وعيي، علمت أنه كان صادراً عن كلب لبيت الحاج (ناصر).. وأنني خلال تخبطي في الظلمة لم أنتبه فوطئته بقدمي، وهو يتعقني بنباحه.. تحاشيته فابتعدت عنه قدر المستطاع.. وهو أيضاً تركني بدوره فوراً.. في حين لو كان الوقت نهاراً لما كان يتركني وشأني بتلك السهولة واليسر.

أيها السادة المحترمون - أنكم كيفما تفسرون الأمر وتؤولونه، فهذا أمر متروك لكم أنتم.. أما أنا فأفسره من جانبي على أنه ربما علم بمقدار ما أعانيه من الرعب والفرع، لذلك تركني وشأني بتلك السهولة، وأنه ربما قد ضحك كثيراً فيما بعد من جبني هذا!!!.

شمعة من أجل المسرح.. شمعة من أجل الحياة

يوقدها: محي الدين زهنكه

حتى لتبدو كأن قد اصابها عقم
مزمن لاشفاء منه..

كانت تلك ثمرات امكانياتنا
وقدراتنا. وامكانيات اصدقائنا
الاحبة الذين آزرنا، وقدراتهم.
التي قدموها لنا هدايا او بالاحرى
(عيدية) بمناسبة «عيدنا المسرحي»
ومع هذا فقد كانت الحصيلة، لا
بأس بها، ومقبولة الى حد ما، اذ
اينعت مايقارب الستين صفحة من
السطور المضيئة. واضعاف اضعافها
من الكلمات المشعات التي انارت الملف
والمجلة معا.. وجعلتهما جديرين
بالقراءة. ولكن، واسفاه، لاقرأ. على
الرغم مما فيهما من العديد من
الوان الابداع، التي تنوعت وطرزت
الصفحات من مقالة الى دراسة، الى
نص درامي وحوار فني ومناقشة
ووثيقة. اضافة الى الكثير من الآراء
والافكار ووجهات النظر، المبتوثة هنا
وهناك، بين السطور والعبارات..
واننا بهذه المناسبة، نهيب

يتسلل من بين انامله ويهرب بعيدا
بعيدا.. ليظل الباحث عنه بعد
ذلك.. يكد ويتعب ويشقى لاهثا من
أجل الدنو منه، بتقليص المسافة
بينه وبينه، في شقاء دائم وبحث
مضن وجهد دائم ولهات متواصل..
وفلق متزايد باضطراد.. ولكن وفي
الوقت نفسه في لذة عارمة، فائقة،
ما من لذة تضاهيها، الا لذة العاشق
المراهق الولهان الذي يطارد الجنية
اللعينة الحبيبة التي زارته ذات ليلة
باردة، وقضى معها، في احضانه او
احضانها، هنيهات، قصيرات لاتعدو
طرفة عين، بينما تبدو له سنوات
طويلات من العمر، في حلم.. مترتع
بالدفء والمتعة واللذة والشبق. او
تسللت اليه في ظهيرة صيف فائض
كنسمة من نسيمات الفردوس..

ما العمل؟

العين، كما يقال، بصيرة،
والصفحات كثيرة ولكن الافلام
قليلة، او شحيحة، جفت ينابيعها..

في عام ٢٠٠٨ تمكنا وفريق العمل
في «سردم العربي» بقدر ما من
الجهد وبكثير من الجد والاصرار،
من انجاز ملف خاص عن المسرح
-العدد ٢٠- احتفاء «بيوم المسرح
العالمي» واسهاما في أحياء هذا اليوم
في كردستان، وفي سائر بقاع العالم
المأهولة بالمتحضرة.. كارث اممي
تتناقله الاجيال والامم.. منذ اكثر
من نصف قرن..

بيد أنني هنا، لابد ان اعترف
واقرب بأن الملف ذاك لم يكن في
مستوى الطموح! ولا حتى قريبا
جدا منه.. ناهيك عن بلوغه او
حتى الاقتراب منه بالقدر الذي
ينبغي! ان الطموح.. هذا (الشيء)
القريب جدا، كما يبدو وفي متناول
اليد بسهولة ويسر.. والبعيد جدا
جدا، على صعيد التحقق والرضا،
كائن غريب، اذ كلما بدا لأحدنا انه
قد قبض عليه بكلتا يديه وبانامله
العشر، يجده تزأبق وفر.. وشرع

بأحبة سردم من خالقي الابداع
وصانعي الثقافة، عامة. في
کردستان وخارجها، ان يزينوا
مجلتهم ويزرعوا ارضها الخصبة
بشتلات ابداعهم، على الصعد
كافة، ولاسيما ما يتعلق بالمسرح
الكردي، في شتى فراديسه وحقوقه،
من نصوص درامية ودراسات فنية
وتأريخية وحوارات و.. و.. و..
في العدد (٢٨) وفي هذه المناسبة
نفسها ولأجلها اعني (٢٧) اذار
-لم نستطع- اقولها ببالغ الاسى
والاسف غير المجديين- ان نهيء
توأماً للملف السابق، حتى في
مستواه المتواضع، بسبب الكسل
والرخاوة واشياء اخرى اقل شأنًا،
ولكننا على الرغم من ذلك لم نشأ
ان ندع هذا اليوم الفريد في العام،
ان يمر في الخفاء، في الظلام بلا
شموع نصنعها من الكلمة والحرف
والحركة والضوء.. نفتح نافذة
للنور والشمس في الظلام الغامر
الذي يكاد يلف الاشياء كلها بعباءته
الثقيلة.. و «ان تشعل شمعة-يقول
المثل الصيني- خير الف مرة من
ان تلعن الظلام» وها نحن نشعل
شمعتنا.. وننير هذا اليوم.. امام
قرائنا واحبتنا من عشاق المسرح
والفن والانسان ونشاركهم الافراح
والبهجة التي لن تنطفئ.. مادام
ثمّة جهد.. مادام ثمّة عشق..
وادعوهم الى احتفال بسيط، نقرأ

خلاله معا. كتابا هاما عن المسرح
وجمالياته وفنونه وعلومه.. املا
ان يشاركوني المتعة التي احتوتني
والفائدة الكبيرة التي جنيتها.
او بالاحرى ان اعيد معهم
ولهم قراءتي له.. مرة اخرى.
بصوت عال.. وفي حلقة دراسية
-ان صح التعبير- او في «بروفة»
عامة.. وان استرسل معهم ومع
نفسي في مضغ المرارة والغضب
والهموم والاحزان التي تغزوني،
على الرغم مني.. رثاء.. و اشفاقا
على حال المسرح» عندنا.. سواء في
العراق او في كردستان. وان كانت
الحالة هنا اعني في كردستان كما
تبدو لي -على ضوء متابعتي-
اكثر ثراء.. مما هناك لاسباب
ذاتية وموضوعية، ليس الدخول
في تفاصيلها من مهام هذه الكلمة
المقتضبة، املا ان تكون لي عودة
الى ذلك في وقت اخر..

★ ★ ★

لا اظنني اعلن عن اكتشاف
مجهول.. ولا افاجئ احدا، حين
اقول.. بان عروضنا المسرحية
لا ترتقي الى المستوى المأمول..
لاسباب عديدة لعل اهمها
واوضحها.. افتقارها الى الحرفية
المسرحية الفنية واصولها التقنية
والجمالية، وابتعادها، بهذا القدر او
ذاك عن «القانون العلمي للمسرح»
ومناخاته واجوائه النابعة منه

والمحققة لوجوده عبر الالتزام
الذاتي المبدع، المتأتي بدوره من
الادراك الواعي.. والاستيعاب التام
والتمثل الطوعي، لا القسري..
لمتطلباته وشروطه..

ولكي اكون دقيقا في اطلاق
هذا الحكم العام وموضوعيا،
يتوجب علي ان اقول: ان تلك
الفكرة هي المحصلة الحالية
التي تكونت عندي شخصا من
خلال مشاهداتي لعظم العروض
المسرحية ومتابعاتي لاكثر ماينشر
عن بعضها الاخر طيلة سنوات من
العشق والهيام بهذا الهم اللذيذ..
المسرح وقضاياها الفنية والفكرية
والجمالية والاجتماعية.

بالطبع لا انفي وجود
استثناءات قليلة لا تتجاوز اصابع
اليد الواحدة، الامر الذي يوجب
علينا ان نتوقف طويلا ونتأمل
عميقا مجمل حياتنا الفنية
والثقافية لعلنا نعرف اين يكمن
الخلل ونقف على اسباب التخلف.

هل يكمن ذلك في الجهل بالقوانين
الاسياسية للابداع الفني بشكل عام
والابداع المسرحي بشكل خاص؟

يخيل الى ان فهما غير سليم قد
ترسب في اذهان العديد من الكتاب
والفنانين.. بصورة عامة واذهان
العاملين في المسرح عندنا بصورة
خاصة.. لمقولة «برناردشو» الذي
سأل ذات مرة عن افضل القواعد

اي «القاعدة الذهنية» للابداع في شتى حقول الفن وفراديسه، فأجاب بسخريته المعهودة «القاعدة الذهبية هي لاقاعدة ذهبية».

بعضهم رأى في هذا القول ان الفيلسوف الساخر يرمي الى ضرب القواعد كلها.. عرض الحائط والانطلاق من الصفر.. من اللاقواعد. وما الى ذلك قصد الرجل. وهذا الفهم الخاطئ لم تقتصر اثاره السيئة على المسرح وفنانيه حسب بل تجاوزتهم الى العديد من زملاء الحرف والكلمة في مجالات ابداعية كثيرة.. حتى بتنا كقراء او مشاهدين، معرضين وربما بشكل يومي للصفع من قبل خواطر سائبة فضفاضة وكلمات لارابط يربطها ببعضها عدا الاخطاء الاملائية والاسلوبية والنحوية.. تحت اسماء او عنوانات براقة شتى.. شعر.. قصة.. رواية.. الخ.. او نجد انفسنا امام عروض بهلوانية تهريجية او استكشاث حركية.. تحت اسم الدراما.. وهي لاتمت اليها من قريب او بعيد.. وقل الشيء نفسه عن المعارض التشكيلية والرسوم والمنحوتات.. و.. و..

قد يكون بعض هذه الاعمال غير خالية من النوايا الطيبة والرؤى الجمالية.. بل قد تكون ممتلئة بهما حد التورم.. ولكنها تبقى على الرغم من ذلك.. بل

ربما بسبب ذلك ابعد ماتكون عن الانتماء الى الاسماء والعنوانات التي يفرضها عليها اصحابها.. قسرا او جهلا او حبا عشوائيا..

من المعروف جيدا ان لكل مجال من مجالات النشاط الانساني -الابداعي وسواءه- قانونه الخاص، النابع منه، والمناخ اياه هويته واسمه وعنوانه والصائن له والسائر به نحو الاحسن والاجمل.. ابتداء من ابسط الانشطة الانسانية واكثرها مألوفية وتداول.. الى اشدها تعقيدا وصعوبة وندرة..

هذا هو التكلم، اعني النطق بالكلمات، وهذا قانونه.. وهذا هو المشي وتلك عدته.. وقل الشيء نفسه عن الركض والجلوس والاكل و و و وحتى التحليق في الفضاء وامتطاء مركباته والتنزه فوق سطح القمر.. وكذلك الامر في الانشاء المدرسي العادي.. والنشيد اليومي للاطفال و و و.. حتى الكتابة الخارقة.. والشعر الصادم والسمفونية.. العبقريّة و و و..

ان الحرية التي يقرها السيد شو، كمبدع.. ومفكر.. وداعية كبير لها ويقرها معه، قبله وبعده والى الابد ومنذ الازل، سائر الخلق، لكل مبدع.. في شتى مجالات الابداع والحياة، لاتعني الفوضى.. لاتعني، حسب فهمي، على الاطلاق، حرية الجهل والتنكر.. للقواعد والاصول،

سواء المتعارف عليها عبر القرون العديدة من الابداع الانساني، ام النابعة من الشروط الذاتية والموضوعية المتجددة عبر الازمنة كلها، ولا تعني في الاحوال كلها احالة اللاقاعدة الى قاعدة او جعل الفوضى والاضطراب نهجا ومسلكا.. وهدفا، وعدّ اللاقانون قانونا؟ اشد ضيقا ودموية من سرير بروكروستيس، سيء السمعة.. (لقد فصلت هذا الامر، بعض الشيء، في مقالة سابقة لي انظر سردم العدد ٢٤ ولا اريد هنا.. تكرار ماقلت).

بكل تأكيد لايشفع للمخرج المسرحي، الذي سيحظى بالقدر الاكبر من اهتمامنا في هذه المقالة، سائر اجراءاته الشكلية التي يضيفها على عرضه المسرحي.. اذا لم تكن نابعة من مضمون المسرحية نفسها.. وموظفة لاجلها.. واذا لم يكن مطلعا بعمق على اصول الفن الدرامي وقوانينه والصيغ المتطورة والمستحدثة لهذه الاصول والقوانين منذ اسخيليوس وسوفوكليس حتى بيكيت واداموف، مرورا بكل من ساهم في هذا التجديد والتطوير.. سواء اولئك الذين ساروا على وفق ارسطو ونهجه.. او الذين جددوا وضافوا وخالفوا ارسطو عن علم ودراسة ودراية.. وليس عن طيش او هوس بالخلاف حسب، على طريقة خالف.. لعلك تعرف..

وهذا الكتاب (التكامل الفمي في العرض المسرحي). تأليف: بوبوف. ترجمة: شريف شاكشتي. ٣١٤ صفحة) الذي اود ان اعيد قراءته مجددا مع القراء عامة. ومع زملائي من العاملين في المسرح، من شأنه ان يقدم هذه المعرفة الضرورية جدا. بالقانون العلمي الاساس للمسرح. اضافة الى المناحي الجمالية العديدة.

والمؤلف واحد من رجال المسرح الجادين، المكتوبين بعذابات طوال نصف قرن اخراجا وتمثيلا وكتابة وتنظيرا.. اكتسب معرفة عملية رصينة من خلال المعاناة الفعلية وتجارب الفشل والنجاح.. من خيرة عمالقة المسرح الحديث.. ستانسلافسكي، دانسكو، ميرخولد، فاختانوف. مرجانوف و و و مع نصوص عباقرة الادب الدرامي العالمي.. شكسبير.. سترندبرج. تشيخوف.. مولير.. ايسن.. الخ.. وهو احد العمالقة الذين وطدوا.. اسس المسرح الحديث واثروا طرائق التعبير فيه بوسائل جديدة مبتكرة زادت ثراء وخصوبة.. منطلقا من مضمون ثوري جدلي للواقع والواقعية.. يعده الانعكاس الصادق للحياة عبر الصور والمشاهد الفنية بشكل يبلور عمليات التطور التاريخي الاكثر عمقا وجوهرية وقدرة على تصويره في تطوره الثوري.

الانسان هو البؤرة التي تتجمع عندها حزم اضواء سائر العاملين في المسرح، وهو ايضا الموشور الذي يشع على جمهور المشاهدين ومن خلالهم الى التاريخ المستقبلي للفكر والثقافة والحضارة والضمير الانساني فلا وجود للعبقري بعيدا عن حب الانسان».

والانسان هنا ليس هو المؤلف وحده، على الرغم من الاهمية الفائقة لخالق النص الدرامي، ولا هو المخرج فقط او الممثل حسب وانما المقصود كل العاملين في المتعة المسرحية من مهندس الديكور، والانارة، والازياء، والسينوغرافيا و و و و حتى فريق المشاهدين. في وحدة هارمونية متماسكة. اذا اختل اي عنصر.. او نغمة فيها.. اختل العرض المسرحي كله. الذي ينبغي ان يكون من التداخل والترابط، فكريا وحركيا، بحيث لا يستطيع المشاهد.. بعد انتهائه ان يفكر او يتعلق بالنص وحده، او بالاخراج او بالتمثيل او بالسينوغرافيا او.. او.. فقط.

ولكي ينهض المسرح بهذه المهام النبيلة ويحقق المتعة والفائدة، في اجلى صدورهما، لابد ان يتألق كل عنصر فيه منفردا.. وتتالق العناصر كلها معا للوصول الى الهدف المنشود والانطلاق بالانسان نحو معرفة اشمل واعمق بنفسه وبالحياة

وبالمجتمع وبالعالم.. من حوله. فالمخرج اذ يتسلم النص من المؤلف، يكون هو الساحر الخفي والمفكر على المسرح القابض على خيوط ماكنة المسرح المعقدة. والموجه لارادة الخلاقة للفريق كله وعليه يتوقف بالدرجة الاساس، نجاح العرض او فشله، ومهمته دقيقة جدا وحساسة الى ابعد مدى، فاذا ماترك ممثلا ما ان يتحرك على هواه، فانه يسعى لكي يغطي، مايسطيع، على الممثلين الآخرين. واذا أراد ان يمارس الديكتاتورية فانه لن يأتي بنتائج افضل. واذا كانت مهمته اطلاق المبادرة الحرة عند جميع الفنانين فانه لابد له من تحقيق فهم موحد مع الكل. وهذا الفهم الموحد المشترك لا يتم ولا ينشأ الا عبر النقاش والحوار وفي توافق مقبول في الشاعر والافكار وتوحيد الجهود والاجتهادات للفريق كله. من غير اغفال الطاقة الشخصية والموهبة الفردية لكل عامل. ولابد من اطلاق النيرة الخاصة لكل ممثل ولكن عبر الانسجام الضروري بين سائر عناصر العرض.. ومن غير التنافس او الصراع من اجل ابراز.. العضلات على حساب الآخرين. لانه حينذاك يكون قد اخلّ بالعرض المسرحي كله.. وباللوحة الفنية التشكيلية والموسيقية واللونية..

والغى كونه جسدا حيا متناسقا. أصبح للمخرج -يقول ستانسلافسكي- دور أكثر تعقيدا، إذ عليه ان يبني عمله الفني او بالاحرى كاتدرائيته الكاملة.. بحيث يثر لدى المشاهد الافكار الملحة الانية والمستقبلية.. ويحدد دانشكو للمخرج، من بين وجوهه الفنية والقيادية العديدة.. ثلاثة وجوه:

١-المخرج المفسر إذ يفسر للممثل وسائر العاملين كيفية اداء اعمالهم.. او ادوارهم ولاسيما الممثل، ولهذا يمكن ان نسميه المخرج/ الممثل. او المخرج/ المربي..

٢-المخرج- المرأة العاكسة لسمات الممثل الشخصية.

٣-المخرج- منظم العرض المسرحي ككل- قائد الاوركسترا.. في سيمفونية العرض المسرحي.

واذا كان الوجهان الاول والثاني مخفيين عن المشاهد، فان الوجه الثالث يكشف عن نفسه امام الجمهور بوضوح، خلال الميزانسين (التشكيل الحركي) والديكور والمؤثرات الصوتية والاضاءة والمشاهد الجماعية و.. و.. (السينوغرافيا) بيد ان الوجهين الاولين لا يظلان مخفيين الى الابد، فمع بدء العرض وسيادة الممثل على خشبة.. يظهر كلا الوجهين في الممثل، اقصد في ابداع الممثل ومهارته في الاداء. فعلى

المخرج ان يكون، او بالاحرى ان يحيا بشكل غير مرئي في الممثل ويلهب خياله الابداعي ويدفعه الى ان يعثر على نفسه وان يعبر عنها على وفق ما يقتضي دوره.

وعلى الرغم من اهمية الممثل في العرض المسرحي، باعتباره الواجهة المباشرة مع الجمهور، فانه لا ينبغي اهمال العناصر الاخرى من قبل المخرج وانما يتوجب عليه ان يعمل على خلق الهارموني المتكامل بين سائر مفردات لغة العرض.. ولكي يصل الى هدفه المنشود ويحققه بالشكل الفني المطلوب، لا بد له بالاضافة الى استغراقه في تنظيم المشهد المسرحي بشكل متناسق جميل ان يضع امام عينيه واهتمامه البالغ هدفا عاما ينشد بلوغه ويحشد وينظم كل المتطلبات الاخرى على وفق خطة مدروسة.. ولكن مطاطة ومرنة للغاية، قابلة للتغيير والاضافة تقوده بسهولة ويسر ودون عناء وبسلاسة وشفافية الى هدفه ذاك.. واذا كان مضطرا الى يجرىء المسرحية الى لوحات اثناء (البروفات) فان هذه اللوحات يجب ان تحظى بقسط متساو من الاهتمام بالترايط والتداخل مع بعضها. وذلك لا يتحقق الا باستنباط العلاقة المركزية بينها، بصورة جدلية، تؤثر احداها.. على الاخرى، وفي الوقت نفسه تتأثر بها،

بهذا القدر او ذاك.. ذلك لان الوقائع والاحداث مهما تعددت وتنوعت فهي غير منفصلة عن بعضها.. وذلك امر لايتأتى له الا بفهم قوانين التطور، وصولا الى اشكال وصيغ جديدة.. تمنح مسرحيته (وهي مسرحية الجميع، وليست مسرحيته وحده) الجمال والقدرة على النفاذ الى عقل المشاهد وقلبه.. ومن ثم القدرة على احداث التغيير في المجتمع والناس، منيع ومصب كل عمل فني عظيم. واخيرا.. اذا كنت في استعراضي السريع، ولكن غير المخل على ما آمل، لهذا الكتاب الهام، قد اقتصر على مايقول مؤلفه بصدد المخرج والممثل مع شذرات قليلة عن الفاصل الأخرى للجسد المسرحي المتكامل وعناصر خلقه.. فلأن الالام بكل ذلك غير متيسر في هذه العجالة. ولانني لم ارم الى تلخيص الكتاب بشكل يغني القارئ المهتم بالمسرح عن الرجوع اليه.. بل على الضد تماما.. فقد حرصت على تحفيز القارئ الى دراسة الكتاب والاستفادة منه في الحدود التي يقتنع بها. وفي الختام لا املك الا ان اردد مع المؤلف «ان الشعب ينتظر منا عروضاً عظيمة الاهمية.. لا يمكن التصدي لها- ولا ابتكارها وخلقها- الا من خلال التسلح بحرفية مسرحية اكثر علمية واكثر كمالا وجمالا ايضا بكل تأكيد..»

أوراقي!!!

الى «ههلهبجه، جبرنيكا العصر»

جسدي الذي مزقته القنابل و السموم ..
و الى كل بقعة أحترق ، و تحترق ، بانفاس الديناصورات المعاصرة التي لما تنقرض ...

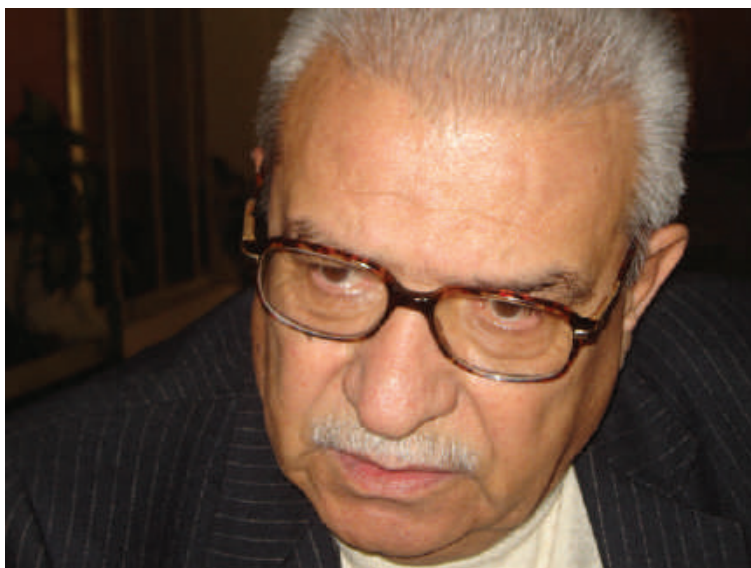
قصرحبة: محي الدين زهنكهنه

عشر الراعي "مام ويس" وهو شيخ طاعن في السن. ولكنه لايزال يحتفظ بقدر غير قليل من الحيوية والنشاط، على فوهة حفرة مطمورة الا بضعة أصابع، حينما كان يرعى أغنام اهل قريته والقرى المجاورة، على سفح جبل "ماوت" الذي شرعت الخضرة الباهتة، على الرغم من كل شيء، تطل برأسها مع مقدم شهر آذار، في بضع بقع متفرقة متباعدة، هنا وهناك، بعد طول يبس وجفاف ومحن، اذ كانت الحرب الحارقة الطويلة قد أحالته ضمن ما أحالت من أراضي كردستان الخضراء ومراعيها اليافعة وينابيع مياهها المتدفقة الى أرض قاحلة محروقة، لاعين ماء ولا عشبة خضراء. في أية بقعة طالتها المواد السامة. أيكون حيوان ما قد حفرها بحثا عما يقتات، تساءل مام ويس، واذ لم يوافه الحظ .. تركها وراح ينشد أمكنة أخرى قد يكون حظه فيها أفضل؟

غرز فيها عصاه فوجد أتربتها رخوة هشة، ولكن رائحة ما أنبثقت من بين طياتها. ربما يكون الحيوان هو الآخر. قد أدركها بحكم غريزته ونفر منها ولم يرهق نفسه كثيرا!!

أثار الامر فضوله وبدأ يحركها بطرف عصاه، فأستجاب له التراب بسهولة ويسر، مما دفعه أن يواصل الحفر ويحمل الاتربة والحصى بيديه ويفرشها على اطراف الحفرة التي كانت تتوضح كلما يتوغل هو وعصاه أكثر، ببطء يتناسب وسنوات عمره التي قاربت الثمانين..عاما.. أو تجاوزت ذلك، أو ماتزال دونه. ما أدراه على أية حال، فلا أحد في قريته يحفل بمثل هذه الامور.. هي أيام أو سنوات.. أو عقود.. تمضي.. بلا حساب ولا اهتمام.

كلما حفر أعمق صارت الحفرة تستجيب له أسرع وعمقها يزداد أكثر، حتى لم يعد بوسعه المكوث في مكانه على الحافة طاويا جذعه



وعندما غاصت أنامله في الاتربة

بسهولة أكبر، ترك عصاه جانباً
وأخذ يحفر بكلتا يديه.. ولكنه
سرعان ما توقف حين لامست
أطراف أصابعه، أو اصطدمت بشيء
صلب.. صلد.. فكر.. أهو حجر؟
صخرة؟ ماذا يكون ياربي..؟
سحب يده بسرعة وأرتد
إلى الوراء خائفاً، أنتابه هاجس
مفاجيء.. أنه.. أنه.. رررأس..و..
قد يكون رأس أنسان. أنسان؟
وأرتعد.. وأخذ يرتجف.. ولكي
يتأكد من هاجسه..أو..أو يقضي
عليه ويلاشيه.. لم يجد بداً من
أن يلمس الشيء مرة أخرى..فمد
نحوه.. يداً مرتعشة..لا..لا شعر
يكسوه..وو.. ليس ثمة نتوءات..
ولاتعرجات..أو..أو..انه..نه..
ألمس..ألمس تماماً.. حتى أكثر
من الرأس الأصلع..أليكون لأحد..
أبناء القرية..م..م..من مقاتلي

البيشمه ركة؟
شعر بضيق شديد، وأحس
بأنه يوشك أن يختنق.. وينهار..
فتماسك بصعوبة بالغة وأخرج
رأسه من الحفرة.. وأستنشق الهواء
ملء رئتيه.. وأنتعش نوعاً ما،
ونسى ان يرسل نظراته خلف
أغنامه كما اعتاد أن يفعل كلما
أخرج رأسه من الحفرة.. سيطر
عليه هلع شديد أيكون قد دخل
مقبرة جماعية.. من المقابر التي
تطبق على رفات العشرات من
الشباب، في طول البلاد وعرضها؟
أيعني.. ذلك أن ثمة رؤوساً او او..
جماجم بشرية أخرى..؟
يتوجب عليه أن يخرج..
أن يغادرها ويسرع إلى القرية..
ويعلم كل من يرى.. ليهرع إلى
مساعدته..
وفعلاً أستاذ على جانب

ب"المفقودين" من الذين ضاعوا..
مجللين بأوهام الآباء والامهات
وآمالهم.. ودعواتهم.. أنهم عائدون
ذات يوم.. بيد أن أحدا منهم لم
يعد.. ولن يعود..
"سيامند" لم يعد... وأبنة
"شوان" الذي زرعه جنيئاً في أحشاء
زوجته قد غدا اليوم، بفضل الله
وعونه، رجلاً.. وبعد بضع سنوات..
سيصبح طبيباً..و..و..اذاً؟

عاد يحضر برفق أشد.. ويزيح
التراب بحنان أعمق.. عن الحجر..
أو.. أو الشيء الذي لمستَه أنامله
وظنه حجراً أملس.. برهبة
وقدسية.. ذكراه بالحجر الذي
لمسه ولثمه في الكعبة المشرفة..
وصلى في داخله، داعياً ومتوسلاً
أن يعيد إليه حفيده وكل الاولاد
الذين لم يعودوا حتى الان..س..
سالمين!!

أحتضنه بأنامله العشر
بخشوع وهدوء.. وراح يقلبه على
أوجهه ويمعن فيه النظر ويزيح
عنه الأتربة بفيه وأصابعه بتأن
وروية..آه.. ماهذا؟ م..ما..م..م..
ماذا أرى؟.. صعقه مارأى انه..
ذلك "الكلاو" الحديد.. الذي كان
سيامند يخفي تحته رأسه.. كلما
عاد الى الجبهة بعد أنقضاء اجازته
القصيرة! و.. ماذا كان يدعو..
ال..ال..خو..دا.. خو..لا..لا
أستغفر الله ال.. الخوذة..أجل أجل

الى المحرقة، لقد أنتزعه الكفار من
أحضان عروسه، في الاسبوع الاول
من زواجه، والقت به بين فكي
رحى الحرب الطاحنة.. ولكنهم
قالوا أن "سيامند" في الجنوب..
والجنوب هذا بعيد.. بعيد جداً..
فما الذي أتى به هنا؟ أياكون قد
فر من الجيش والتحق برفاقه
البيشمه ركة.. مثلما فعل معظم
شباب كردستان..؟
لا..لا..لا..

هز رأسه بعنف كمن يطرد
ذبابة لحوجة التصقت بنقطة
دبس على صفحة وجهه.. وهو
يصرخ بأعلى صوته ويكرر لا..
لا..لا.. يريد أن يسمع الدنيا كلها
صراخه ونفيه الجازم.. ولكن
صوته المخنوق لم يغادر شفثيه ولم
تسمعه حتى اذناه.. ومع هذا ظل
ينفي عنه هواجسه السود بأصرار
قوي مشوب بقلق وأضطراب..و..
وشك.. لقد قالوا له أنه أسير وأنه
سوف يعود ذات يوم، بعد أن تضع
الحرب أوزارها..

وأنتهت الحرب، ولكن المآسي
والفواجع التي خلفتها وخلفتها
وراءها ماتزال حية قائمة في كل
مكان لاتخلو منها بقعة واحدة..
والقتلى قد عرفوا.. والأسرى
عاد معظمهم، وهم أشبه بموتى
أخرجوا من قبورهم.. وبقي
ثمة عدد غفير ممن أسموهم

من جوانب الحفرة.. بكل ثقله
الخفيف، فأحس كأنه يمسك
بجدار..أو بقايا جدار مبني بشكل
محكم.. اذن فهو..سو.. سويير..
او..او.. موضع.. أو خندق.. وان
من كان يحتمي به ويقاقل منه،
قد قتل فيه.. وأنهالت عليه أتربة
التلول المهشمة التي تحيط به..و..
وليس فيه سواه.. وقد يكون! من
يدرِي؟ وأنى لي أن أدري..؟

سال "سيامند"، ذات مرة،
كيف تقفون في العراء تحت وابل
الرصاص. لسنا في العراء، أجابه
حفيده، أننا نحفر في الارض،
مثل حيوان الخلد، حفراً عميقة
نختبئ فيها.. يعني.. يعني..
سوبيرات؟؟ لا.. لا.. أصرّ الحفيد،
خنادق.. هناك في الجيش يسمونها
"خنادق".

اذن فهو الآن في أحد هذه
الخنادق وأن أحداً ما مدفون هنا!
وأنه.. أنه.. أقصد.. أن جثته قد
تعفنت.. وهذا هو سر هذه الرائحة
التي تقوى وتشتد كلما توغلت
أعمق.. وربما هو أحد أبناء القرية
التي كانت متسلقة سفح الجبل،
والتي لاشتتها الحرب المجنونة
ودفنتها بكل من وما فيها، من
بشر وشجر وأنسان وحيوان..و..
وقد يكون.. يكون.. يكون..

لم يجرؤ أن يقول حفيده.. الذي
دفعته الحكومة، قبل ثلاثين سنة،

الخوذة..

إذا.. فثمة جندي راقد هنا..
أو.. أو بالاحرى جثته.. وهذه
خودته التي خانته ولم تحمه من
الرصاصه التي أخترقتها، فكر، وهو
يتحسس الثقب الذي دخلت فيه
سبابته.

واصل الحفر والتنقيب بمزيد
من الهدوء والتأني والرفقة..
والحرص المتزايد في تجنب أي أذى
أو خدش.. يمكن أن يسببه.. لهذا
الراقد المسكين هنا.. الذي لابد أن
يكون أحد الهاربين من أتون الحرب
والعائدين الى كردستان للدفاع عنها
وحمايتها.. من هجمات الاعداء..و..
قد يكون.. "سيامند".. نفسه الذي
طالما حدثه.. بأنه سوف يلتحق
بكل تأكيد بالجبل.. أول ما متاح له
الفرصة.. او .. او ..يخلق الفرصة
و..و.. يهرب .

أو.. أو سواء.. مالفرق؟ فكلهم
سيامند وكلهم أولاده وأحفاده
وليكن من يكون، غريباً.. أو حتى
عدواً.. فهو أنسان.. وحرام أن يدفن
الانسان على هذا النحو المهين، تحت
الاقدام وحوافر المواشي والاوزاخ
والفضلات والقاذورات.

واذ تلمس العظام. أزاح عنها
التراب بترؤ.. فبان الهيكل العظمي،
الآدمي، مجروداً، كما توقع، من
الجلد واللحم. توقف مسح بذيل
عمامته البيضاء دمه الذي

انحدر من عينيه وأختلط بالعرق
المتصّب من جبينه، ثم راح ينفخ
بفيه. ينفذ عنه الاتربة المتجمعة
في تجاويف الهيكل وثقوبه وحفره
العديدة..

لا..لا.. أنه ليس «سيامند»..
حفيده كان بذراع واحدة.. لقد
بترؤ له ذراعه اليسرى التي
تهشمت بعد أصابته. قالوا له
انه الحل الوحيد اذا اراد أن يحيا
حفيده.. وأرغموه بعد أن تماثل
للشفاء ولما يبلغه .. أن يلتحق
ثانية بقصيله!.. اه.. هذا.. شخص
آخر الذراعان سليمتان. وها هما
كفاه وأصابعهما العشر.. وها هما
ساقاه..و..وما الذي جرى لك
ياولدي؟ لعن الله القتلة أينما كانوا
وقطع دابرهم في كل زمان ومكان
بجاه كاكه احمدي شيخ..

لح وهو يرفعه شيئاً تحته
يلمع اذ تسقط عليه أشعة الشمس
الآيلة الى الغروب، تناوله. نفذ
عنه التراب.. انه كيس مصنوع من
نايلون شفاف.. فيه أوراق مكتوبة
ظلت نظيفة وسليمة. أخفى
الكيس والاوراق في «عبه» لابد
أن فيها شيئاً.. وشيئاً هاماً ولهذا
حرص عليها الرجل هذا الحرص
الشديد.. سيعرضها على شوان
حين يعود من السليمانية حيث
يدرس في الجامعة..
كفرة! كيف يرمى الميت هكذا

.. بلا كف.. ولا..

قال ذلك.. وهو يلفه بالقماش
الذي يشده على رأسه.. ولم
يكتفي بذلك فقط، بل شرع يفك
القماش الطويل العريض الذي
يتحزم به و يلفه حوله .. واعاده
الى الحفرة حريصا ان يجعل رأسه
بأتجاه القبلة.. ثم أخذ يهيل فوقه
التراب برفق.. حتى أمتلأت الحفرة
وعلت عن مستوى الارض بعض
الشيء.. فغرز حجرا عند الرأس
وآخر عند القدمين..وبسمل..
وقرأ "الفاتحة" ثم صلى وقوفاً..
صلاة الميت على روحه.. وتوجه
نحو أغنامه بعد أن رأى الافق قد
أصبغ بلون أحمر فاتح، لايلبث
ان يتلاشى.. ويحل محله سواد
الليل.. وعليه أن يعيد المواشي الى
بيوتها.. قبل حلوله.. ويسرع الى
البيت قبل عودة شوان من الكلية..
ليهيء ماياكلانه.

التقط عصاه.. وسار نحو
الاغنام.. واضعاً كفه فوق قلبه
حيث الاوراق. لم يسر سوى بضع
خطوات، حتى ملأ اذنيه صوت
أنهيار شيء، فجمد في مكانه
وكان أول شيء بادر الى ذهنه
أن القبر الذي أقامه قد أنهار..أو..
أو.. تفلش، ولم يجرؤ أن يلتفت
فقد تلبسه رعب شديد، أنبثق من
داخله، أهتز له كل كيانه وأرتجف
حتى أن العصا قد سقطت من بين

أصابعه التي كانت تقبض عليها..
رررربي..ررررحمتك!!

ذلك كل ما أستطاع لسانه نصف
المشلول أن ينطق به بصوت أخرس
لم يغادر جدران فمه.. حانت
منه التفاتة مشوبة بالخوف وهو
ينحني لالتقاط عصاه.. فرأى القبر
على حاله، حتى أن الشاهدين
مايزالان في موضعهما.. كما زرعها
قبل قليل.

تغلب الى حد ما على مخاوفه..
وعاد الى القبر.. دار حوله.. كل
شيء كما تركه.. اذن ماذا جرى؟
ماذا كان ذلك الصوت..؟ لعله..
لعله.. توهم.. أجبل.. لابد أنه
توهم...او...او...او...

أسرع يصعد نحو أغنامه التي
كان بعضها قد أعتلى الجبل.. بيد
أن صوت الانهيار غزا مرة أخرى..
أقوى وأشد.. فأرتعب وسقط على
وجهه.. ومن فرط خوفه استمد
قوة مؤقتة فنهض بسرعة.. وأطلق
ساقيه للريح.. وحين صار على
مبعدة.. حسب أنه قد نجا.. توقف
لاهنأ، متقطع الانفاس.. فرأى هذه
المرّة بوضوح.. ويالهول مارأى..
رأى كل مخاوفه متجسدة أمام
ناظريه.. رأى بأم عينيه الهيكل
الآدمي، خارج القبر متجها نحوه..
سائرا في الهواء.. خطوات واسعة..
لاتمس قدماه الارض.. وهو يشير
اليه بكلتا يديه السليمتين.. بل..

بل.. وسمعه.. سمعه بوضوح، ملء
أذنيه.. يصيح به:

"أوراقي.. أوراقي.. أوراقي".
جوفه الخوف وفقد كل قدرة
على السيطرة على نفسه، تشابكت
رجلاه، كأنهما شدتا الى بعضهما..
أو التصقتا ببعضهما.. وصارتا كتلة
واحدة ثقيلة. لا تتحرك.. لثوان
معدودات.. أو ثانية واحدة.. ظل
يحدق به بعينين جامدتين.. من
زجاج.. لاتتحركان..لاترمشان..
لاتنغلقان.. وفي لمح البصر صار
الخوف صخرة سقطت عليه، فقدت
ساقاه القدرة على حمل هيكله
الفارغ الهزيل.. فتهالك على نفسه
وتساقط على بعضه.. وأستحال
كرة تتدحرج من علّ الى أسفل
الجبل بسرعة شديدة.. كما لو كان
حزمة عاكول وحشائش متييسة..
ركلتها عاصفة هوجاء.

لم يستطع "مام ويس" أن
يتوقف في انحداره من على سفح
الجبل.. الا بعد أن أصطدم بأحمة
كبيرة كثة من أعواد القصب الطرية
والاعشاب النابتة على حافات
"كاني سور" ولولاها لافتحم القرية
أمام أنظار الجميع.. وهو مايزال
يتدحرج مثل كرة مصنوعة من
الخرق.. تركلها قدم خرافية غير
مرئية..

أنصب واقفا على قدميه
بسرعة غريبة، متحاملا على

آلامه وأوجاعه التي لم يشعر بها
للهولة الاولى.. فقد عطل الرعب
الذي شمله.. من أن يكون.. الميت
يلاحقه احساس فيه.. واذ غامر
مرة أخرى وجازف بالالتفاف الى
الوراء.. ولم ير سوى أغنامه تنحدر
نحوه..تتبعه.. كما أعتادت أن تفعل
كلما حان وقت العودة الذي باتت
الحيوانات تعرفه غريزياً.. أطمأن
"مام ويس" .. وسرى في روحه
المرتعدة وهيكله الناحل المرتجف..
خيّط من الراحة.. واعتقاد غير
راسخ تماما" بأنه قد نجا..او..او..
ربما يكون قد نجا.. كما كان يأمل
ويدعو في سره..و..و..ولكن..ولكن؟
ماكان ماجرى؟ و..وهل جرى
ماجرى وحدث ماحدث.. فعلاً..
وحقيقة..؟ أم..أم.. قد توهم
كل ذلك..وأن.. أن مخاوفه قد
خلقته له؟.. ربما..ربما..كان الامر
كذلك.. وطاب له أن يملأ نفسه
بهذه القناعة.. بعض الوقت..

بيد أنه لم يلبث ان أنتفض
على نفسه. فأنهارت قناعاته
وماكان يشحن به نفسه من
أوهام.. وهو يكاد يزعق.. ولكني
رأيته وسمعته.. رأيته ملء عيني
وهو يشير الي..وسمعه ملء أذني
وهو يصرخ..أوراقي..أوراقي..
أوراقي..لقد..لقد.. كرر نداءه..
ثلاث مرات..لامرة.. ولامرتين..
تري ماذا في هذه الاوراق؟..

خشي أن يقول اليه.. أو الى صاحبها.. وقال "الى هناك" .. ولكن انى له أن يقترب من "هناك" والرعب مايزال يملأه و يتشعب في داخله أخطبوطاً خرافياً بملايين الاذرع .. (ل .. ل .. ليس قبل ان يراها ش ..ش.. شو .. شواااا ...)

أستحال لسانه في جوف
حلقة كتلة رصاص تابى الحركة
..و لم تلبث الحالة ان تلبسته من
قمة راسه حتى أخمص قدميه ..
و صار جسمه كله رصاصاً مكوّماً
..لا تندّ منه حركة و لا نائمة و
لا رعدة .. و أستحال في جلسته
القرفصاء صخرة تدرجت من
أعلى الجبل .. و استقرت قرب نبع
الماء .. لا ينبض فيه عرق ..و لا
ترمش له عين ..و لا يصدر منه
سوى أنين خافت يعجز عن بلوغ

شرعت الخراف تندرج و هي
تنحدر من الجبل، متسارعة تزام
بعضها بعضاً .. اذ أدركت بغريزتها
ان وقت العودة الى حظائرها قد
حان .. بيد أنها توقفت عند
«كاني سور» كما أعتادت كل مساء
، تعب الماء .. و تلتهم الاعشاب
الطرية النابتة عند الحافات

[غرفة متداعية الاركان
محروقة الجدران. شوان في جمع
من الناس. يجلسون القرفصاء على
الارض. يصغون اليه، مشدودين
بانتباه شديد، الى مايقراً. "مام

حسب مقتضى الحال]
مدينة عامرة، تسري في
مفاصلها حياة شاملة. حركة
دائبة.. ناس غادون ورائحون..
أشجار باسقة.. حدائق زاهية.
عصافير تزقزق. طيور تغرد..
الخ..الخ.. الكل في مرح وبهجة..
فجأة يطبق عليها ظلام.. يسبقه
هدير طائرة مسرعة جداً.. يصيب
الكل ذهول.

تتوقف الحركة.. يشمل
الجميع رعب وترقب. ثوان يعلو
الهدير بصخب عال. مرة أخرى..
تعبه ثلاث طائرات، تتهدى،
وهي تحلق على منخفض تكاد
تصدم الاشجار والبيوت. ترش
بكثافة مسحوقاً أبيض، سرعان
ما يتشكل على هيئة غيوم رملية،
بنية، رمادية.. تتصاعد الى الأعلى
كتلا مجسمة. يطبق على المدينة
ظلام كثيف.. ثم يخف وينفث
رويداً رويداً.. يغدو الناس في هلع
وذعر شديدين يترامون بمختلف
الاتجاهات والسبل. يصطدمون
ببعضهم.. بالجدران.. بأعمدة
الكهرباء.. بالركبات المتوقفة، بكل
ما يصادفهم.. يتساقطون على

تتساقط الجراء على بعضها)،
ما هذا يارجل؟ هل أنت مقاتل
صنديد أم حرمة مرضعة؟ (يصلي
الجراء كلها برشاشه. يعلو أنين الأم
الموجع، أشد ما يكون وجعاً) هيا..
هيا.. نبحث عن أحياء آخرين!!

الثاني: (بالم وحزن) أحياء؟..
لقد أحترق حتى الجبل..
الاول: (بهياج أشد) جبل..
حجر.. شجر.. ماء.. هواء.. كلها
أهداف. كل شيء في هذه المدينة
الخائنة هدف (يهم الثاني أن
يتكلم. يسدد نحوه رشاشته)
أخرس. تلك هي الاوامر.. لاهمسة
من مخلوق. ولانسمه من هواء. كل
شيء ينبغي ان يموت.. أن يتوارى
من الوجود هيا.. هيا (يدفعه أمامه
بعنف، يعود يسحق أشلاء الجراء
المقتولة ببسطاله الضخم)

أنين الكلبة يعلو. تخرج من
مخبأها.. تزحف بحثاً عن أولادها..
تعثر على كومة أشلاء مسحوقة..
يستحيل أنينها عويلاً ونحيباً
وبكاءً فاجعاً.. تجمعها بيديها..
تدفعها تحت أذنانها.. تظهر أتان
عمياء.. تصطدم باكوام الفحم
تراجع.. يدخل جحش صغير.
مولود لتوه.. يتحامل بصعوبة
بالغة على قوائمه القصيرة الهزيلة
يلهث متقطع الانفاس، يبحث على
غير هدى عن أمه.. انه هو الآخر

كالمجنونة. هنا وهناك.. تصطدم
بالاكوام. تسقط. تنهض. تسقط.
تركض.. تصدر أصواتاً خافتة..
الجراء تبحث، هي الاخرى،
مضطربة مرعوبة عن الأم..
تصطدم ببعضها.. تنهض.. تدور في
دائرة ضيقة.

الأم لاتتوقف عن النحيب
والبحث. تضيق خلف إحدى
الاكوام.. وهي تئن أنيناً موجعاً..
متواصلاً..

يظهر عسكريان بملابس
مرقطة. مدحجين بمختلف أنواع
الاسلحة. بندقية رشاشة. رمح.
سيف. بضع فئابل.. الخ..

الاول: (يفتش هنا وهناك،
بشراسة) أما يزال ثمة أحياء في هذه
البلدة المذبوحة.. (يطلق رشاشه في
كل مكان ويواصل البحث).

الثاني: (يرى الجراء متكومة
على بعضها. يهرع نحوها بلهفة)
الله!! جراء.. مواليد اليوم وربما
الساعة (يرفعها بحنان) آه.. انهن
عمياوات.. يا الهي. (يمسح عليهن
برقة) سأخذهن لولدي (يضعهن
في حضنه. يدخل أصبعه في حلق
جرو).. جوعان.. آه مأشده جوعه!!
ألم تطعمك أمك (يتلفت) ولكن
أين هي؟ ماذا حل بها..؟

الاول: (يهاجم على زميله
بجنون أهوج. يركله بقسوة.

بعضهم.. كذلك تغدو الطيور
والمواشي.. في فزع هائل.. الكل
يتكوم على الكل.. تصحب كل
ذلك أصوات أستغاثة وصراخ
وعويل، من كل حذب وصوب،
مختلطة ببعضها.. الاشجار وحدها
تبقى واقفة لثوان.. ثم تتهاوى
على عروشها كأن نيرانا بركانية
تلتهمها.. ثم تلفظها.. كتلا من
الفحم.. وتنفخها هواء أسود وغيوماً
داكنة واذ ينكشف الظلام بعض
الشيء.. تبدو سائر الموجودات من
بشر وحجر وطيور وشجر.. قد غدت
أكواما من الفحم.. وتفترش المدينة
جثث مقطعة الاوصال وحيوانات
نافقة وعصافير محترقة.. لقد
فرغت المدينة، التي كانت قبل
دقائق ضاجة بالناس والحركة. من
كل معلم من معالم الحياة.. تماماً.
تظهر كلبة عمياء حبلى، تلهث،
تفاجئها آلام الولادة، تتخبط على
غير هدى.. تصطدم بأحدى أكوام
الحروقات المتفحمة.. تحتمي بها..
تطلق عويلاً حاداً متواصلاً. تتلوى
تقذف جراءها، خمسة جراء صم
بكم عم. تتزاحم على التعلق
بأثداء الأم.. التي تظهر عليها
الراحة بعد العناء الشديد. تلطع
جراءها بحنان. تغسلها بلسانها.
تستكين لحالة الرضاعة. صوت
فذيقة هائل.. تتفرق الجراء عن
الأم، تتشتت. الأم تبحث عنها

أعمى.. الام تنهق. تناديه من غير جدوى.. صلية رشاش قوية تصيب الاتان. تسقط. مضرجة بدمائها.. تتخبط هنيهة في بحيرة الدم.. ثم تخمد.. الجحش يسقط هو الآخر، على مقربة من الكلبة.. تزحف الكلبة نحوه.. تضع ثديها في فم الجحش.. الجحش يرضع.. ينتشي.. تدب فيه الحياة. الكلبة تتمسح به برفق.. تلمعه بركة.. تنتشي.. هي الأخرى..

الثاني: (يدخل في هياج شديد، شاهراً رشاشته.. يطلق في الاتجاهات كلها) لقد أصبته.. بحمد الله وفضله.. أصبت هدفاً..

الاول: (يتبعه بألم وحزن) حيوان.. أنه مجرد حيوان مسكين (يقف عند بركة الدم)

الثاني: (في هيجانه) حيوان.. أنسان.. نبات.. جماد.. حي.. ميت.. الكل هدف (يوصل بحته في جنون) أين هو؟ ماذا حل به؟.. أخشى أنه ما يزال يتنفس. ينبغي الاجهاز عليه قبل ان يهرب ويعود الى صفوف الأعداء.. أين هو؟ أين (يطلق رصاصاته بصورة عشوائية)

الاول: (يندفع نحو الجحش، بتعاطف) آه.. يا إلهي.. ما غرّب هذا!.. كلبة ترضع جحشاً.. قادر على كل شيء قدير.. آه.. والجحش.. الجحش

الصغير.. ما أجمله.. سأخذه هدية لولدي..

الثاني: (بحدة وتهور) لن تأخذ شيئاً حياً من هذه المدينة المقتولة.. كل شيء فيها الى الفناء.. كل شيء الى الدمار.. كل شيء الى الاندثار (يصلي الكلبة والجحش برشاشته، تتدفق دماؤهما تختلط بدماء الاتان.. يملأ كفيه.. بالدم.. يعبه بشراة ونشوة.. ينهار الاول.. يهم أن يتكلم تسبقه دموعه).

الاول: (من خلال دموعه) ح.. ح.. حيو.. انه.. انه.. مجرد.. ح.. ح.. ح..

الثاني: (يركله بقوة) أخرس.. تبلغ بك الوضاعة.. أن تندب حيوانات العدو.. هل أنت محارب بطل أم حرمة ندابة.. هيا.. هيا.. نعثر على أهداف أخرى..

الاول: (منهاراً) أخرى؟ وماذا بقي في هذه المدينة البائسة التي احترقت حتى مياهها.

الثاني: أشياء وأشياء.. أهداف وأهداف.. كل حي أو ميت هدف.. متحرك أو جامد هدف.. الضحك هدف.. البكاء هدف.. هيا.. هيا.. لاتخاذل (يدفعه أمامه بوحشية.. يعود يصلي الجثث بصليات عديدة.. تتطاير اللحوم المثرومة والعظام المفتتة في كل مكان.. يلتقط بضع قطع من اللحم.. يلتهمها بلذّة عارمة.. يخرج)

[الغرفة المحروقة.. وجوم وذهول يطبقان على الكل.. يبدو أن أشبه بموتى خارج قبورهم، لاصوت، لانامة، لاحتركة، جمود تام، أحدهم يمزق الصمت.. يتبعه آخرون]

- ماهذه الاوراق؟
— أوراق؟ أهى أوراق. انها فتايل. ألغام.. سكاكين.. تجول في أحشائنا.

- (صوت هاديء) مرايا.. انها.. مرايا..

— تحطمت أعصابي. لم أعد اطيع المزيّد. أنا خارج.. خارج أنفّس هواء قبل أن أختنق؟

- (صوت مفعوج) كف يا شوان. كف عن ذر الاملاح على جروحنا الندية التي لم تندمل

- (صوت أقوى) ولن تندمل.. واصل شوان واصل. ضعنا امام أبصارنا وأنفسنا.. عراة.. عراة..

(شوان يعود الى تقليب الأوراق.. واذا يسود الصمت.. تعلو خرخشة الأوراق)

عراء. لاشيء فيه سوى مرتفع من الارض على شكل دائرة غير منتظمة. تتوسطه كتلة بحجم مناسب. فوق سطح دائري

الرجل القناني والكؤوس ثم يهجم عليه الجراد ويفترسه ويلاشيه. ثم يتطاير أسراباً.. أسراباً.. تسد الأفق. تستحيل الكتلة الى جردل تقفز منه عقارب وثعابين وزناير وفراشات ملونة وطيور الحب وبلايل مغردة. ثم تتحول الى دبابة عملاقة تطلق قذائف وصواريخ بكل الاتجاهات. أصوات مبان تتهدم.. تنهار.. تتخللها صرخات وأصوات بكاء ونحيب.. تختلط معها أنغام موسيقية صاخبة جداً. وغير متناسقة وفي نواز مقرر. مؤذ للأعصاب والذوق.. ثم تصفو وتصبح سيمفونية رفيقة (بحيرة البجع مثلاً) تظهر كائنات جميلة.. رفيقة.. شفافة. بألوان زاهية.. ترقص بجمال أخاذ وأداء رائع.. ثم تتحول فجأة الى خنازير مجللة بغائطها وقاذوراتها يسحق بعضها بعضاً بعدوانية وشراسة.. وشبق. كأنها تمارس هواية من هوايتها المحببة، أو طقساً من الطقوس البدائية.. التي يجب عليها أن تؤديها.. وتمارسها بطاعة تامة.. تتحول الكتلة الى طبل ضخمة يضرب عليه مجموعة من أكلة لحوم البشر. بعظام الارجل والاذرع المجرودة من اللحم.. يتمزق الطبل.. فتتقاتل.. المجموعة بوحشية.. يفترس بعضها بعضاً.. يأكل الكل الكل.. ثم تتحول الكتلة الى كرة

عارية ترضع طفلاً، آية من الجمال، من ثديها الوحيد.. الذي هو قذيفة هاون ضخمة نابثة من منتصف صدرها. تعصر ثديها القذيفة، بأصابع طويلة، خارجة من يد آلية، يتدفق منه، بدل الحليب، نفط أسود، داكن ثخين مثل القير المصهور.. تتقدم فأرة بوحشين، أحدهما للعسكري الاول والآخر للعسكري الثاني.. تنتزع الطفل من المرأة التي تعيط وتولول.. بصوت أشبه بقراع السيوف.. العسكريان يشقان الطفل الى شقين.. كل فم يمضغ ويفترس أحد الشقين. يسيل من الطفل دم غزير جداً.. يستحيل الى بحيرة مليئة بأسماء ملونة زاهية توشك أن تختنق.. تطل برؤوسها من البحيرة. تتحول الرؤوس الى وجوه بشرية وحيوانية، بأسنان طويلة حادة.. لاتلبث أن تتطاحن فيما بينها، بلا سبب ظاهر، تتساقط الاسنان من الأفواه. يبرز شيخ أدرد.. يلتقط أفاعي برؤوس ضخمة.. يلقيها في جوفه، الذي يشبه مغارة عميقة الغور.. بيد.. وبالاخرى يقبض على مجاميع من جراد أخضر وأسود.. ثم يطلقها على رجل أنيق جالس الى مائدة عامرة، يحتسي الخمر.. يحيط به الجراد، يشاركه الوليمة. وهو يهش ويبش.. واذا تفرغ محتويات المائدة، يقضم

متحرك. يدور حول نفسه ببطء أو بسرعة حسب المطلوب. وتدور معه بالضرورة الكتلة. التي لايمكن تحديد شكلها. يتسلط ضوء قوي عليها. ثم يبهت. يتغير الضوء، تتغير تغيرات عديدة وتتلون ألواناً عديدة مألوقة وغريبة.. تتغير معها أشكال الكتلة وتبدل.. تتخذ صوراً شتى. وهيئات مختلفة عديدة متباينة جداً. فنفذ داخل في نفسه. أشواكه رماح وسيوف وسكاكين وخناجر. ثم شجرة بلوط كثة الاوراق والاعصان كثيرة الثمار والعصافير.. فجأة تتساقط الاوراق والاعصان.. العصافير تحترق في أعشاشها.. بعضها يتطاير.. تلاحقها السنة النيران.. فتتساقط محروقة. تغدو الشجرة تنوراً مسجوراً تتصاعد منه روائح خبز محترق.. سرعان ماتستحيل الى روائح أجساد بشرية. شبح ما.. ضخمة هائل الضخامة يلطم النيران المزيد من البشر، أطفال. نساء. رجال. شباب. شيوخ الخ.. الخ.. يصبح الشبح مجموعة جردان تلتهم اللحوم المحترقة.. يتحول التنور الى قبعة عسكرية. خوذة. بيرية. كاسكيت. سدارة. ثم عمامة سوداء. ثم خضراء. بيضاء. حمراء. صفراء.. ثم جراويية.. ثم الى عقال.. شدة رأس نسائية.. جبة ملالي.. عباءة للجنسين.. امرأة

ضخمة، ترسم عليها خارطة العالم بأسره.. بالألوان الطبيعية.. تدور حول نفسها بسرعة. ثم تنقسم الى نصفين متساويين تماماً يدخلان في صراع دموي وقتال ضار فيما بينهما. يتفتت كلاهما الى أجزاء صغيرة.. تتحارب فيما بينها بضراوة ووحشية.. تفنى الاجزاء كلها.. وتتساقط أشلاء متقطعة.. تتماسك فيما بعد وتستحيل الى أجنة في أرحام.. تشبه بالونات الهواء، نفاخات الاطفال. ترتفع فوقها أعلام دول العالم كلها. سارياتها مغروزة في جماجم بشرية.. وحيوانية معاصرة، غزلان. يمامات. أسود. نمور. ومنقرضة.. ديناصورات.. ماموثات.. خراثيت.. الخ.. الخ.. مرسومة عليها (الاعلام (صور الرؤساء والحكام والملوك في سائر الدنيا.. منذ عصور ما قبل التاريخ.. حتى اليوم وما بعد اليوم.. الى جانب المجرمين والقتلة والسفلة وصور الانبياء والرسل والاولياء والحكماء والفلاسفة والفنانين والشعراء والثائرين، على

مر التاريخ، مؤطرة بزهور في غاية الجمال والرفقة.. مختلطة بالاشواك والعاقول والاحراش السامة.. تعطي كل ذلك سحائب وغمام تترأى خلالها الالهة من أقدم الازمنة.. ووسطاؤها من الأنصاب والاصنام والاوثن.. وفوق كل أولئك غمامة داكنة، متشكلة على هيئة كائن خرافي، لم ير أحد له مثيلاً قط، جانب منه يمثل وجه كيوبيد(اله الحب) يحمل سيفاً يسيل دماً.. تتساقط منه الجماجم. الجانب الآخر منه.. لخلوق في غاية البشاعة والقبح.. ومرعب الى ابعد حد.. يحمل بيده غصن زيتون.. ويلوح به بحماس..

صوت: «مضخم جدا» أوراقى.. أين أوراقى؟ (تردد الصدى) رافى.. فى..ى..ى..ى.. (يقتحم الهيكل المجلس. دون ان يعرف احد كيف دخل .. او من اين .. يصيب الجميع شلل في العقل والفكر واللسان)

الهيكل: أما تزالون قابعين هنا؟ يانفايات المزابل الموبوءة؟

يافاذورات البالوعات المجرثمة!؟ ماأنتم؟ أحياء بلا أرواح ولادماء؟ أبول عليكم جميعاً (يمد يده الى منتصفه يريد أن يبول عليهم فعلاً.. ولكن لاتنزل قطرة) فارغة.. مئنتي نشفت.. لقد رششت به، قبل هنيهة، وجه القمر المجذور القبيح الذي مايزال، على الرغم من كل شيء، يرنو الى العالم بوقاحة ولايتوارى خجلاً.. ولكن لدي مايلىق بكم.. وتستحقونه بجدارة (يبصق عليهم) تفووووو عليكم.. تفووووو (تردد الصدى بقوة وصخب من كل مكان) تفووووووووووووو.....

(يخرج مثلما دخل.. دون ان يعرف أحد كيف .. أو من أين .. يظل الجميع في جمودهم التام .. يبدون مجموعة جثث .. في مقبرة جماعية ..)

صوت خافت.. مرتجف .. مفتت:

- أ.. أ..أ..أ..كان..ب..ب..ذرا
..عين .. ا..أ..أ..م..ب..ب..ذرا
.....

مساهماتية النص التجريبي في

«قصرحية» محي الدين زنكنه «أوراقى!!!»

صباح الانباري



جمالية العنوان:

تشير العنوان (أوراقى!!!) التي اشتغل النص عليها إلى عائديتها للمتكلم بدلالة ياء التملك التي ينتقل أثرها، وفعلها منه إلى قارئ النص فيدخل في شراكة معه توحدما مع أفكار المؤلف التي تمارس دورها التوثيقي من خارج النص. كما تشير- فضلا عن وثائقيتها - إلى حدوث فعل التعجب حد التساؤل عن سببية تشكل مضاعفاً منذ البداية. فأى الأوراق يمكن أن تثير تعجبا مضاعفاً إن لم تكن على درجة قصوى من الأهمية؟

ترتبط العنوان (أوراقى!!!) بالإهداء (إلى ههلهبجه، جيرنيكا العصر) برباط التوضيح المتبادل من خلال قوة التشبيه بينها وبين المهدى إليه (ههلهبجه) وبين ههلهبجه والمشب به (الجرنيكا). ولم يغفل الكاتب

الإشارة إلى عصريتها حين الصق بالمشبه به مفردة (العصر) لتعود العصرية على ههلهبجه من خلال (الجرنيكا). وتوكيدا للتشبيه والاستعارة جاءت جملة الكاتب: «جسدي الذي مزقته القنابل والسموم» لتحصر المدينة بين قوسي (القنابل والسموم)، وهي أسلحة فتاكة ومدمرة لكل كائن متحرك على الأرض التي عفرت وجهها المساحيق أو السوائل الكيميائية.

(ههلهبجه) إذن أخذت من (الجرنيكا) رمزياتها وتماثلها لتصير بها رمزا عصريا من رموز الإرهاب والخراب والدمار والسعار والجينوسايد. ومن خلال جملة الإهداء الثانية (وإلى كل بقعة احترقت، وتحترق، بأنفاس الديناصورات المعاصرة التي لما تنقرض) يتضح بشكل أكيد، ومباشر أن تلك الأوراق إنما تعود

إلى مدينة أحرقت بنيرونية معاصرة لما تنقرض بعد. إلى هنا يمنحنا الإهداء اضاءاته المهمة التي تقرّب صورة الجلال (الدكتاتور)، والضحية (ههلهبجه) من صورة المكان الذي كتبت الأوراق من أجله موثقة حدوث الجريمة الكارثية (المأساة) التي سنرى كيف امتد أثرها إلى الزرع والضرع و...الخ.. وعلى هامش العنوان نجد توقيع الكاتب مسبوفاً بما يحدد جنس نصه الأدبي والفني في آن (قصرحية) ومن طبيعة المفردة نستنتج أن الكاتب بإزاء كتابة جنس تجريبي يجمع بين القصة القصيرة، وهو أحد كتابها، وبين المسرحية، وهو أحد رواها بطريقتة تذوب معها الفواصل والعوازل بين كلا الجنسين فيصبح الجنسان مدخول أحدهما بالآخر، وهذا هو بالضبط ما سنؤكد عليه في



اشتغالنا على نص (القصرحية).

تقنية النص:

يبدأ الكاتب قصته بالفعل (عثر) ليلفت انتباهنا إلى المعثور عليه (فوهة حفرة مطمورة) لا نعرف ما المظوم فيها، ولهذا نجدنا نواصل البحث عن سر دفائنها عن طريق (الراعي) وهو شخصية القصة وراوي أحداثها وحلقة الوصل التقليدية بين عالمي المدينة، والطبيعة التي أخضعت لتغيرات قسرية بوسائط مختلفة بحسب قوة تأثيرها وجهنمية ذلك التأثير عليها.

النص القصصي إذن جملة فعلية (الجملة الفعلية بحسب نحاة العربية هي التي تبدأ بفعل ما) بحكم استباقه بفعل ماض (عثر) يشير إلى قيام الفاعل بكم من الحركات لبلوغ غاية أو هدف هو داخل القصة الوصول إلى السر.

قد يعترض علينا معترض ما مدعياً أننا تجاوزنا التعريف النحوي الذي اقتصر على جملة واحدة لا أكثر، وهو غير خاطئ في هذا لأننا استعرنا تعريف النحاة فعلاً، ولكننا لم نتوقف بحدود التعريف حسب بل مضينا إلى اعتبار النص جملة واحدة على وفق نظرنا إلى أن الكل يساوي مجموع الأجزاء، وعليه فإن كل الأفعال والحالات والأحداث التي

روتها الشخصية الرئيسة تصب كأجزاء في مصب الفعل الرئيس (عثر) والذي لولاه لما وجدت تلك الأجزاء فعلاً. لنعاين الأسئلة الآتية أولاً:

١. هل كان يمكن للنص أن يسترسل في السرد لو لم تكن الحفرة موجودة؟
٢. هل كان الحديث عن السر الدفين ممكناً لو لم تكن الحفرة موجودة أصلاً؟
٣. هل كان الحديث عن الحفرة ممكناً لو لم تكتشفها الشخصية؟

٤. هل كان إطلاعنا على تفاصيل الأحداث ممكناً لو لم يكن السر موجوداً؟
٥. هل كان يمكن لمواقفنا أن تتبلور لو لم يقع داخل النص ما وقع؟

هذه الأسئلة وأخرى غيرها افترضت أن القارئ مطلع على فحوى قصة النص. وان بإمكانه استنباط واستقراء، وان بشكل أولي، حالات النص جملة وتفصيلاً. إننا إذن إزاء جملة أفعال حركية مثل:

«سحب يده بسرعة وأرعد إلى الوراء خائفاً»
أو مثل:
«أستند على جانب من جوانب الحفرة»
وأفعال توصيفية مثل:

«كلما حفر أعمق صارت الحفرة تستجيب له أسرع وعمقها يزداد أكثر»
أو مثل:
«شعر بضيق شديد، وأحس بأنه يوشك أن يختنق»
في المثالين الأولين تبدو حركة سحب اليد، وارتداد الجسم إلى الوراء، واستناده على جانب الحفرة واضحة ومحسوسة ومرئية إلى حد ما. بينما لا نلمس حركات المثالين الآخرين إلا من خلال البوح بها ووصفها، وان انطوت على حركة داخلية غير مرئية يمكن لممثل الدراما فقط إظهارها على خشبة المسرح ولكننا هنا بإزاء فعل القص حسب. ولما كانت الأفعال الحركية مهيمنة على مفاصل القصة ومطباتها اتسمت القصة بسمات

هي أقرب إلى حركية الدراما منها إلى سكونية السرد. ومن السهولة بمكان استنتاج ما لهذا النص القصصي من قدرة كامنة على التحول إلى الدراما كميزة امتازت بها أغلب إن لم أقل كل قصص محي الدين زنكنه القصيرة.

إذا سلمنا أن الفعل هو حركة لإشباع رغبة أو الوصول إلى هدف كما يحلو للدراميين تعريفه فإننا نستطيع أن نختصر القول في أن غاية الفعل (عثر) هي الوصول إلى الحفرة لكشف السر. إلا أن الاختصار لا يعني الاستغناء عن مفردات النص التكميلية، والاستطرادية، وما ينتج عنها. ثمة عشرات الجمل الفعلية، والتوصيفية لكل منها غرضاً أو هدفاً يصب في بلورة المعنى العام لنص القصة، ويعمل بطريقة مساهماتية على تحقيق فائدة مضاعفة في هذا الحدث أو ذاك. وإن أغلب هذه الأفعال - ضمن مراحل تطورها - تعمل بطريقة تشويقية تمسك باهتمام القارئ مغرية إياه بالتطوع ذاتياً لمتابعة أحداثها أولاً بأول.

لنستعرض بعض تلك الأفعال ضمن مراحلها تأثيرها في العمود الفقري للقصة:

«غرز فيها عصاه فوجد أتربتها رخوة هشة، ولكن رائحة ما انبثقت من بين طياتها..ربما

يكون الحيوان هو الآخر..قد أدركها بحكم غريزته ونفر منها»
تأسس هذا الفعل (غرز) على الفعل الرئيس (عثر)، فهو من حيث تسلسله يأتي بعده، فلا غرز للعصا بغير اكتشاف الحفرة السابق للغرز. والفعل (غرز) متبوع بعدد آخر من الأفعال التكميلية مثل: (أثار) الأمر فضوله (فاستجاب) له التراب، وكلما (حفر) أعمق صارت الحفرة تستجيب له أسرع. عملية الحفر إذن مستمرة في هذه المرحلة من النص لكن الكاتب يؤجل فعلها قليلاً لينتقل إلى فعل التفكير بسر الحفرة نفسها وبمحتواها الذي ما يزال مجهولاً حتى هذه اللحظة من الحفر.

«فكر هنيهة ثم استعاذ بالرحمن الرحيم وبسمل وقرأ سورة «آية الكرسي» فأحس بأنه قد تطهر إلى حدٍّ ما من هواجسه ومخاوفه التي كانت أجنتها تتشكل في داخله وتتناسل»

التوقف عن الحفر فرضته قوة الخوف الداخلية التي اعتملت في نفس الراعي وشلت حركته، ومنعته من الاستمرار بالحفر لو لا أنه (استعاذ) بالرحمن مطمئناً نفسه بآية قرآنية ثم (قرر) النزول إلى الحفرة ثانية.

إن التوقف وسائر الأفعال اللاحقة هي كلها من توابع مرحلية

الفعل (فكر).

«شرع يحفر أعمق وبهمة

أكبر»

بعد أن (طمأن) نفسه في الحدث السابق شرع بالحفر، وعندما غاصت أنامله في التربة أخذ (يحفر) من جديد لتستمر عملية الحفر إلى توقف آخر تفرضه أفعال داخلية توصيفية مبنية على الهواجس، والظنون، والوساوس، والشعور بالضيق، وهكذا تتم الانتقالات الأخرى في متواليات دائبة بين الحركة والسكون، بين الخارج والداخل، بين الأفعال الحركية والأفعال التوصيفية إلى أن تحقق الشخصية رغبتها فتقبض على حزمة الأوراق المدفونة مع (الهيكل الآدمي) في تلك الحفرة ليتم الانتهاء من فعل البحث الذي استغرق زمن القصة منذ (عثر) الراعي على الحفرة إلى أخذه كيس الأوراق ومغادرة المكان بسرعة، وعجالة.

بعد انتهاء دور مرحلة البحث الطويلة هذه تبدأ مرحلة الأوراق دورها، وهيمنتها على مفاصل النص الوثائقي (الأوراق) الذي دفن مع (الهيكل الآدمي) ليكون محض شهادة على ما جرى في زمن الحرب.

درامية الوثيقة

تخبرنا القصة أن الراعي(مام ويس) أخفى كيس الأوراق (الوثيقة) بعد حدسه أنها تنطوي على أهمية كبيرة، وولى هاربا من الحفرة إلى المدينة بعد أن رأى ما رأى، وليقرأها لهم (شوان) بعد عودته من الجامعة. وفي هذا الموضع من النص تحديداً يكون الكاتب قد نقل القصة بدرامية، وخبرة كبيرتين، من مرحلة الزمن الحاضر(الحفر والعثور على الأوراق) المرتبط بالزمن الماضي(وقائع الحرب، والهيكلة الآدمي وكتابة الأوراق) إلى الزمن الماضي(الأوراق) المرتبط بالحاضر(قراءة الأوراق). وكان لا بد من معالجة الوثيقة بطريقة فنية تضمن تقبلها، بعد أن أحالها إلى الدراما لسببين: الأول جعلها أكثر تأثيراً باستخدام الحركة، والحركة الانفعالية لبث الروح فيها، وتجديد حيويتها. والثاني لأن حجم المأساة وكارثيتها لا يمكن أن يستوعبها غير جنس الدراما المسرحية فمهمة القصة هي أن تقول، ومهمة الدراما هي أن تفعل، وما بين الاثنين فارق نحن في غنى عن الدخول في تفاصيله، ولكننا نضيف فقط أن محي الدين زنكنه استخدم الاثنين معاً لحاجة فرضتها طبيعة النصين المدمجين في نص واحد أطلق عليه زنكنه

(قصرحية) كما ورد في تحليلنا لعنونة النص.

يبدأ النص الثاني (المسرحية) بوضع التآثيرات الدرامية - اللازمة ضمن مقتضيات العرض الدرامي(على الورق طبعاً) - والتوصيفات الشخصية، والصور العيانية، والميزانسين قيد التنفيذ لتبدأ الشخصية (شوان) بقراءة الأوراق مفتتحاً خطابها على مسرح الحياة. الحياة التي انتقاها كاتب الأوراق أو التي أرادها لشخص المسرحية والتي حدثت له ذات حرب كارثية هائلة.

«مدينة عامرة، تسري في مفاصلها حياة شاملة..حركة دائبة..ناس غادون ورائحون.. أشجار باسقة..حدائق زاهية. عصافير تزقزق. طيور تغرد.. الخ..الخ.. الكل في مرح وبهجة» وصف لمدينة تتطابق مواصفاتها مع مدن كثيرة في أرجاء العالم، ولكنها تختلف عنها، بل تمتاز في ما حدث لها بعد ذلك: «فجأة يطبق عليها ظلام..يسبقه هدير طائرة مسرعة جداً.. يصيب الكل ذهول» قد نعتقد أن الظلام، وهدير الطائرة، والذهول الذي أصاب الناس أمور لا ميزة فيها تجعلها مختلفة عن سائر المدن، ولكننا بتقديم الخطاب الافتتاحي سنجد أن الكارثة لا يمكن وصفها

أو عنونتها إلا بوساطة اسم المدينة التي حدثت فيها تلك الكارثة المهولة ولم يرد زنكنه تحديد هويتها بالضبط كي لا يتقيد بقيود واقعها ووقائعها مع أن واقعها يكاد أن يكون ضرباً من اللاواقع. ولبيان هول الكارثة وضخامتها ينقل لنا زنكنه، أو كاتب الأوراق، أو الراوي ما حدث، وقتذاك، وتأثير الذي حدث على حياة بعض الحيوانات ليجعلنا نقف مفكرين بهول ما حدث للبشر، وكيف تعامل الجاني مع المجني عليه.

لنقرأ الحوار الذي دار بين الأول والثاني:

الأول: (من خلال دموعه) ح..ح..حيو..ان..إنه..مجرد..ح..ح..ح..ح. الثاني: (يركله بقوة) أخرس.. تبلغ بك الوضاعة..أن تندب حيوانات العدو..هل أنت محارب بطل أم حرمة ندابة..هيا..هيا.. نعثر على أهداف أخرى..

الأول: (منهاراً) أخرى؟ وماذا بقي في هذه المدينة البائسة التي احترقت حتى مياهها.

الثاني: أشياء وأشياء..أهداف وأهداف..كل حي أو ميت هدف.. متحرك أو جامد هدف..الضحك هدف..البكاء هدف..هيا..هيا..لا تتخاذل (يدفعه أمامه بوحشية.. يعود يصلي الجثث بصليات عديدة..تتطاير اللحوم المشرومة

والعظام المفتتة في كل مكان.. يلتقط بضع قطع من اللحم.. يلتهمها بلذة عارمة.. يخرج) الحوار كشف لنا أولاً أن الشخصيتين (الأول، والثاني) بلا أسماء محددة لأنهما قد يكونان أي اثنين مثلهما في القوة التي عملت على إبادة المدينة عن بكرة أبيها. وثانياً أنهما مختلفان كإشارة إلى أن الأول مجبر على تنفيذ مهمة الإجهاز على من تبقى من الأحياء، بعدما أتمت الطائرة فعلها الجينوسايدي، وإن الثاني يقوم بالمهمة ذاتها بقناعة وبرغبة دموية في القتل والابادة.

لم يرد زكنه أن يطرح تلك القوة في نصه على أنها قوة شر مطلق فجعل نصفها على شاكلة الأول، وجعل نصفها الآخر على شاكلة الثاني لا إنصافاً منه للنصف الأول حسب بل ليوضح، من خلال اختلاف الأول، بشاعة ونذالة، وانحطاط، ووحشية قوة الشر خلقاً وسلوكاً. وبخروج (الثاني) يكون المشهد قد انتهى، ويكون الكاتب قد انتقل بنا إلى ملاحظة ردود أفعال الشخص في الغرفة المحروقة.

- ما هذه الأوراق؟

- أوراق؟ أهى أوراق. إنها فتابل.. ألغام.. سكاكين.. تجول في أحشائنا. - (صوت هاديء) مرأيا.. إنها.. مرأيا..

- تحطمت أعصابي.. لم أعد أطيق المزيد.. أنا خارج.. خارج أتنفس هواء قبل أن أختنق؟ - (صوت مفجوع) كف يا شوان.. كف عن ذر الأملاح على جروحنا الندية التي لم تندمل - (صوت أقوى) ولن تندمل.. واصل شوان واصل.. ضعنا أمام أبصارنا وأنفسنا.. عراة.. عراة..

نلاحظ على ردود الأفعال هذه، وعلى الرغم من وجود الملاحظات الاستباقية المحصورة بين قوسين كبيرين [كما هو حال نصوص زكنه الدرامية السابقة] أنها وردت كما لو أنها كلام مقروء غير منطوق بدلالة العلامات الشارحة التي سبقتها، ومنحتها صفة قرائية داخل الدراما ربما بقصد اللاتحديد المتعمد لشخص المسرحية وأصواتهم، والذين هم على شاكلة (مام ويس) أو للحفاظ على التداخل والتجاذب بين الجنسين المدمجين. ورأينا - من وجهة نظرنا - أن تحدد هوية الشخص كأصوات لها تسلسل رقمي يجنح نحو الدراما ومستلزماتها لا نحو القصة وأدواتها خاصة بعد توصيف حالاتها الثلاث: (صوت هاديء)، و(صوت مفجوع)، و(صوت أقوى).

ومن الأصوات وردود الأفعال ينتقل الكاتب إلى سرد ما حدث في

بناء يجمع بين لغة المونوتراجيديا، والمونولوج، والسرد الدرامي، والاستيهام الفني لتقريب صورة الدمار الكيميائي الشامل الذي لحق بالأرض وما عليها، وبالمكان ومن فيه. تختلط الرؤى، وتتكدس صور الدمار والانهييار، وتترى الفواجع والمواجه منذ فجر التاريخ، وحتى لحظة ظهور «غمامة داكنة، متشكلة على هيئة كائن خرافي، لم ير أحد له مثيلاً قط». وما يكاد (شوان) يفرغ من الوثيقة حتى يقاطعه صوت جاء من رحم المأساة صارخاً «أوراقي.. أين أوراقي» فيردد الصدى بعده رافي.. قي.. ي.. ي.. ي.. ثم يقتحم المكان بطريقة مبهمة وهو يوجه تأنيبه لكل في خطاب تختتم به القصصية:

« أما تزالون قابعين هنا؟ يا نفايات المزابل الموبوءة؟ يا قاذورات البالوعات المجرثمة؟! ما أنتم؟ أحياء بلا أرواح ولا دماء؟ أبول عليكم جميعاً يمد يده إلى منتصفه يريد أن يبول عليهم فعلاً.. ولكن لا تنزل قطرة) فارغة.. مائتي نشفت.. لقد رششت به، قبل هنيهة، وجه القمر المجذور القبيح الذي ما يزال، على الرغم من كل شيء، يرنو إلى العالم بوقاحة ولا يتوارى خجلاً.. ولكن لدي ما يليق بكم.. وتستحقونه بجدارة (يبصق

عليهم) تفووووو عليكم.. تفووووو (يتردد الصدى بقوة وصخب من كل مكان) تفوووووووووووو.....»
إن نظرة شاملة، متأنية، استكشافية للنص، واستنادا على ما تقدم، تعطي انطبعاً تاماً عن مساهماتية اشتغال الأفعال القصصية والدرامية على اجترار جنس تجريبي جديد جامع للقصة القصيرة وسرديتها، والمسرحية ودراميتها، وهو ما أطلق عليه محي الدين زكنه تسمية (قصرحبة).

ملخص استنتاجي:

- أشارت العنوانة إلى اشتغال النص الأول (القصة) على ضمير المتكلم الذي انتقل تأثيره وفعله إلى القارئ فدخل في شراكة وحدتهما مع أفكار المؤلف.
- ارتباط العنوانة (أوراق!!) بالإهداء برباط التوضيح المتبادل من خلال قوة التشبيه والاستعارة.
- حددت العنوانة جنس النص الأدبي/الفني مبتكرة مفردة جمعت بينهما هي مفردة (قصرحبة).
- النص الأول - وهذا تحديد افتراضي حسب - هو جملة فعلية حاضنة للأحداث المروية منذ الفعل (عثر) ولغاية فعل اكتشاف السر (الأوراق)، وقد بينت الدراسة

- هذا من خلال طرحها لعدد من الأسئلة الاستنباطية التي صبت في جوهر النص كجملة فعلية.
- تضمن النص على مجموعتين من الأفعال هي: الأفعال التوصيفية، والأفعال الحركية.
 - غاية الفعل (عثر) اختصاراً، هي الوصول إلى الحفرة لكشف السر ولم يغن هذا الاختصار عن مفردات النص التكميلية.
 - اشتغلت الأفعال، داخل النص، بطريقة أغرت القارئ بالتطوع لتابعها ذاتياً.
 - اشتغل النص (القصرحبة) على الانتقالات المدروسة بين الحركة والسكون، وبين الخارج والداخل، وبين الأفعال الحركية والأفعال التوصيفية.
 - الانتقال من النص الأول (القصة) إلى النص الثاني (المسرحية) تم عبر التمثيل المرحلي لزمانين مختلفين هما الحاضر والماضي. الحاضر ممثل بالحفر والعثور على الأوراق، والماضي ممثل بوقائع الحرب وكتابة الأوراق.
 - تمت معالجة الوثيقة فنيا لجعلها أكثر تأثيراً وتشويقاً باستخدام الحركة، والحركة الانفعالية.
 - النص الثاني (المسرحية) وضع التأثيثات الدرامية اللازمة

- من التوصيفات الشخصية، إلى الصور العيانية قيد التنفيذ.
- تسمية الأول والثاني جاءت من كونهما شخصيتان غير محددين بهوية لأنهما تمثلان أي اثنين مثلهما في قوة الشر المستشرية.
 - جمع البناء السردى للدراما بين لغة المونوتراجيديا والمونولوج، والسرد الدرامي، والاستيهام الفني لتقريب صورة الدمار الشامل.
 - ظهور الهيكل في خاتمة النص مطالباً باستعادة أوراقه باصقا بقوة على كل من لا يفعل شيئاً إزاء كارثة كالتى مرت بهم ذات حرب تدميرية شاملة.
 - القصرحبة باختصار ودقة شديدين عمل تجريبي نجح في تجنس نفسه فنياً وأدبياً من خلال مساهماتية اشتغال أفعاله القصصية والدرامية على اجتراره كجنس تتسع جغرافية بوحه مدى القصة، ومدى المسرحية وفضائيهما.

استراليا ٢٠١٠

حوار مع الدكتور أحمد الخليل:

اللغة والتاريخ إذا خسرها شعب ما خسر هويته

إجراه: الدكتور محمد احمد البرازي



الدكتور أحمد الخليل أكاديمي وباحث كردي، يدرّس اللغة العربية في جامعة الإمارات العربية المتحدة منذ سنوات، وله عدد من الكتب والمقالات المنشورة، بعضها في الأدب والنقد، وبعضها في التاريخ الكردي، منها كتاب (تاريخ الكرد في الحضارة الإسلامية)، وباشر منذ سنتين بكتابة سلسلة تاريخية بعنوان (مشاهير الكرد في التاريخ)، وما زال ينقّب في المصادر عن موقع الكرد في تاريخ الشرق الأوسط. وأجربنا معه الحوار الآتي:

١ - السيد الدكتور أحمد الخليل حبذا أن تعرّف القراء بنفسك.

- اسمي الكامل أحمد محمود شَمَو الخليل، ولدت سنة (١٩٤٥) في قرية كُورْزِيل Korzél، بمنطقة عفرين (جبل الكرد) في شمال غربي سوريا، تلقيت تعليمي أولاً على يدي المرحوم والدي، باعتباره كان ملاً (خوجا) القرية،

ثم أكملت دراستي الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدينة عفرين، وعملت معلماً في المدارس الابتدائية عدة سنوات، سجّلت خلالها في الجامعة، وحصلت على الإجازة في اللغة العربية، وإلى جانب التدريس في الثانويات، ومسؤوليات الأسرة، واصلت التعليم العالي، وحصلت على درجة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة حلب سنة (١٩٩٠)، ومنذ ذلك الحين أعمل محاضراً للغة العربية.

٢ - تحدّث في حلقة من سلسلة (عفرين بوآبتي إلى العالم) عن الفرق بين حامل الشهادة والمثقف، وذكرت صفات هذا وذاك، وبما أنك تجمع بين الثقافتين الأدبية والتاريخية تُرى من هم المفكرون والأدباء الذين تأثرت بهم؟

- تأثرت بمثقفين كثيرين، وكان لكل واحد منهم تأثير معين في شخصيتي وفكري، ففي

الثقافة العالمية تأثرت بسقراط في نزعتة الفلسفية، وبنيتشه في نزعتة التمردية، وبكارل ماركس في التفسير العلمي للتاريخ البشري، وبسارتر في التركيز على الذات الإنسانية، وبهيجل وكروتشه في علم الجمال، وبروايات تولستوي، ودستوفسكي، وهيجو، وهمنغواي، أما في الثقافة العربية فتأثرت من القدماء بشعر المتنبي، وشعر المعري، وأدب الجاحظ، وكتب أبي

حامد الغزالي، وفكر المتصوفة، كما تأثرت بعدد من أدباء ومفكري العصر الحديث، منهم عباس محمود العقاد، وأحمد أمين، وطه حسين، وقاسم أمين، وأحمد شوقي، وآخرين.

٣ - هذا عن المفكرين والأدباء العالميين والعرب، لكن ماذا عن المفكرين والأدباء الكرد؟ ألم تقرأ لهم؟ ألم تتأثر بأحد منهم؟ أرى أنكم لم تذكروا أحداً منهم.

- هذا صحيح، فقد نشأت في مناخ ثقافي عربي، ولم أكن أجد في المكتبات العامة والخاصة كتابات لمفكرين وأدباء كرد، ولو وجدت في عهد مبكر لقرأتها، لأنني كنت وما زلت أملك الرغبة في أن أقرأ كل ما يقع بين يدي، ويبدو أن حملة التعتيم والتغيبب والتهميش التي تمارس ضد الكرد، وضد الثقافة الكردية، كانت وراء قلة الكتب عن الكرد، وأذكر أنني وجدت اسم (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان) للمرحوم محمد أمين زكي، في قائمة تصنيف المكتبة العامة بحلب حوالي سنة ١٩٧٦ إذا لم تخني الذاكرة، فشعرت وكأنني أجد بين يدي كنزاً ثميناً، فقرأت فيه طوال الساعات المسموح بها داخل المكتبة، وعدت بعد أسبوع لأقرأ فيه ثانية فلم أجده. وبعد ذلك بسنوات صرت أفتني الكتب المتعلقة بالشأن الكردي من خلال بعض الأصدقاء، ومن الكتب

التي تركت أثراً عميقاً في نفسي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، وشرفنامه لبدليسي، ومم وزين لأحمد خاني، وديوان ملا جزيري، ودواوين جيكرخون، وكتب أخرى كانت تدور حول الثورات الكردية في إيران وتركيا والعراق.

٤ - حسناً، لك إلى الآن حوالي عشرة كتب مطبوعة، بعضها في الشؤون الأدبية والنقدية، وبعضها في الشأن الكردي، وعلمت أن لك الآن كتابين في الشأن الكردي تحت الطبع، فحبذا أن تعطينا لمحة عن بداية مسيرتك مع الكتابة.

- بدأت الكتابة في عهد مبكر، فعندما كنت في الثامنة عشرة تقريباً كنت أكتب الشعر بالعربية، كما كتبت بعض القصص، وأذكر أنها كانت ذات نزعة فكرية فلسفية، تظهر فيها تارة نزعة سقراط إلى الحوار الهادئ وتوليد الأفكار، وتارة نزعة الفيلسوف الألماني نيتشه العنيفة في كتابه (هكذا تكلم زرادشت)، وحينذاك لم أكن أنشر شيئاً، ولم أكن أعرف شيئاً عن النشر، وقد نشرت قصيدة وحيدة في أوائل السبعينيات من القرن الماضي، ونشرت المقالة الأولى سنة ١٩٨٦، ونشرت الكتاب الأول سنة ١٩٨٩، ومنذ سنة ١٩٩٦ صرت أكتب المقالات بغزارة، كما شرعت في تأليف الكتب بشكل مستمر، وأعتقد أن لذلك علاقة باستقرار

وضعي المعيشي، بعد أن بدأت العمل محاضراً في جامعة الإمارات في خريف سنة ١٩٩٣.

٥ - أعرف أنك إلى الآن تكتب بالعربية، ولم تكتب بالكردية، وثمة كتّاب كرد آخرون يفعلون ذلك، ما رأيك في هذه الظاهرة؟ ولماذا لا تكتبون بالكردية؟ أليس من الأفضل أن تكتبوا بها، كي يقرأ الكرد كتاباتهم، ويستفيدوا من المعلومات والأفكار التي تتناولونها؟

- قرأت ذات مرة أن أحد شعراء الكرد الغياري في العصر الحديث قال ما معناه: «ابن زانية كل كردي لا يتكلم بلغته». وقد يبدو هذا الحكم قاسياً، لكن ذلك الأديب كان يدرك ما يقول، إذ علمت من خلال قراءاتي في تواريخ الشعوب أن ثمة ركنين مهمين إذا خسرهما شعب ما خسر هويته شاء ذلك أم أبى (اللغة، والتاريخ)، ولذلك تجدون أن الجهات التي لا تطبق الوجود الكردي على الكرة الأرضية يعملون ليل نهار، وبكل وسيلة ممكنة، لحمل الكرد على نسيان لغتهم، والجهل بتاريخهم.

وأعود إلى موضوع التكلم والكتابة بالكردية، فأنا سعيد لأنني أتحدث بالكردية منذ أن بدأت الكلام، فالبليئة التي ولدت فيها، كانت كردية تماماً، وصحيح أن والدي كان يعرف العربية باعتبار كان ملا (رجل دين)، لكن

والدتي ما كانت تعرف من العربية سوى العبارات المألوفة، مثل (بسم الله، الحمد لله، ما شاء الله، إن شاء الله، إلخ)، وأضيف أن أم أولادي لا تعرف لغة سوى الكردية، وهكذا فإن حكم ذلك الأديب الكردي الغيور لا يشملني.

وبقيت مسألة عدم الكتابة بالكردية، وتعلمون أنه ليس من السهل الانتقال مباشرة من التأليف بالعربية، إلى الكتابة بالكردية، ولا سيما أن كتابة الموضوعات التاريخية والفكرية والأدبية بحاجة إلى مستوى لغوي رفيع، أقول (ليس من السهل)، لكن أقول أيضاً (ليس من المستحيل)، ومنذ مدة قصيرة قلت لصديق لي: (لا يجوز أن يمر عليّ عام (٢٠٠٨) إلا وأكون قد كتبت أولى مقالاتي بالكردية)، وهذا طموح أعمل لتحقيقه، وصحيح ستكون كتاباتي في المرحلة الأولى لن تكون بالمستوى المطلوب، لكنها ستتطور، وإذا كنت أنا الكردي تعلمت العربية، وحصلت على درجة الدكتوراه في (الأدب الجاهلي)، وهو أصعب مراحل الأدب العربي، فهل يصعب عليّ أن أكتب الكردية وهي لغتي الأم.

وبهذه المناسبة اسمحوا لي أقول لكل كردي- ولا سيما الكرد الذين يعيشون في المهاجر، وأجبرتهم ظروفهم على عدم التحدث بلغة الآباء والأجداد-: لا يجوز أن تنتقل

إلى العالم الآخر وأنت لم تتعلم ولو جملة واحدة بالكردية. وأقول للإخوة الكتّاب الكرد الذين لا يكتبون بالكردية: اتخذوا القرار، وابدأوا الخطوة الأولى، وتذكروا الحكمة التي تقول: (أن يصل المرء متأخراً خير من ألا يصل أبداً)

٦ - في الفترة الأخيرة كتبت موضوعات قيّمة في تاريخ الكرد بشكل عام، وعن مشاهير الكرد بشكل خاص، ما الدافع إلى اهتمامكم بذلك؟

- عندما أعود بالذاكرة إلى عهد الشباب الأول أجد أنني كنت مهتماً في البداية بقراءة سير المشاهير، بغض النظر عن العرق والدين والطائفة، وهذا النوع من الموضوعات قريب من القصة والرواية، سوى أن لها طابعاً واقعياً، ثم وجدت نفسي مهتماً بقراءة كتب التاريخ والتراجم، ومن الكتب المفيدة التي قرأتها في هذا المجال كتاب (الكامل في التاريخ لابن الأثير)، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان، ومقدمة ابن خلدون).

وكنت في تلك المرحلة مجرد هاوٍ ومحِبٍّ للمطالعة، لكن بعد أن قرأت كتاب (قصة الحضارة) للمؤرخ الأمريكي ول ديورانت، وكتاب (تاريخ البشرية) للمؤرخ الإنكليزي أرنولد توينبي، انتقلت من دائرة قراءة التاريخ إلى دائرة قراءة فلسفة التاريخ، وهذا في حد ذاته أمر مهم؛ إذ لا يكفي أن نعرف

كيف تم هذا الحدث أو ذلك، بل من الضروري أن نعرف (لماذا حدث؟). وحينذاك أدركت مغزى النصيحة الهامة التي قدّمها الحكيم الصيني كونفوشيوس لأحد ملوك الصين قبل الميلاد بحوالي (٥٠٠) سنة، لقد نصحه بقراءة التاريخ، وقال له: « إنك حينما تنظر في المرآة تستطيع أن تعدّل وضع التاج على رأسك، وحينما تنظر في التاريخ تستطيع أن تتنبأ بقيام الدول وسقوطها ». والحقيقة أنني عملت بنصيحة كونفوشيوس، وكم أتمنى أن يعمل بها كل مثقف، بل نصيحتي لسانسة الكرد خاصة أن يقرأوا التاريخ قديمه وحديثه، عندئذ يصبحون أقدر على فهم الشؤون الإقليمية والعالمية، وأكثر نجاحاً في التعامل معها، واعذروني إذا قلت: من لا يقرأ التاريخ بعمق يبقى نصف جاهل.

أما بخصوص اهتماماتي بكتابة التاريخ فالسبب الأصلي يعود إلى مشروع تثقيفي وضعتُه لنفسي منذ عشرين عاماً، وما زلت أعمل فيه، ويتلخص ذلك المشروع في أن أكتشف هويتي على حقيقتها، أعرف جذوري، أعرف موقع الكرد على خريطة هذا العالم، أعرف ماذا كنت، وماذا صرت، وخلال هذه المسيرة عرفت أموراً ما كان يمكنني أن أعرفها لولا قراءة التاريخ، واكتشفت حقائق ما كانت

تخطر لي على بال، كما اكتشفت كم هو هائل حجم التعقيم والتغيب والتهميش والتزييف الذي لحق بالكرد منذ ألفين وخمسمئة سنة، وما أكتبه من دراسات تاريخية ليس إلا تدويناً لما أعرفه وأكتشفه، وأقول لنفسي: حسناً، ها قد عرفت الحقيقة، لكن هل هذا يكفي؟ لماذا لا تضعها بين أيدي الآخرين أيضاً؟

٧ - معروف من خلال كتبك المطبوعة أنك لا تقتصر على التأليف، وإنما تهتم بالترجمة أيضاً، فترجمت كتاباً بعنوان (القبائل الكردية) لإيغلتون الابن، وآخر بعنوان (الكرد وكردستان) لأرشاك سافراستيان، ما الذي يدفعك إلى ذلك؟

- أضف إلى الكتابين السابقين كتاباً آخر بعنوان (الميثولوجيا والهوية في شعر الهنود الحمر)، ترجمته قبل الكتابين المذكورين، واسمح لي أن أذكر مناسبة ترجمة هذا الكتاب، فقد دخلت المكتبة العامة ذات يوم أبحث عن كتاب في الشعر الإنكليزي، بهدفين اثنين: الأول هو الاطلاع على الشعر العالمي ومنه الإنكليزي، وهذا أمر يلازمي منذ أربعين سنة، أقصد قراءة آداب الشعوب، لأنك عندما تطلع على آداب الشعوب تفهم روحها، تفهم قيمها، تفهم رؤيتها، تفهمها من الداخل بعمق. وكان الهدف الثاني تحسين قدراتي في اللغة الإنكليزية.

وبالصدفة وجدت كتاباً بعنوان (شعر الهنود الحمر الشباب في أمريكا)، فأحببت أن أقرأه، إذ كنت وما زلت أشعر في أعماقي، وأرى في الواقع، أن بيني - أنا الكردي - وبين الهندي الأحمر قواسم مشتركة كثيرة، بل أرجو أن يعذرني إخوتي الكرد إذا قلت: نحن الهنود الحمر الشرق أوسطيين، فهناك من غزوا ديارنا، وسيطروا علينا، ولا يريدون أن يسمعو كلمة (كردي)، ويصرّون بعناد غريب على أن يضعونا بين خيارين لا ثالث لهما: إما الانصهار وإما الانقراض. ولما قرأت الكتاب شعرت أن أولئك الهنود الحمر الشباب أصدقاء لي، يتحدثون عني، إنهم يبدون في أشعارهم متمسكين بهويتهم، فترجمت بعض القصائد، مع دراسة مختصرة حول العلاقة الوثيقة بين الميثولوجيا والهوية.

أما كتاب (القبائل الكردية) وكتاب (الكرد وكردستان) فجاءت ترجمتهما ضمن مشروع (اكتشاف الذات) الذي ذكرته قبل قليل، وكل ما أكتشفه أرى من الضروري أن أضعه بين أيدي الآخرين، مع الاعتراف بأن لغتي الإنكليزية ليست جيدة، لذا أنفقت وقتاً طويلاً وجهداً شاقاً في تأليف الكتابين المذكورين، وبهذه المناسبة كم أستغرب حينما أجد بعض المثقفين الكرد يجيدون لغات

عالمية أخرى، ولا يقومون بترجمة الموضوعات المتعلقة بقضايا الكرد، ولا سيما الموضوعات التاريخية والميثولوجية، إلى اللغة الكردية أو العربية أو التركية أو الفارسية!

٨ - أنت تدرّس في الجامعة، ومسؤول عن عائلة كبيرة، فكيف توفّق بين هذه الأعباء وبين الكتابة؟ وقد لاحظنا من خلال كتبك وحلقات سلسلة (مشاهير الكرد) أنك تقرأ عدداً كبيراً من المصادر لجمع المعلومات، ومعروف أن مهمّة الكاتب لا تقف عند جمع المعلومات فقط، بل لا بد من دراستها أيضاً، وهذا كله بحاجة إلى وقت طويل، أليس كذلك؟

- بلى، وقد جاء في القصص الدينية أن نبياً - لعله يوشع - كان يحارب أعداءه ذات يوم، وكادت الشمس تغيب، فدعا الله أن يؤخر غروب الشمس، كي يحقق النصر. وأجديني أحياناً أقول لأم أولادي، (ديا محمود) مازحاً: كنت أتمنى أن يطول هذا اليوم أكثر، فإن ٢٤ ساعة وحدها لا تكفي لإنجاز ما أريد إنجازه. وأقول أحياناً لأولادي وبعض أصدقائي: ارتكبت في حياتي كثيراً من الأخطاء والحماقات، وخسرت الكثير، لكنني راض عن نفسي في شيء واحد؛ هو أنني كنت على الدوام حريصاً على أن أستثمر وقتي للقراءة، ولا أدعه يذهب هدرًا.

كانت هذه هي عادتي منذ أن

كنت في الثامنة عشرة على أقل تقدير وإلى هذا اليوم، كان الكتاب يصاحبني في الحل والترحال، وفي أوقات العمل مع أهلي في الحقول، كنت أحصد والكتاب معي، لأقرأ صفحات منه في فترات الراحة، وكنت أسقي حقل القطن والكتاب معي، وكنت أجلس على (النورج) أيام البيار والكتاب معي (النورج) آلة لها دواليب فيها مسنّات حديدية، تجرها دابة، وتستعمل لدراسة السنايل، نسمّيها بالكردية: جَرَجَر، وانتهيت من قراءة كثير من دواوين الشعر والقصص وكتب حياة المشاهير وأنا مسافر في السيارات والقطارات والطائرات، وإلى الآن أضع في السيارة على الدوام كتاباً، كي أقرأ فيه وأنا أنتظر أن يأتي دوري في دائرة رسمية، أو في مشفى لإجراء بعض التحاليل، أو في كارج لإصلاح السيارة، وطبعاً كنت أختار لكل حالة الكتاب المناسب، فمثلاً لا يمكنني قراءة كتاب في فلسفة سقراط أو ماركس أو هيغل وأنا أسقي القطن، أو وأنا جالس على (الجرجر) والدابة تدور بي حول البيدر، أو وأنا مسافر، مثل هذه الحالات بحاجة إلى قصة أو رواية أو كتاب حول شخصية.

٩ - نفهم مما ذكرت أنك كنت تستثمر الوقت على نحو أفضل.

أجل، فالمثل الأمريكي يقول: (الوقت مال). وأقول من جانبي:

(الوقت معرفة، والمعرفة تأتي بالمال أيضاً). لكن ثمة عامل آخر ساعدني على التوفيق بين مسؤولياتي الوظيفية والعائلية من جانب، وبين المطالعة والتأليف من جهة أخرى، ألا وهو تنظيم الوقت، والقيام بأكثر من مهمة بشكل متواز، فمثلاً، حينما أبدأ بتأليف كتاب في موضوع ما، أكون في الوقت نفسه قد خطّطت لتأليف كتاب آخر، ولذا أبدأ بجمع المعلومات حول الكتاب المنتظر تأليفه، أو حول موضوع يهمّني ويعيد لي الحيوية الذهنية، منتهزاً فرصة تعبي فكرياً من الموضوع الذي أعالجه، لأن جمع المعلومات أسهل من معالجة الموضوع، وبهذه الطريقة أتحايل على نفسي، فأعطيها إجازة بعض الوقت، لكن بما يفيدني ثقافياً في نهاية الأمر.

١٠ - لكن ماذا بشأن وظيفتك و أسرتك؟

- العمل الوظيفي يأخذ مني كل يوم بحدود ٨ ساعات، مع حساب مسافة الطريق ذهاباً وإياباً، واستكمال متعلقات التدريس من تصحيح وغير ذلك، وتذهب ٨ ساعات أخرى للنوم والطعام وما شابه، ويبقى في يدي كل يوم ٨ ساعات، أما في أيام العطلة فلي من الوقت حوالي ١٦ ساعة، أليس من الخطأ تبديد جميع هذه الأوقات دونما فائدة؟!

أما بشأن أسرتي فإن (ديا محمود) ليست متعلمة، لكنها تفهّمت نهجي في الحياة، وفوّرت لي المناخ الذي يساعدني على الاستمرار، من حيث تنظيم أموري الحياتية اليومية، وعدم الانزعاج من جلوسي الطويل وحيداً مع الكتب والكتابة، وكذلك يتفهم أولادي السبعة اهتماماتي، فاعتادوا منذ الصغر على عدم إثارة الضجيج في البيت، والكفّ عن ذلك عندما كنت أنبّههم وهم أطفال، ومن حسن الحظ أنني كنت أسكن في القرية عندما كانوا أطفالاً، وبيوت القرية كبيرة عادة، ومفتوحة على الطبيعة، ولها فناء واسع، وهذا يتيح للأطفال ممارسة ألعابهم مع بعضهم ومع أقرانهم من الأطفال في الهواء الطلق، وليس داخل الغرف.

١١ - لكن أليس في نهج كهذا تقصير في حق الأسرة عليك؟

- لا شك في ذلك، فقلماً أخرج بالعائلة في زيارات وفي نزعات، بل قلماً أجلس معهم داخل البيت، وهذا تقصير في حقهم، وأحاول جهدي التخفيف من ذلك، لكن لا خيار أمامي، وكلما تقدّم بي العمر أشعر أن هناك الكثير مما يجب أن أقوم به على الصعيد الثقافي، وأني أحتاج إلى المزيد من الوقت، لذلك أذكر أفراد الأسرة في مقدمات الكتب، وأشكر لهم صبرهم عليّ، ولعل في ذلك عزاء لهم.

لكن ثمة أمر مهم ينبغي الانتباه له، كنت عندما تزوجت أحمل الشهادة الثانوية فقط، وكنت أقبض راتب معلم ابتدائي، وكان راتباً قليلاً، ثم أنهيت الدراسة الجامعية، وصرت مدرّساً في الثانويات، وبطبيعة الحال تحسّس راتبي، ثم حصلت على الدكتوراه، وصرت محاضراً في الجامعة، فتحسّس راتبي أكثر، وكانت زيادة الراتب تنعكس على الوضع الاقتصادي للأسرة، من حيث السكن والمطعم والملبس، وثق تماماً أن المرأة والأطفال حسّاسون جداً في هذا المجال، إنهم مثل ميزان الحرارة، وكانوا يعلمون أنه لولا صحبتي للكتب، وإقبالي على العلم، لما تحسّس وضعهم المعيشي، ولظلوا محرومين من أمور كثيرة، وأعتقد أن المردود الاقتصادي أفتع العيال بالصبر عليّ، فهم يجدون الفائدة تعود عليهم في نهاية الأمر، أقول هذا كي نكون واقعيين، وكي نوظف جهودنا العلمية في خدمة أهلنا قدر المستطاع، وعدم تركهم بين أنياب الفقر والحرمان.

١٢ - وماذا حول مشاريعك الثقافية في المستقبل؟

- هناك ثلاثة مشاريع أرى من الضروري القيام بها إذا مد الله في العمر: ١ - المشروع الأول هو الاستمرار في الكتابة حول تاريخ الكرد.

٢ - المشروع الثاني هو التنقيب

عن الميثولوجيا الكردية وفي الديانة الأزداية والزرذشتية عند الكرد قبل الإسلام، إن معرفة هذه الأمور مهم جداً، ولا يمكن أن نعرف تاريخ الكرد بدقة ما لم نعرف تفاصيل عقائدهم القديمة، وصحيح أنني جمعت معلومات مفيدة حول هذه الأمور، لكن المصادر المتاحة لي في هذا المجال قليلة، والحمد لله هناك باحثون كرد آخرون ينشطون في هذا الاتجاه، وهذا شيء مهم وضروري، وأتمنى أن استطيع يوماً ما الكتابة في هذا المجال.

٣ - المشروع الثالث هو العودة إلى الأدب الكردي، فهذا هو مجال تخصصي الأكاديمي الحقيقي، أقصد النقد الأدبي، وقد ألفت عدداً من الكتب النقدية في الأدب العربي، لكن إلى الآن لم أولف كتاباً حول الأدب الكردي، وهذا أمر يضايقني، وخاصة عندما أقرأ بعض المقالات النقدية الكردية التي أراها دون المستوى المطلوب، ومع ذلك لقد أعطيت الأولوية الآن للتاريخ الكردي وللميثولوجيا الكردية، وسيأتي دور الأدب والنقد بعون الله.

وأذكر بهذه المناسبة أن أول ما كتبت في الشأن الكردي كانت أدبياً، وكان ذلك عام ١٩٩٢، إذ أعارني الصديق الدكتور الطبيب إبراهيم خليل علي من قرية (خربة شران) بمنطقة عفرين، النسخة الأصلية من الملحمة الكردية الشعبية (ممي

آلان)، وهي بقلم المرحوم الدكتور نوري زازا، وقمت بترجمة الملحمة إلى العربية. وفي صيف ١٩٩٣ تقدمت إلى وزارة الإعلام في سوريا للحصول على موافقة النشر، ثم سافرت إلى الإمارات، وعلمت بعدئذ أن الوزارة وافقت، لكن الأمور اختلت في زحام ظروف السفر، وفقدت جزءاً كبيراً من المبيضة، كما فقدت النص الأصلي، وقد كلفت أحد الأصدقاء بإيصاله إلى عيادة الدكتور إبراهيم في حلب، لكن علمت أنه لم تصله، وكم يؤسفني ذلك، وأفكر أن أعود لسنة ٢٠٠٩ إلى العمل في المسودة الثانية، وأخطو خطوتي الأولى في الحركة الأدبية الكردية.

١٣ - أخيراً ما رأيك في الثقافة الكردية؟ وماذا تقول للمثقفين وللكتاب الكرد بشكل عام؟

- قبل أن أخاطب المثقفين والكتاب الكرد اسمحوا لي أن أقول لكل كردي: (أمة لا تقرأ أمة خارج التاريخ)، كتبت هذه العبارة منذ سنوات في إحدى حلقات سلسلة (عفرين بوأبتي على العالم)، وما زلت أزداد يقيناً بها يوماً بعد يوم، ومعروف أن الكرد كانوا طوال تاريخهم يجيدون القتال دفاعاً عن حقوقهم، لكنهم كانوا يخسرون في النهاية، لأنهم كانوا يفتقرون إلى العلم والمعرفة، ولأن خصومهم كان يسبقونهم في هذه الميادين، لذا أقول: إن المعرفة هي الطريق إلى

الخلاص، وعلى كل كردي أن يقرأ، وأن يوجّه أولاده إلى القراءة منذ الصغر، وقد تنبّه كبار قادة الكرد إلى هذه الحقيقة، وكم أتمنى أن يقرأ الكرد وصية المرحوم الشهيد قاضي محمد إلى الشعب الكردي قبيل إعدامه، إن المرحوم الشهيد ينصح بضرورة إقبال الكرد على العلم والمعرفة، وضرورة تحقيق الوحدة بين صفوفهم، وهل يمكن لأمة جاهلة أن توحّد صفوفها؟

١٤- حسناً، لنعد إلى رأيكم في المسيرة الثقافية الكردية، كيف ترونها؟ وماذا تقولون للمثقفين والكتّاب الكرد؟ - الساحة الثقافية الكردية تشهد حراكاً نشيطاً وشبه شامل، وصحيح أن في هذا الحراك ثغرات عديدة، منها التعجّل، وعدم الإتقان، والوقوع في قبضة التعميم أحياناً، وعدم الحرص على توثيق المعلومات أحياناً أخرى، والتنافس الذي يصل إلى درجة (التحاسد) بعض المرات، لكن هذه أمور عادية، تواكب المسيرة الثقافية لأي شعب عانى من ظروف القهر الثقافي، ومن تدمير القيم القومية، وتفكيك المقومات الثقافية المشتركة، وستتقلص الثغرات في المستقبل، وستتأصل الكتابات أكثر، وسيصبح الكتّاب أكثر اتزاناً وموضوعية، وإنني متفائل جداً.

أما بشأن المثقفين والكتّاب الكرد فأقول لهم ما أقول لنفسي: أحسنوا

التعامل مع ما تبقى لكم من الزمن، وينبغي أن يعرف كل واحد منا الميدان الثقافي الذي يمكن أن يبذل فيه، وعليه أن يعمل بهمة وإخلاص في ذلك الميدان، أقصد أنه من الضروري أن نتخصص، ولا نتوهّم أننا عباقرة في كل ميدان، ومن الضروري أيضاً أن نحدّد الأولويات، ونسأل أنفسنا: نكتب ماذا قبل ماذا؟ ولا يمكن لنا أن نبذل ونفقد ما لم نوسّع معرفتنا ونعمّقها.

وأخيراً هناك ظاهرة محزنة أجدها تظهر على السطح حيناً بعد آخر، وهي ظاهرة النقد اللاذع الذي يوجّهه كاتب كردي لكاتب كردي آخر، في كتاب أو في موقع أنترنتي، إما لاختلاف في الرأي والرؤية، وإما لأن كاتباً ما وقع في أخطاء منهجية، أو معلوماتية، أو لغوية. ونحن الكرد معروفون بحرارة الرأس، وسرعة الانفعال، والإسراع إلى المواجهة والمجابهة، وشدة الاعتداد بالرأي، والعناد في الموقف، إنه جانب من جوانب (سيكولوجيا الجبال) التي أتحدث عنها في بعض كتاباتي، وكم أتمنى أن تختفي هذه الظاهرة، وأن يفرح الكاتب القدير عندما يقرأ لكاتب كردي قدير آخر، وأن يفرح الكاتب الأكبر سناً وربما الأكثر علماً والأغنى تجربة، عندما يقرأ لكاتب آخر أصغر وربما أقل علماً وتجربة. وهناك مثل ليرالي رأسمالي يقول: (دعه يمر، دعه يعمل)،

وهكذا يجب أن تكون فلسفتنا على الصعيد الثقافي، بلى، فلندع الآخر يكتب، ويكتب، ويكتب، إن ممارسة الكتابة بحد ذاتها عملية مهمة جداً، إن الكتابة- مهما كانت، وكيفما كانت- اكتشاف للذات بكل ما فيها من سلبيات وإيجابيات، إنها ارتقاء بالفكر، وتطوير للذات، وبناء للشخصية المعرفية، وتأصيل للملكة النقدية، وتحسين لأسلوب الخطاب، وتواصل مع الآخر.

وصحيح أن الكاتب- وخاصة المبتدئ- قد يخطئ، وقد يتعجّل، وقد لا يؤصّل، وقد يركبه الغرور، لكن الأمور ستتحسّن رويداً رويداً، سيكتشف هو نفسه من خلال كتاباته أنه أخطأ هنا، وتعجّل هناك، وكان مغروراً في هذا وذاك، وسيصحّح نهجه يوماً بعد يوم. ويمكن للمثقف الأكثر علماً وخبرة أن يوجّه الآخر بصورة لطيفة وبذّاعة، والأفضل أن يفعل ذلك بصورة غير مباشرة، فالتأثير عندئذ يكون أفضل، أما أن نمارس نحن المثقفين القمع الثقافي على بعضنا فذلك أمر في غاية الخطورة، وكفانا القمع الذي ينصب علينا من كل جانب، ولندع الكتّاب من شبابنا وفتياتنا يفكرون ويكتبون دونما شعور أن هناك من يحمل سوطاً، ويتربّص به عند كل عبارة، وفي كل مقال أو كتاب.

هذا هو أملّي، ولكم جزيل شكري وتقديري.

شخصيات كردية

ربع قرن على رحيله علاء الدين السجادي عاشق التراث الكردي

ابراهيم باجلان



ربع قرن مضى على رحيل فقيده الادب والثقافة الكردية الاستاذ علاء الدين السجادي الكاتب والقاص والصحفي والمؤرخ والشخصية الاجتماعية البارزة ذلك الذي ارتقى بجهوده المخلصة وكفاحه الدؤوب الى ان يكون واحدا ممن اخلصوا للتراث والادب الكرديين. فاكسب - نظير اخلاصه وتفانيه - حب واعجاب وتقدير ابناء شعبه وكل الذين عرفوه واطلعوا على نتاجاته..

واذا ما بحثنا عن الدوافع والاسباب التي دفعته الى سلوك هذا النهج في حياته نرى انها لا تخرج عن مدار دائرة حب هذا الشعب وتراثه قبل كل شي اخر، هذه الدوافع الخيرة التي تشكل بمجموعها مفاتيح ابواب الخلود التي ولجها قبله العديد من العلماء

والفنانين والادباء والمناضلين والمصلحين. ولكل ماتقدم نحتفي بذكرى السجادي الاديوب والمؤرخ الذي نعرفه من خلال اعماله. ورغم ما قيل وما يقال في حقه فان كل الاقوال، لا تبلغ القمة التي تسنم ذراها.. واذا ما اردنا ان نضيف شيئا فاننا لا نضيف شيئا جديدا، لكننا نذكر جزءا من كفاحه الفكري والثقافي اي اننا نحاول هنا استذكار خدماته ونتاجاته في مجال التراث الكردي وابداعاته المتميزة في هذا الميدان.. وبما ان التراث الكردي الذي نعينه يشمل التراث الشعبي او الفولكلور الكردي والاشعار الشعبية وكذلك التراث الكلاسيكي لادبنا الذي كان جزءا منه مشتتا ومتناثرا قبل ان يشمر الفقيه وصحبه الرواد عن سواعد الجد فجمعوا ما استطاعوا

ونظموا عقده ولما المتبعثر منه.. ومع اطلالة ذكرى مرور ربع قرن على رحيل علاء الدين السجادي، في ١٣/١٢/١٩٨٤ نستذكره، ولنجمع من نتاجاته باقة نجعلها اكليلاً ثرا سواء نتاجاته في مجال الادب والتاريخ او الفولكلور وكل ابداعاته.. جمعنا هنا نتاجاته الادبية والفولكلورية وذلك لترابط وتلازم التاريخ والادب والتراث معا واهمها:

- ١ - ميرثووي نه ده بي كوردی- تاريخ الادب الكردي وقد صدرت طبعته الاولى عام ١٩٥٢ والثانية عام ١٩٧١.
- ٢ - گه شتيك له كوردستانا-

ولادة ووفاة مائتين واثنى عشر
شاعرا اخر.

كما ثبت نصوصا فولكلورية
تدون لأول مرة، ونصوصا من اثار
الشعراء لم تدون من قبل، وان ذلك
قد جعل الكتاب دعامة كبرى للبحث
ولتحليل الادب الكردي وازداد
الى الطبعة الثانية منها ملحقا
عن الصحافة الكردية والقصة
الكردية ومواد اخرى بلغت اكثر
من مائة صفحة. لذا كان لصدور
هذا الكتاب القيم اصداء طيبة في
الاساط الثقافية والادبية الكردية
داخل وخارج العراق، ومن لدن
المستشرقين ايضا. وحسنا فعل
المؤلف عندما اضاف الى مقدمة
الطبعة الثانية ثلاث رسائل تلقاها
من اديب كردي خارج كردستان
العراق ونقصد المرحوم (محمد
مهري) المحامي والمدرس بعث
بها من استانبول سنة ١٩٥٤ قال
فيها: منذ عام كامل وكلما سنحت
لي الفرصة اقرأ اشركم النفيس
والمس مدى جهودكم وكفاحكم
اللامتناهي وتضحياتكم الجسيمة-
في اوج علياء الشرف- قرت عينكم
وامد الله في عمركم وبيض الله وجه
والديك اللذين انجبا ابنا مثلك.

اخي علاء بلا تكلف ولا مجاملة
اقولها: ان تاريخك للادب الكردي!
ترك اثرا وسعة في عالم الادبيات
الكردية، فأحييت الكرد ومنحتهم

نرى ان خوض هذا البحث وبحوث
اخرى يخرج الكتاب من كونه
تاريخ ادب بل يمكن ان يسمى
بخليط من التاريخ والجغرافية
وعلم الاجتماع وجميع فروع علم
الادب من نظرية وتاريخ ونقد
وبيلوغرافيا ونماذج من النشر
الفني. ورغم ذلك فليس بالامكان:
ان نغض الطرف عن كون الكتاب
قد اعطى مادة للتدقيق وتحليل
الادب الكردي، ستبقى ذات قيمة
خاصة الى سنين طويلة وهذا
الكتاب قد اكتسب مآثرة بوصفه
اول اثر كردي من حيث جمعه
المواد الكثيرة عن حياة الشعراء
الكرد واعطائه تفاصيل دقيقة
عنهم وعن عصرهم وظروفهم
الشخصية وقد بذل مؤلفه جهدا
بحثيا كبيرا في التوصل الى هذه
المعلومات. وان القاء نظرة واحدة
على المصادر التي اعتمد عليها
السجادي يوضح لنا انه قد قرأ
مصادر مختلفة ووضع جميعها
موضع ثقته فاقتبس بذلك اراء
مؤلفين ينتمون الى طبقات مختلفة
والى مدارس فكرية مختلفة واخذ
عنهم ما يخص تاريخ ومنشأ
الادب.

وحسب الكتاب فخرا ان جمع
كل ما امكنه وبالتفصيل دقائق
سيرة وحياة اربع وعشرين شاعرا
من الراحلين وذكر اسماء وتواريخ

رحلة في كردستان سنة ١٩٥٦.

٣ - رشتة مرواري- عقد
اللولؤ وقد صدر في ثمانية اجزاء
خلال، ١٩٦٦، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ١٩٨٠، ١٩٨٢، ١٩٥٨، ١٩٥٧

٤ - شورشه كاني كورد- الثورات
الكردية لغاية ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨،
صدر عام ١٩٥٩.

٥ - كوردهواري- التقاليد
الكردية، تراث ١٩٧٤.

٦ - اثار اخرى.

فكتابه تاريخ الادب الكردي
يعتبر سفرا قيما ونتاجا رائدا في
مجال تاريخ الادب الكردي او
التراث الكلاسيكي المدون وهذا
الكتاب كما قيمه مؤلف (الواقعية
في الادب الكردي) الدكتور عز الدين
مصطفى رسول يعتبر من الكتب
الكردية المهمة الكبيرة بصفحاته
الستمائة والثلاث والستين وقد
بلغ عدد صفحات الطبعة الثانية
سبعمائة وست صفحات. ورغم انه
يحمل اسم (تاريخ الادب الكردي)
فان صاحبه يسميه اوسع دائرة
معارف كردية صدرت الى الان.
ففي هذا الكتاب موجز لاراء
مختلف المؤرخين الى يومه عن
الكرد واصلهم واسمهم ونفوسهم
وتقاليدهم.. كما يقول الدكتور:

اننا في الوقت الذي نعطي المؤلف
مثل هذا الحق شافعين له ذلك
بظروف القارئ الكردي الخاصة،

روحا جديدة لهؤلاء الموجودين الان ولاولئك الذين سيأتون. عمر الله بيتك مثلما عمرت بيوت الكرد.

كما كتب اليه (ادموندس) وهو من المهتمين بالدراسات الكردية مهننا ومشيدا بفضلله وانه قد حقق حلما طالما كان يراوده. كما يقول ان عملكم هذا يعتبر خدمة كبيرة ليس للكرد وحدهم بل لعالم العلم والمعرفة، وكل المهتمين باداب الشرق يعتبرون انفسهم ممتنين لذلك الاستاذ ولنزلته الرفيعة.

وايضا بعث اليه المرحوم (رفيق حلمي) احد رواد كتابة تاريخ الادب الكردي رسالة يبدي فيها فرحته وابتهاجه بصدور هذا الكتاب كما يقول: ان الكلمات تعجز ان تصف لكم تلك الشاعر التي اكنها لكم ولهذا الاثر النفيس الضخم الذي استطيع ان افول لكم عنه بصدق انكم قد وفقتم من جميع النواحي واستطيع القول اشركم رائع وثمانين. وبالنسبة لاثاره الاخرى المكرسة للتراث الكردي يعتبر كتابه الفولكلوري الثمين (رشته ي مرواري- عقد اللؤلؤ) والذي يشكل في حد ذاته ثروة ثقافية قومية لشعبنا وكنزا ثميننا لتراثه، يذكر الدكتور عزالدين مصطفى رسول في كتابه ادب الفولكلور الكردي: ان اجزاء (عقد اللؤلؤ) شيء جديد ونادر في ميدان تدوين الفولكلور

والادب والحركة الثقافية الكردية. وقد وجدت لها مكانة خاصة في ميدان التراث القومي الكردي وفي مجال اللغة الكردية واغنائها وتطويرها- وهذه الاجزاء تعتبر محاولة جريئة للحفاظ على اللغة الكردية. وفي ميدان اللهجات الكردية وتثبيت الخطب والمحادثات ضمن قصص او محاورات اللهجات المختلفة للغة الكردية وفي بعض الاماكن في هذا الميدان فانه ايضا يصلح للمقارنة. وان صح استعمال لفظة النادر او الفريد فان (عقد اللؤلؤ) كتاب او اثر (نادر) كما خلدت هذه المجموعة الثمينة من مجلدات (رشته ي مرواري- عقد اللؤلؤ) سير بعض الشخصيات الشعبية الكردية وارخت لبعض الاحداث التي وقعت بعضها قبل اكثر من قرن واحد، فهي بذلك تفيد الباحثين والمؤرخين وحتى علماء الاجتماع وغيرهم.

لأنها تضم نوادر وطرائف وعادات ترتقي الى مصاف ما يمكن تسميته بوعاء للماثورات الشعبية والفلسفة الشعبية او ما اصطلح على تسميتها بابداع الجماهير وليست هذه المجلدات وكتاب تاريخ الادب الكردي هي كل ما قدمه الفقيه السجادي من جهود في سبيل الحفاظ على التراث الكردي وادبه فهناك آثار اخرى للفقيه

يمكن ذكرها وتسجيلها له بمداد الفخر والاعتزاز فكتابه (جولة في كردستان) الذي اصدره عام ١٩٥٦ كان مواضيعه في نظر الكثيرين غريبة، فكان الفقيه يجيبهم بقوله: انا لم اكتب هذا ليومنا هذا وستقدرون اهميته في المستقبل ورغم انه لم يمض وقت طويل على هذه الرحلة لكننا نرى ان الكثير من مواضيعه والمعلومات التي تتضمنه اكتسبت اهمية كبيرة وحتى من ناحية التقسيمات الادارية والشكل الجغرافي. من هنا نلمس بوضوح ان الفقيه كان يعلم على أي امر هو مقدم! حينما يكتب نتاجاته، ولم يكن يفعل ذلك عفويا، كما ان اجابته ورده للمعترضين على مجموعة (عقد اللؤلؤ) يعتبر تأكيدا لهذا القول فكتب يقول: ان الذين نقدوني بشدة هم الذين رغبوا في قراءة كتبي تلك وكانوا يقرأونها في الخفاء، ويتوقون الى صدور جزء اخر من الكتاب..

وكما ذكر الاستاذ جمال بابان في حفل تأبين الفقيه: ان الكرد كغيرهم يملكون ثروة ضخمة في مجال النكات والفكاهة والطرائف الا ان ما عرفل تسجيلها هو عقدة الخجل ورغم ان الفقيه كان رجل دين ويوجه اليه الكثير من الانتقادات الا ان ذلك لم يمنعه من

اصدار مجلداته في ذلك المجال من الادب وان احدا لم يتوسع مثله في هذا الميدان رغم محاولات البعض قبله.

لقد قدم السجادي خدمات لا تنسى للتاريخ الكردي عن وعي وادراك منه لهذا الجانب من جوانب حياة ووجود شعبه سواء بتأليفه المؤلفات التي ذكرناها او بتأليفه المباشر في التاريخ ككتابه (الثورات الكردية) والذي ارخ فيها لاهم الاحداث والثورات.

يقول الدكتور (كمال مظهر احمد) انه وبلاشك يشكل مصدرا مفيدا احتل مكانته اللائقة في المكتبة التاريخية الكردية، ورغم ان بعض مؤلفات الاستاذ لم تكن تخلو من بعض الهفوات احيانا لانه في معظم استنتاجاته التاريخية كان يستلهم ثقافته الذاتية التي كونها بمطالعته الشخصية واجتهاداته ولان معظمها كانت اعمالا بكرا كتبها في وقت كانت المصادر العلمية نادرة خلاله. ومساهمات الفقيه في توضيح وتدوين التاريخ الكردي وتراثه لاتقتصر على ماذكرنا وحسب، بل اننا اذا ما تصفحنا اعداد مجلتي (كه لاويز) و(نزار)، اللتين كان يتولى ادارتهما يتضح لنا وبجلاء كفاح هذه الشخصية الكردية المحبوبة من اجل صيانة تاريخ وتراث شعبه

وتحفيز المثقفين للاقتداء بمثقفي الامم الناهضة. ويمكن الاستشهاد والاستناد الى المقالات العديدة التي كتبها على صفحات مجلة (نزار) التي اصدرها باللغتين العربية والكردية سنة ١٩٤٨ فقد كتب في العدد الرابع منها والصادر في ١٥ ميس ١٩٤٨ كتب اقتراحا حث فيه على ضرورة كتابة تاريخ الكرد في الكتب المدرسية تحت عنوان: (اعادة النظر في كيفية مادة التاريخ) يقول: طالما نعيش في خيرات هذا البلد ونستظل بسمائه (يقصد العراق) فان امانينا وامالنا واحدة، ومن الاحسن والافق ان يعرف احدنا الاخر، لا ان نقصر المعرفة على رفيق واحد ويوضع الاخر في الظلمات، مما يوجد المجال لهجمات المستعمرين على هذه النقطة الحساسة ويدعو الى شيء من سوء التفاهم الذي نريد القضاء عليه قضاء مبرما. ويختتم مقالته بقوله: اننا ندعو الى تدريس تاريخ الاكراد في مدارسنا ولنوثق من عرى وحدتنا واخائنا اكثر من قبل.

كما تتجلى نظرته للتاريخ في المقدمة التي كتبها لكتاب (کردستان الوسطی) لمؤلفه الاستاذ عبد الرقيب يوسف حيث كتب ماييلي: التاريخ هو الحد الفاصل بين الماضي والحاضر، فيساعدنا فهم ما

مضى على فهم ما نكون فيه، او بالاحرى التاريخ قصة الانسانية والبشرية في حال تطورها ونشوتها منذ ان ظهرت على يد الانسان الى يومنا هذا، فعلينا ان اردنا ان نعلم ونفهم وضعنا الحاضر ان نرجع الى سير الاحقاب التي مضت ونأخذ من جذورها دروسا لكي نصل بها الى شاطئ الحقائق التي لعبت بالبشرية وكونتها في القرون التي رقت فيها او تقهقرت وبواسطتها نستطيع ان ندرك الانظمة السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية التي مرت علينا في الايام الغابرة.

واما عن الدور الذي نهضت به مجلة (كه لاويز) في ميدان التاريخ الكردي، فقد تحدث عنه (الدكتور كمال مظهر احمد) في كتابه المعنون (ميزوو- التاريخ) حيث كرس لهذا الموضوع عدة صفحات من كتابه المذكور لتقييم دور مجلة (كه لاويز) في خدمة التاريخ الكردي فكتب يقول: ان مجلة (كه لاويز) في هذا الميدان ايضا مثل الكثير من الميادين الاخرى، كانت الصحيفة الكردية الاولى، ولحد الان فان اية جريدة او مجلة كردية صادرة في العراق او خارجه لم تكرر صفحاتها مثل (كه لاويز) للاهتمام بالتاريخ عموما وبالتاريخ الكردي خصوصا. وقد خصصت (كه

لاويز) عدة ابواب وزاويا للتاريخ مثل زاوية (من التاريخ) و(الكرد عند الاجانب) كما ان اشهر مؤرخي الاربعينات قد نشروا على صفحات (كه لاويز) الابحاث التاريخية من امثال امين زكي وتوفيق وهبي وحسين حوزني موكرياني وعلاء الدين السجادي وعدد اخر من المؤرخين.

اضافة الى اولئك فان عددا من المثقفين الكرد من خارج العراق نشروا المقالات التاريخية على صفحات (كه لاويز) من امثال عثمان صيري وان نازا السنوي، واحيانا كانت (كه لاويز) تخصص نصف مجموع صفحاتها للابحاث التاريخية مثل العددين الخامس والسادس من السنة الثالثة. ومن المهام الجليلة التي يمكن ان يسجل ل (كه لاويز) ضمن المهام الجليلة التي اضطلعت بها اقدامها على نشر نتائج عدد من المستشرقين والرحالة الاوربيين المتعلقة بالكرد. ان هذه الاعمال وغيرها هي التي فتحت العيون ونبعت الازهان لتاريخ الشعب الكردي الذي كان شبه مجهول عند الاقربين والابعيدين وحتى عند الكثيرين من مثقفي شعبنا وهي التي مهدت لبروز هذه الكوكبة المباركة من المؤرخين الكرد المعاصرين. كما لا يمكن تجاهل المقالات والابحاث

التي نشرت باللغة العربية في مجلة (نزار) والتي كان لولبها المتحرك الفقيه علاء الدين السجادي. فان القاء نظرة عاجلة على اعدادها تبين انها كانت من الاساس تهدف الى تعريف القراء العرب بأدب الكرد وتاريخهم وتراثهم واعلامهم. ففي العدد الثاني من مجلة (نزار) الصادر في ١٥ نيسان ١٩٤٨ كتب ابن خلكان تحت عنوان: العرب والاكرد..

(وبعد فهذه الصحيفة انما هي لسان يدعوا الى الوحدة بين قومين جمع الله بينهما بدين الاسلام، وفتح قلوبهما بنور الحق ومهما دعا الداعون الى التفريق بينهما بمزاعم ومهاترات فقد ضاعت اقوالهم هباء وساء مايفعلون. ان الاكرد سكنوا هذه الجبال والوهاد التي دعت ب(کردستان) منذ اقدم عصور التاريخ، وهم قوم على مايقول الثقة في علم الاجناس من العنصر الهندو اوريي او ما يدعون بالاريين وبالرغم مما حدث من هجرة قوم من الاقوام وفنائهم وغلبة آخرين عليهم وحلولهم محلهم فان هؤلاء الاقوام هم الذين دعوا في التاريخ القديم باسم (کردوخى) كما نشرت المجلة تباعا بحث باسيل نيكييتين عن الاكرد ومواضيع عن صلاح الدين الايوبي والدعوة الى انشاء المجمع العلمي

الكردي وكرسي اللغة الكردية في الجامعة العراقية وعرض لكتاب تاريخ الدول والامارات وزاوية من اعلام الادب الكردي فكتبت عن بى كه س وزيوه ر ومحمد امين زكي وغيرهم. ومن نتاجاته الهامة المخصصة والمكرسة للتراث الكردي كتابه القيم (كوردواري- العادات الكردية) والذي يعتبر جهدا مباركا اخر اضافة الى جهوده الخيرة المثمرة وجمع فيه اهم العادات والتقاليد الكردية في الافراح والاحزان فضمنه التقاليد الكردية واهم العادات في الافراح والاحزان والحياة في القرى والارياف او حياة الخيام. وكذلك طقوس الصيد والاسفار، وكما كتب في المقدمة: ان ما يميز قومية عن قومية اخرى هي اللغة والعادات والتقاليد والارض او الوطن والادب. كما يقول ايضا:

وبما انني اعتبر نفسي واحدا من ابناء هذا الشعب وانه منذ امد بعيد فتحت عيني على العادات والتقاليد والاشياء التي داب عليها الكرد وعشقتها، ولان الارض ضاقت واقتربت جهاتها وربما وبسبب تقارب الاجناس والاقوام المختلفة من بعضها وخصوصا من الكرد الحائر اقول ربما ضاقت هذه العادات شيئا فشيئا.. وانني جمعت ماكان في وسعي ان اجمعه وان اضمه

- في هذه الصفحات المطبوعة، وعندما تطبع فانها لاتفنى، واستطعت ان اجمع الى هذا الحد.. وان اقدمه هدية لامتي. التي مازالت تعاني الاضطهاد في اماكن عديدة وان اقدمه كذلك للاجانب الذين يلفظون كلمة الكرد باستنكاف وتعال الخ.. والمقدمة مؤرخة في ١٩٦٨/١١/٢٣. وهكذا استطاع ان يقدم لوحات حية للعادات الكردية وان يدون العشرات من الالعب الشعبية الكردية. وان كتابه المعنون (خوشخواني- البلاغة) الذي طبع عام ١٩٧٨ على نفقة (جامعة السليمانية) كان مكرس للبحث عن البلاغة في الشعر والنثر الكرديين ولكي لايقال ان الكردية لا بلاغة فيها كما ان هذا العمل في حد ذاته يعتبر خدمة للادب وللثراث لانه يستند على التراث الكلاسيكي الكردي.
- وان كتابه المعنون (ده قه كانى ئه ده بى كوردى- نصوص الادب الكردي) الذي صدر عام ١٩٧٨ ايضا وضمن مطبوعات المجمع العلمي الكردي لا يخرج عن هذا الاطار وكذلك كتابه السابق (نرخ شناسى- النقد) الذي طبع عام ١٩٧٢ وهو كغيره من نتاجات الفقيه يستلهم التراث الكردي
- الادبي الكلاسيكي ومكرس لهذه الغاية ايضا، وله مجموعة قصصية مطبوعة بعنوان (هه ميشه بهار). واخيرا ونحن نستقبل ذكرى مرور ٢٥ عاما على رحيل ذلك الاديب الكبير والانسان الفذ الذي كرس حياته لخدمة شعبه وتراثه وتحول في مماته الى رمز من رموز المخلصين لهذا الشعب والعاملين من اجل تقدمه وخيره والذي تشكل هذه السطور كشفا لجانب واحد من جوانب حياته الواسعة المثمرة ومن خدماته الجليلة لبني قومه وهو رجل الدين المؤمن الذي لم يعرف التزمت والذي كان كما ذكر الاستاذ محمد جميل الروزياني في الحفل التأبيني الذي اقيم لمناسبة اربعينيته.. انه كان يحب الموسيقى والمقامات الكردية وكان يترنم بها في الخفاء، وهو الذي عاش منزويا في معتكفه لكنه ظل قريبا من الناس رغم بعده عن الاضواء والصخب فعمل بصمت واخلص وقدم نتاجات هامة لايمكن تجاهلها وستظل شاهدة على فضله وعلمه واخلاصه وحبه لشعبه وهي التي الحقته وبجدارة وبالالتصاق مع جملة مواقف بموكب الخالدين في التاريخ فسلام عليه في العليين مع الشهداء والصادقين.
- المراجع
- ١ - الواقعية في الادب الكردي- الدكتور عز الدين مصطفى رسول- بيروت ١٩٦٦ (ص٢١-٢٤).
 - ٢ - ميزوو- دوكتور كه مال مه زهه رئه حمد (١٤٤-١٤٨) مطابع دار افاق عربية- بغداد ١٩٨٣.
 - ٣ - نفس المصدر المذكور (ص١٨٢-١٨٤).
 - ٤ - الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى- عبد الرقيب يوسف (ص٥) مطبعة اللواء بغداد ١٩٧٢.
 - ٥ - ئه ده بى فولكلورى كوردى- دكتور عيزه دين مسته فا ره سول (١٤٠-١٥٢) به غدا ١٩٧٠ز
 - ٦ - وقائع الحفل التابيني المقام في جمعية الثقافة الكردية في اربعينية الاستاذ علاء الدين السجادي جريدة العراق ع ٢٧٥٦ في ١٩٨٥/٢/٢١.
 - ٧ - اعداد من مجلة (نزار) الصادرة باللغتين العربية والكردية لسنة ١٩٤٨-١٩٤٩.
 - ٨ - مؤلفات الفقيه المشار اليها ضمن الموضوع.

محطات ثقافية

الکرد في مذكرات الميجور نوئيل

تأليف: الميجور نوئيل

ترجمة: حسين احمد الجاف وحسين عثمان نيركسه جاري

عرض وتعليق: د. شعبان مزيري

الکرد في أوجه وبارزا للأعيان خاصة لدى العشائر الكردية في كل من منطقة (دياربكر، وارضروم وملاطية) وفي كردستان العراق في السليمانية حيث إن الشيخ محمود الحفيد كان يقود فصائل مسلحة ويحارب القوات الانكليزية في السليمانية وكركوك وكذلك الحال بالنسبة للعشائر الكردية في مدن زاخو وعمادية وكانوا كرد العراق يشكون في نوايا الانكليز وادعاءاتهم الكاذبة بتحرير كرد تركيا في الوقت الذي كانت تحارب كرد العراق ولهذا السبب انتفضت العشائر الكردية في كل من زاخو وعمادية وعقرة واربييل والسليمانية وكركوك وكفري بوجه القوات الانكليزية المتواجدة في المناطق الكردية لأن اغلب الوعود التي أعطاه الانكليز للکرد لم ينفذ واحدا منها وأصبحت حبرا على الورق وهباء منشورا في الهواء وبالمقابل كان

منورا حيث كان قد أكمل دراسته في بلجيكا وكان يناضل من اجل تحقيق طموحات شعبه في الاستقلال والتحرر من السيطرة التركية ويؤمن بفكر التعاون مع الانكليز من اجل تحقيق هذا الهدف وكان قد تم إلقاء القبض عليه بسبب أفكاره القومية الثورية من قبل والي دياربكر وأودعه السجن ولكنه استطاع الهروب من السجن حيث لجأ إلى مدينة حلب واستقر فيها. وفي حلب كذلك التقى الميجور نوئيل بالكولونيل ويلسن وان الأخير كان قد أعلن عن فكرة إقامة دولة كردية في كردستان التركية تحت الانتداب البريطاني ويشمل المدن الكردية بما فيها (وان، تبليس، ودياربكر، ومعمورة العزيز) وغيرها من المدن وعندما طرح كولونيل ويلسن فكرة تأسيس دولة كردية تحت انتداب بريطاني كان الشعور القومي لدى

يتطرق المؤلف في مذكراته الموسومة بـ (مذكرات الميجور نوئيل في كردستان) إلى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للشعب الكردي وعلاقة الكرد بالأرمن والآتراك، بما إن الكتاب هو مذكرات شاهد عيان حيث كان المؤلف قد قام بجولة في كردستان الشمالية والتقى بشخصيات كردية مرموقة أمثال الشيخ عبد القادر الشمرزيني رئيس الجمعية الكردية في اسطنبول ونجل الشيخ عبید الله النهري وسيد إبراهيم من الشخصيات الكردية المرموقة في منطقة ديرسيم.

وأمين عالي بدرخان والد كل من مير جلادت بدرخان وكاميران بدرخان وان الأخير كان قد رافق الميجور نوئيل إلى مدينة حلب وهناك التقى بالشخصية الكردية (أكرم جميل باشا دياربكري) وان الأخير كان شابا مثقفا وواعيا

هناك النخب السياسية الكردية في تركيا والمنوريين والمثقفين الكرد صموا أذانهم ولم يستجيبوا إلى نداءات كرد العراق وأنهم كانوا يحاولون إقناع الشعب الكردي بأن الانكليز صادقين في نواياهم باتجاه كرد تركيا وحتى إن الشيخ عبد القادر الشمزيني رئيس جمعية الكرد في اسطنبول واحد أقطاب الكرد المعارضة للحكومة التركية عندما التقى بـ(احمد تقى) في اسطنبول كما ورد في مذكرات احمد تقى(قال له الشيخ عبد القادر الشمزيني أقام الانكليز في السليمانية حكومة محلية برئاسة الشيخ محمود الحفيد وان الانكليز وعدوني أيضا(أي كلام للشيخ عبد القادر) بتأسيس حكومة كردية في كردستان تبين وأنهم أصحاب نيات سيئة ولكن مع كل هذا اطلب منك إن تبلغ الشيخ محمود الحفيد بأن يستمر في التعاون والتعامل مع الانكليز حتى نتعرف على نواياهم الحقيقية باتجاه الكرد وفيما سيقرون في مؤتمر الصلح الذي سوف يعقد في مدينة(فرساي) في فرنسا حول مصير كردستان ثم كتب الشيخ عبد القادر الشمزيني رسالة خطية للشيخ محمود وسلمه ليد(احمد تقى) لأخذها معه للشيخ محمود الحفيد) وكانت هناك فكرة لدى الأوساط

الغربية محاولة وضع الكرد تحت سيطرة الارمن لأن فكرة تشكيل دولة ارمنية كانت مطروحة لدى النخبة السياسية في كل من لندن وموسكو وباريس واختمرت. ويقول الميجورنوئيل في الصفحة (٢١) من مذكراته(عندما التقيت مع بعض الفلاحين في كردستان التركية ولاية الملاطية وتعرفت على مشاكلهم وما يعانون منه عن الرق ولد لدي شعور قوي بأن الشعور القومي موجود لدى هؤلاء المواطنين البسطاء والتمست كذلك بأنهم يكرهون الأتراك وعندما طرحت على بعض منهم الأسئلة هل ترضون إن تعيشون تحت سيطرة دولة ارمنية فكان ردهم عنيف ويقولون لا يجوز بأي حال من الأحوال ان نعيش تحت سيطرة دولة ارمنية وهم (أي الكرد) يريدون إن يعيشون أحرار مستقلين بعيدين عن سيطرة السلطات التركية. ثم يضيف قائلاً وفي الصفحة (٢٩) قلت لهم من انتم فكان ردهم سريع وقالوا نحن الكرد وان المناطق التي نسكنها هو موطننا الأصلي ولسوء الحظ ابتلينا بالأتراك وان الفلاحين البسطاء يطلقون على الأتراك اسم (رومي) والروميون هم قساة القلوب وطفاة من وجهة نظرهم.

وفي مدينة الملاطية التقى الميجور نوئيل برئيس بلدية المدينة خليل بك وهو من أبناء عائلة بدرخان بك وكان عم لكل من كاميران بدرخان ومير جلادت وان خليل بك واحد من مثقفي الكرد ومنوريين وطنيين وشجعان شارك في تأسيس النادي (جمعية في بعض المصادر) الكردي في اسطنبول واصدر صحيفة كردية وكان أملة إن يقوم الانكليز بتحرير كردستان من قبضة الأتراك. وفي الصفحة ٦٢ يقول اتصل خليل بك بالوفد(هيئة الإغاثة الأمريكية) في الملاطية وابلغهم بأنه إذا حدث حرب بين الأتراك والدول الحلفاء فان كرد منطقة الملاطية سوف ينتفضون بوجه الأتراك ويقومون بتحرير أراضي منطقة الملاطية من سيطرة الأتراك. وفي البرقية التي بعثها الميجور نوئيل إلى مراجعه العليا يذكر فيها بأن الشعور القومي لدى الكرد في مدينة عينتاب وملاطية كبير وأنهم يكرهون الأتراك والحكومة التركية أيضا. ويضيف قائلاً أنهم ينتظرون فرصة تسنح لهم للانتفاضة بوجه السلطات العثمانية وأنهم مهيئون للقيام بالانتفاضة ولكن هذا الشعور القومي مخفي بينهم، خوفا من

بطش السلطات التركية لهم وكذلك الحال في مدينة ديار بكر وارضروم وكانت هناك حركة نشطة تجري بين الكرد ضد مطالب الأرمين والذين كانوا يحاولون كسب ود الدول الغربية بما فيها روسيا وبريطانيا لتأسيس دولة ارمينية على الأراضي الكردية ووضع الكرد تحت سيطرتهم ويضيف الميجور نوئيل قائلاً: من خلال مراقبتي للوضع العام توصلت إلى نتيجة بأن الكرد يرغبون وان شباب الكرد في ديار بكر وارضروم يقومون بنشر مثل هذه الدعوات ويروجون لهذه الشائعات وأنهم مستعدون إن يخدموا المصالح البريطانية في المنطقة من اجل تحقيق ما يطمحون إليه وان الحكومة التركية قد شعرت بخطر المد الثوري لدى الكرد ورغبتهم في التحرر، وهذه المخاوف دفعت بوزير الداخلية التركي إن يبعث برقية مليئة بالأسئلة والاستفسارات حول الوضع الأمني وخطر المد الثوري الكردي إلى والي ولاية الملاطية الأستاذ خليل بك. وتضمنت البرقية بعض التساؤلات

حول إمكانية إلقاء القبض على المحرضين الكرد من البدرخانيين الذين كانوا يعملون ضد مصالح الدولة التركية ويحثون الأهالي بالانتفاضة ضدهم ويتعاونون مع الانكليز لتحرير كردستان من قبضة الأتراك وان زيارة الميجور نوئيل إلى المنطقة الكردية في تركيا يصب في هذا المضمار وكما جاء في التقارير التي رفعت إلى وزارة الداخلية التركية توضح بان الدعاية الإعلامية التي كان يقوم بها ثوار الكرد من المحتمل إن تكون ضررها ومخاوفها اكبر مما نتصوره. وفي نهاية البرقية يطلب من والي ملاطية خليل بك ببيان رايه حول مجمل ما ورد من التساؤلات في برقية وزير الداخلية وفي الرد لوالي ملاطية خليل بك والذي بينها على شكل نقاط قائلاً:

١. إن الميجور نوئيل مصر على إن لا يدفع بتقليل من شان نفوذ حكومتنا وإلحاق الضرر بها.

٢. إن الدعاية الإعلامية التي يبثها البدرخانيون لم يكن له

ذلك التأثير الفعال القوي على حكومتنا(التركية) وان صحيفة (سه ربه ستي) ومطبوعات أخرى التي تصدرها النادي الكردي في اسطنبول والتي يشرف عليها البدرخانيون كانت لها تأثير كبير وواضح على مجريات الأحداث ولم تقوم الحكومة التركية بأي إجراء ضدها.

٣. إن إلقاء القبض على البدرخانيون في رأينا غير صحيحة لأن الإقدام على مثل هذا العمل سوف يؤدي إلى تفجير الوضع الأمني والسياسي في المنطقة وأنه سوف يؤثر على مجمل الأوضاع السياسية في كل المناطق التي يسكنها الكرد في تركيا وإذا ما حدث ذلك فانه ليس باستطاعتنا السيطرة على الأوضاع السياسية في المنطقة بدون أرافقه الدماء.

٤. وفي رأبي الشخصي لـ(خليل بك والي ملاطية) إن الادعاءات الإعلامية التي يروج لها البدرخانيون ليس لها أي تأثير على الوضع السياسي ولم يؤثر علينا.

تأملات في حال حقوق الإنسان .. والمساواة .. ومكافحة الفساد

بقلم: فاروق حجي مصطفى

الأساسية في بناء الديمقراطيات إذ كنا بحاجة إليها ولا نعتقد ان ثمة دولة تنبذ الديمقراطية، فكل الدولة خصوصا إذا كانت مرتكزات بنائها حداثوية سوف تكون مدعية الديمقراطية أو تتمناها.

حتى الآن لم أجد أحدا سواء أكان حاكما أو فردا عاديا يحارب النظام الديمقراطي فالذي يحارب الديمقراطية هو ظلامي أو جاهل ، فالدول تتباهى بالديمقراطية وتريد إحياء الرأي العام بأنها ديمقراطية ومصونة فيها حقوق الإنسان طاغية على الحقوق الشخصية التي تفضل مصلحتها، حتى الإسلاميون عند تفسيرهم للآيات و الأحاديث يبغون تقريب وتفسير قواعدهم وعقائدهم الى الديمقراطية .

فالديمقراطية شعار جذاب الكل يريد بلوغها أو يدعي ذلك. ولذلك من الضروري أن يتم البحث

واستعادة الحقوق. والاهم ان منطقتنا وبحكم جغرافيتها وتاريخها وأنماط معيشتها بحاجة الى الهدوء والاستقرار ولعل ثمن ذلك شعور أبناء هذه المنطقة بالحرية،والكرامة والتمتع بكافة الحقوق. كم يكون جميلا ان تطوى صفحة تطاول الكبير على الصغير أو القوي على الضعيف أو القومية الغالبة على القومية المغلوبة وان تسوى الهامش مع المتن وان يكون بلوغ المتن شروطه بوجود المؤهلات العلمية أو القدرية أو الإنتاجية لا ان يبقى هامشيا لأنه قبل ذلك كان هامشيا لونا أو لغتة أو تاريخاً أو انتمائاً لهوية عرقية ما خلاه يبقى في خانة الهوامش.

فالمساواة حاجة المجتمعات وهي تشكل حالة نفي للعنصرية بشتى أنواعها ،فتحقيق المساواة يعني تحقيق الرفاه الاجتماعي وبالتالي تحقيقه التنموي وهي من اللبنة

ربما مثل بقية المتأملين من الناس والمهتمين كنت أتمنى أن تطوى صفحة المظالم بحق الإنسان في منطقتنا ، وكانت إحدى أمنياتي كما الطفل في الأعياد التي ينتظرها بفارغ الصبر والفرح هي أن تشرق البيانات وتشتع خبراً على صفحات الصحف والشاشات الإعلامية مفادها إطلاق سراح كافة سجناء الرأي ، لأنه وببساطة كبساطة الماء في انسيابه وجود أي سجين رأي هو بحد ذاته مشكلة أمنية واجتماعية،ولها تداعيات وانعكاسات على الوطن وكذلك على الشعب.

وبمعنى آخر أحننا يتمنى صدور عفو عام للسجناء السياسيين والرأي،ولعل هذا يساعد على الاستقرار ويساهم في التئام الجروح ويزيد من اللحمة المجتمعية،فكلنا يعلم إن الناس بحاجة الى عفو عام ، وبحاجة الى رفع المظالم،

في صفحاتنا من قبل حكومات المنطقة بحق الشعب الذي يمارس حياته سواء في السجون أو المنافي الخارجية و حتى داخل أوطانهم.

حق الفرد وودوره

لكن وكما نعلم ان الديمقراطية غير مجردة من المساواة، والأنظمة الديمقراطية هي أنظمة تكون فيها علاقة الفرد بالسلطة مبنية بشكلها الصحيح والسليم وفي الأنظمة الديمقراطية تحسب الحكومات دور الشارع وهي تعمل ليلا - نهارا لتكتسب رضى الناس. وفي دوره يقف الناس خلف الحكومات ويدعمها في العمل الصحيح وتنتقدها عندما تنزلق نحو الديكتاتورية أو الاستبداد الذي هو نتاج غياب دور الأفراد والمجتمع.

فالمجتمع الذي يسوده سيادة القطيع لا يمكن ان يقبل الديمقراطية ولا يكون هناك مساواة،الحكومة الرشيدة هي الحكومة التي تعمل لأجل الرفاه الاجتماعي والتي تقاتل لأجل تحقيق العدل ونبذ المظلومية.

والحق احدنا يبقى قلقا على مستقبله خصوصا عندما يرى خيرا مفاده كبح الحرية وزوال المساواة. اهتمام بحقوق الإنسان هو شئ مقدس بالنسبة للناس وللحكومات.انما الفرق بين الاثنين

هو الغاية. فغاية الناس هي غاية نبيلة بالمقابل غاية الحكومات هي غاية انتهازية(مصلحية). تجدر الإشارة ان غالبية الحكومات في منطقتنا تغدو بتشابه في السلوك والممارسة واغلبها لا تسمع رأي الشارع ولا تعير اهتماماً للرأي العام لأنها بالأصل لم تأتي بإرادة الشارع أو المؤهلات الشرعية أو عبر الانتخابات. فالحكومة التي لم تأت عبر الانتخابات لا تخاف من الناس أو الشارع وبالتالي إنها مغرقة في الفساد. ووجود الفساد يعني غياب المساواة ويعني الاستهتار بالدولة ذاتها وبهذا المعنى ان الحكومة لا تنظر الى الناس والدولة من منطق الحفاظ عليها إنما من منظار حماية الطبقة الحاكمة حتى وان كان عبر إبراز السوط وبناء المعتقلات وزج أصحاب الرأي وفاعلي المجتمع المدني والحقوقيين في السجون.

الفساد يتفشى في ظل غياب دور المجتمع في الدولة ويتكاثر كالقنطريون عندما تغيب الدولة المؤسساتية وسياسة فصل السلطات . وللإشارة ان سياسة فصل السلطات هي معيار الدولة وديمقراطيتها.

السجن تحد كبير

ولكن الم يحسن الوقت لتطوى صفحة الغبن بحق النشطاء؟ عند قراءة التقارير الصادرة من

المنظمات الحقوقية غير الحكومية ومن منظمات المجتمع المدني نأسف على حالنا ووضعنا إذ يزيد تشاؤمنا كون حقيقة بلداننا تشي بالمأساة خصوصا وان المسألة تتعلق بحال السجون حال السجون فقط. اذاً في وضع يرثى له.و خارج منطقتنا ثمة النظر الى حقوق الإنسان بشكل متطور حيث هذه الحقوق وحسب وجهات النظر الحديثة لم تقف حقوق الإنسان في حدود حقوق الأفراد إنما تشمل حقوق المجتمعات وحق تقرير المصير للشعوب. لم نصل الى هذا الحد لأننا ما زلنا في دوامة حقوق الأفراد وحال السجون، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الان، هل السجون ستبقى دائما ردعا وتخيف المجتمعات؟ طبعا الجواب هو لا، السجون ربما تفعل فعلها وتسكت بعض الأصوات بفعل المسكنات . الأصح هو إعطاء الأفراد والمجتمعات حقوقها وليكن نقاشنا في الأعوام الأخرى حول كيفية تحقيق الرفاه الاجتماعي وبناء دولة المؤسسات وهي الوحيدة التي تصون الحقوق وتبقى رادعا لتفشي الفساد وتحقيق المساواة بين الأفراد والمجتمعات وتؤسس العلاقات الصحيحة بين المجتمع والحكومة.أملي ان يعتر كل إنسان بحقوقه وكرامته بعيدا عن الغبن.

قرايين

جان ايزيدخلو

المصطفات على زوايا تلك اللوحات الصغيرة، متأملة المشهد شبه الصاحب عاجزة عن احتضان ذويها أو إستحضار المشهد المنسيّ الذي ربما يُريد المأساة هولاً.

لكل لوحة طعم الموت، لكل موت طعم الكره. هكذا أراد الغريب أن يعبر عن نفسه ليرتطم مرة أخرى بحجارة تكسرت أمام كرامة الإنسان الذي ما يخل بشيء بقدر بخله بذرف الدموع. «الدموع تعني الإستسلام» هكذا أرادت الأفئدة أن تعبر عن كرامتها التي أراد الغريب سلبها ببضع جثث، ظناً منه أن الإنسان هنا قد يتخلى عنها بخلق لوحات مبتكرة ممزوجة بكره بليد، ليستقبل الرد بصفحة لم يتخيلها إلا على هذه الأرض التي أبت إلا أن تكون مدفن الحقد المشهور علناً. ذكر الموت هنا تجاوز الموت نفسه، ليُعرف بكلمات اختص بها ذووها وليعجز عن تفسيرها كل

أناس تسارعت إلى منع أسباب الموت عن أفئدتها تحت ضربات الغدر فاستقبلتها الأفئدة أجساداً ممزقة ضمن أخشاب غُلقت بألوان الكره وبأصناف ترتقي إلى مستوى الحقد الموروث. هنا تستقبل آذان الأرض شعارات غريبة من أفواه غريبة، شعارات امتزجت بالموت حتى أثقلت كاهل الأرض نفسها. هنا يمتزج الكره بمنابع الأيديولوجية الأبدية والفكر الأبدى والحقد الأبدى ليكبّل كل الحجج الأبدية. أمّا ذاك الإنسان المنسي حتى في كراسات الموت، يتأمل المشهد من داخل حجرته المستطيلة مستغرباً ما آلت إليه حالته تلك. مشهد عجزت عن وصفه كل أجناس الأقلام التقليدية التي جهدت عبثاً بتعبير ركيك حتى أصبحت من الجناة أنفسهم لتكتمل الصورة التي أبت التعبير عنها إلا دموع تجمّدت على وجنات الملائكة

عندما يأخذ الدماء باتجاه منحى اللقمة التي يزداد طعمها إحمراً لتمتزج بدماء الإنتماء، تغدو هذه الأخيرة منحى بحد ذاتها. الكل منشغل بنسج حكايات هؤلاء «المغدورين» حسب مأربه الفكري وكأنهم -الموتى الأحياء- نهبوا السكينة المرمية على جثث المتنبئين. للموت هنا طعم الخبز الرطب المبلل بعرق الكوردي الذي بات غريباً بين أهله، يركض خلف رغيفه في بلاد التناحر ليترك وراءه المستوطنين في تبجل نسبي واضح بتربة الغير. وليغدو هذا الغريب عن الأرض والأهل السيد الأوحده للمكان المنسي في قلب جوم.

هذه البقعة التي ما رحل عنها أحد إلا بعد إجتثاث الجذور المصدّفة ضمن مشاريع الموت إستثناءً، هذا المكان الذي ما استطاع أحد المساس بساكيهه إلا بعد إقتلاع كروم العنب والزيتون معاً.

الأوراق المتناثرة على رفوف الجُماد. هنا يُعاد إبتكار الموروث عسى أن يبتلي به العقل الممزق بين إنتماء أصبح بلائاً موروثاً وكرامةٍ يُراد لها مسخ مبطن يرتقي إلى مستوى الفناء نفسه.

جمهرة حمقاء تلك التي توهّمت لبضع لحظات بنصرها، فتبجّلت بزيّف واضح يومئ إلى حجم إنهيار البنى الفكرية التي رُسّمت معالمها بأيدي افتقرت إلى فهم أجدية المكان المراد مسخه. جمهرة استنبطت وجودها من مبادئ الأوحديّة الفجّة التي استنبطت وجودها من اللاشيء الأبدي، تلك المبادئ التي تبوّأت ذروة القهر العمد والإستعباد العمد والإفناء العمد، فاضطرت إلى إعادة صياغة نصوص مُبجّلة خاصة بها لتبجّلها ورفع شأنها إلى مملكة «المقدّس» بحدّ سُمّي بحد الموت

استطراداً.

القاع، هذا الذي افتحم الذاكرة الكوردية بأربعة وعشرون نرجساً فابتلى بقدرها. فللقدر هنا طعم الدم المراق، وللموت هنا طعم الحياة، هاتان الكلمتان اللتان ارتبطتا بوجود الكوردي إلى ما شاء هو. مشيئة صقل الكوردي بها وجوده الذي يتردّص به كلّ على هواه. فأصحاب الرسائل الخالدة استنبطوا وسائلهم الخاصة لتحقيق مشاريعهم الخالدة تلك، فلجّؤوا إلى ما أمروا به تبعاً لأوحياتهم «المقدّسة» تلك وألحقوا به كراساً مسطّراً بتراتيل القتل «الحلال». أما مريدي العدن -أقرباء الأمس- أصحاب الرسائل «المقدّسة» فالتجّأوا إلى إبتداع المسخ الجزئي ليضيفوه إلى القتل «الحلال»، مسخٌ أودى بالكوردي إلى نسيان بعده الخليجي ربما

عمداً. أما الآخر فاضطر إلى نسج ما استطاع من مكائد ليضيفها إلى القتل «الحلال» أيضاً، مكائد كادت أن تؤدي بما تبقى من تباهي الكوردي بوجوده.

هنا كاد المشهد أن يكتمل ليروي ما تراءت منه أوراق التّاريخ، فاختلط طعم النبيذ بالزيتون كاختلاط القدر بالوجود حتى أصبح للقدر نكهة النبيذ الذي اختلط بالسنوبر، وللوجود نكهة الزيتون الذي اختلط بالبلوط. النبيذ والزيتون هذان اللذان حُضّرا بأيدي نساء الجبال هنا، النساء اللواتي أبت إلا أن تلقنّ الغريب معنى البقاء. للأمّهات هنا ما لا يتوقعه الغريب، أمّهات ينسجن الحياة من الأشلاء-الأفئدة لتلقنّ الموت معنى الموت. أمّهات ربما استوعبن قدسية المكان، فاكتفت بنظرات أربكت المشهد نفسه.

نوروز ومنظومة الكرد الاجتماعية

يوسف يوسف

به من القصائد والكتابات النثرية، من شأنها إثراء ذائقته المعرفية وتطويرها، بالإضافة إلى إمتاعه، وهو في الجانب الآخر من فوائده الثرة، يفيد الباحث في منظومة الكرد الاجتماعية وجوانبها المتعددة الوجوه، بإعطائه مادة عليها العثور على عدة مداخل وليس واحدا للوصول إلى ما هو في الأعماق من حياة هذا الشعب، الذي بقي نوروز أحد تحديات وجوده الكبرى، الذي يمكن المحافظة عليه والتشبث به، باعتباره رمزا لوجود يحاصره طغيان الآخر من مختلف الجهات.

تتوزع موضوعات الكتاب التي جمعها الباحثان بين ثلاثة أقسام آخرها يتكون من بيلوغرافيا للموضوعات التي تتناول نوروز . فأما القسم الأول فإنه يحمل عنوان (نوروز في الشعر الكردي والعربي)،

ويجمعهم على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم السياسية والفكرية، بحيث يبدو في اعتقادنا، كما لو انه الجدار المتين، الذي يحتمون وراءه، خشية أن يتمكن منهم أولئك الذين يسعون إلى تحويلهم إلى مجرد فرائس بشرية يحاولون اصطيادها بهدف ترويضها وتحويلها إلى نسخ شائثة لا خصائص لها كمثّل بقية خلق الله.

من هنا نفهم أهمية كتاب (هدية النوروز في الشعر والنثر للأدباء الكرد والعرب ١٩٣٦ - ٢٠٠٩) الذي شارك في وضعه على هذه الصورة، الباحثان الدكتور عمر إبراهيم عزيز(به تي) والدكتورة فاطمة رشيد حسن الباجلاني. فهذا الجهد الذي يعدّ امتدادا لمحاولات الدكتور عمر التي بدأها في عقد الثمانينيات المنصرم في جمع تراث نوروز، عيد الكرد القومي، يضع القارئ أمام عدد لا يستهان

لا يختلف الكرد عن غيرهم من الشعوب في وجود منظومة اجتماعية خاصة ، تتحدد ملامحها وتبرز مكوناتها من خلال سياق دلالي ورمزي ينتجه العقل الجماعي لهم ، ويختزنه وجدانهم ، وينعكس في سلوكياتهم وحياتهم . وهذه المنظومة في اعتقادنا، هي مما تحتمي في داخلها الشعوب عادة وليس الكرد وحدهم ، وبالأخص عندما تدهمها المحن ومحاولات القهر أو الطمس والتغيب من الوجود.

ونوروز من حيث هو عيد قومي للكرد، بصرف النظر عما يقوله حوله الآخرون وبالذات أولئك الذين يرون فيه مخالفة للاسلام(هكذا)، هو أحد أبرز الرموز، التي يحتمي بها وجدان الكرد الجماعي، شأنه في ذلك كمثّل اللغة والقومية وسواهما من عناصر الاحتماء، ولعله مما يوحدتهم ،

وفيه نقرأ مجموعة من القصائد التي كتبت في نوروز، عبر أزمنة متعاقبة، لشعراء من بينهم كوران، كامه ران ، مولوي، قادر الكويي، عباس البديري، محمد البديري، لطيف هلمت، نوري شيخ صالح، بدر شاكر السياب، بيره ميرد، عاطفة رومانيا، نافع عقراوي، أليس موشوخ، رجاء البهيش.

إن الكثيرين ممن كتبوا عن نوروز إنما بهدف التعبير عن فرحتهم الكبيرة بقدومه، وعلى غرار ما قاله الشاعر العربي البحري

أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبّه النيروز في غسق الدجى
أوائل ورد كنّ بالأمس نوّما
بيد ان ما هو أكثر أهمية
من التعبير عن الفرحة والتغني
بالطبيعة الكردية الجميلة، قيام
عدد من العشراء بجعل نوروز
مدخلا للكتابة عن الهموم الكردية
والثورة والانتقال من حالة إلى
أخرى من حالات الحراك الانساني .
ومعنى ذلك فإن عددا من القصائد
التي يضعها الباحثان امامنا ،
وبحسب ما قلناه في الفائدة المرجوة
التي يتوخاها الباحث في شأن نووز
عند قيامه بقراءة القصائد ، تفتح
أمامنا آفاقا واسعة لاكتشاف ما آل
إليه نوروز في الوجدان الشعري ،

من حيث أنه لم يتحدد بما ذهب
إليه البحري في رؤيته التي تمتاز
بالانطباعية ، وإنما ذهب إلى ما
يمنحه دلالات أخرى ، مثلما في
قصيدة الشاعر الكردي لطيف
هلمت:

فنوروز قصيدة كتبها كاوه الحداد
بمطرقة النار على القمم الحبلية
بالفرح

ليبشّر به الأرقاء بنور الحرية
أو كما نرى في قصيدة الشاعر
العربي بدر شاكر السياب التي
تحمل عنوان (شعب كاوه) التي
منها:

يا شعب كاوه سل الحداد
كيف هوى
صرح على الساعد المفتول ينهار
وكيف أهوت على الطاغى يد
نفضت

عنها الغبار وكيف انقضّ ثورا
يقول كمال غمبار في المقدمة
إلى الكتاب: على الرغم من أن
الحكومات العنصرية كانت تروج
دعايات مسمومة لتشويه قدسية
الاحتفال به ، بأن إشعال النيران
يدل على العقيدة المجوسية
المنافية للقيم الاسلامية ، في حين
أن النار ترمز إلى النور والاشراق ،
إلا أن العلامة الملا محمد الكويي
دحض مزاعم بعض رجال الدين
المتزمتين في كلمة قيّمة ألقاها
أمام السراي الحكومي في كويه بين

حشد كبير من الناس ، وهو ما
نتوصل إليه من قول الشاعر عبد
الله بشيو كذلك:

لن (أنورز) هذا العام بدون جبال
لن (أنورز) بدون شذى الأعشاب
لن (أنورز) بدون لهيب النار
الأحمر

وكذلك من قول كوران هو الآخر :
ها هو الكوكب حامل الانسان قد
دار دورة أخرى
فوضع الشعب العريق في عيد النار
مرة أخرى
أي شعب عريق؟ وأي عيد رفيع
الشأن ومقدس؟

شعب ميديا وعيد نوروز العظيم
ذلك نوروز الذي يلوح لهيب نراه
في الريف الكردي منذ آلاف الرباع
وبالنظر إلى ما يشير إليه عنوان
هذه المقالة من علاقة نوروز
بالمنظومة الاجتماعية ، فإنه في
مقدورنا تلمس أمر هذه العلاقة
من خلال التوقف أمام القصائد على
اختلاف مشاربها الفنية وقدراتها
التعبيرية ، بشرط أن تكون غاية
هذا التوقف البحث عما يمكن أن
نراه من ملامح هذه المنظومة ،
عبر طقوس نوروز التي يقوم بها
الكرد في احتفالاتهم ، وبما ينفي
كل الترهات التي يحاول اعداؤهم
إلصاقها بهم وبعيدهم القومي .
يقول الشاعر بيره ميرد:
نوروز... اشتعل مثل هذه النيران

في الانتفاضة كانت الدروع
صدور الفتيات .

إن شعبا تتحول صدور فتياته
إلى دروع لمقاومة رصاص الآخر
الذي يريد قتله ، لا يمكن أن يكون
عيدة القومي كمثل ما يحاول هذا
الآخر ان ينعتة زورا وبهتانا .
ويقول الشاعر محمد البدري:

فيا عشاق كردستان

هيا أوقدوا النار

أنيروا عتمة الجبل

وغنوا بهجة (نوروز)

بالأشواق والقبل

وتقول الشاعرة نوال بوتاني :

نيران نوروز

وسحب الدخان

على سفوح الوديان

نيشان

هذا موطن الكرد

وهذي حدود كردستان

بيد أن عباس البدري يرى من

نوروز آلام الكرد وعذاباته:

في وطني

لا يعرف الرعاية في نوروز

غير "اللاوك" الشجي والغناء

في وطني يمسي طيف السوسن

الليلي

في عيون كلبهار

في وطني..

ستهطل الأمطار

وفي القسم الثاني الذي يحمل

عنوان (نوروز في النثر الكردي

والعربي) فإن الباحثين يضعان
أمام القارئ كل ما أوصلهما إليه
البحث ، بصرف النظر إن كان هذا
الذي وصلا إليه قد جاء على شكل
مقالة أو دراسة ، أو على شكل عمود
صحفي ذي طابع وجداني ، أو على
شكل خبر قصير أو بيان أصدرته
هذه الجهة أو تلك بمناسبة نوروز.
لذا فإننا أمام عنوانات كثيرة ،
غاية الباحثين من وراء الاتيان
بها إلى متن الكتاب ، التوثيق من
جهة ، وفتح المجال أمام الباحثين
لاختيار ما يناسب توجهاتهم ،
حتى وإن كان الكثير مما يأتيان
به لا يمكن اعتباره مما يحمل
قيمة تعبيرية تمكن الإشارة إليها
. ومن بين هذه العنوانات (نوروز
في الأدب العربي) و (نوروز يبتسم
زهرا آخر) و (نوروز ضمير الشعب
الكردي) و (احتفالات نوروز
السنوية وخلفياته الفكرية) و (
شعبية ثورة نوروز) و (الفنانون
العراقيون.. غنوا وسيغنون لنوروز
وللواقع الجديد) و (احتفال الحزب
الديمقراطي الكردستان في ذكرى
أعياد آذار ونوروز).. إلخ.

قد يرى بعض القراء أن
الباحثين قد جاء بما هب ودب،
وأنهما قد وضعوا ما لا يعتبر ذا
قيمة فنية كبيرة ، إلا أن الأمانة
العلمية والصدق في التقصي ،
كلها تحتم عليهما القيام بما

قاما به وعلى هذا النحو الذي
لا يمكن التقليل من شأنه ، على
أساس أن عدم التخلي عن اي مما
وقعت عليه عيونهما يعد من
أبجديات المنهج الرصين في البحث
والتقصي، خصوصا وأن الدكتور
عمر صاحب الكتب العديدة وعلى
وجه التحديد ، يعرف ما يمكن أن
يفيد الباحث في أي من موضوعات
حياة الكرد . إن خبرا قصيرا ربما
يلقي الضوء على مساحات واسعة
من حياتهم ، ما كان من الممكن
إنارتها بدون هذا الخبر أو ذاك من
الأخبار التي يزدحم هذا القسم
بها . إنه وهو الذي يدرك موقع
نوروز في الوجدان الكردي ، وكما
نفهم هذا من مشروعه الكبير ، لا
يسعه أن يلقي في علب القمامة أيا
مما تم نشره ووصلت إليه عيناه
، حول شأن كردي يعرف أن عدد
المنافسين لهم فيه ، قد يفوق عدد
من يناصرونهم في اطروحاتهم،
وبالذات منها ذات الطابع المرتبط
بالميثولوجيا الكردية ، من حيث
أنها الدالة إلى وجودهم الفاعل في
التاريخ ، على الأقل وكما نرى هنا
، من خلال ثورة كاوه الحداد ، على
الملك الظالم ، والخروج للاحتفال
بذلك بعد الانتصار عليه : ذلك
اليوم نوروزي يقول خاني :
أهل الحضر والريف معا
تركوا المدينة والقلاع والدور

كانهم أبناء الصحراء وقطاع الطرق مشوا إلى الجبال والسهول صفا.. صفا. أخيرا يمكننا القول أننا أمام جهد كبير قد أتعب صاحبيه. ومصدر التعب لا يتمثل في اعتقادنا بجهد في التحليل - تحليل القصائد والمقالات مثلا، وإنما بما يلزم الباحثين من الوقت لتوثيق كل ما تقع عليه عيون القراء في كتاب يقترب عدد صفحاته من

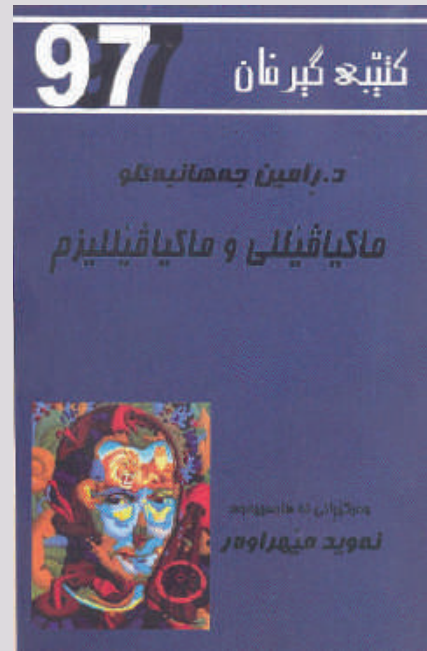
الستمائة صفحة . ولذا فإننا نعدّه من إنجازات الدكتور عمر الهامة ، خصوصا وأنه من الباحثين الكرد المعروفين بميلهم إلى الميثولوجيا والعناصر المكونة لها عند الشعوب ، وبحسب ما نفهم هذا من كتبه السابقة (الفولكلور - القسم الثاني) و (بعض العادات والتقاليد الشائعة بين الكرد) و (هدية نوروز في النثر الكردي) و (عادات وتقاليد الزواج عند الكرد) و (بيبلوغرافيا الفولكلور الكردي) و (القيم السائدة في القصص الشعبية الكردية والعربية) و (هدية نوروز في النثر الكردي) و (هدية نوروز في الشعر الكردي).

اسم الكتاب/ هدية نوروز في الشعر والنثر للأدباء الكورد والعرب (١٩٣٦-٢٠٠٩) تأليف/ د. عمر إبراهيم عزيز، د. فاطمة رشيد الباجلاني مكان الطبع/ أربيل ، ٢٠١٠

من إصدارات سلسلة كتاب الجيب في دار سردم للطباعة والنشر



العراق والكرد
ترجمة: د. عباس مصطفى عباس



مكيافيلي والمكيافيلية
ترجمة: نويد مهراور

الشاعر عبدالله كوران

رائد التجديد في الشعر الكردي المعاصر

حواس محمود

شهرين من ذلك واستمر سجنه هذه المرة حتى أغسطس ١٩٥٨ أي بعد مرور شهر على تحول العراق إلى الحكم الجمهوري ، أصبح أقرب إلى صورة البطل في أعين الشعب والسلطة فأرسل في وفود إلى الإتحاد السوفيتي - السابق - والصين وكوريا الشمالية ، وفي بداية ١٩٥٩ تولى مهمة تحرير جريدة « الشفق » والتي تغير اسمها بعد ذلك إلى « البيان » وفي خريف ١٩٦٠ أصبح كوران مدرّساً للآداب واللغة الكردية في جامعة بغداد ، وفي عام ١٩٦٢ أصيب بالسرطان وأجريت له عملية جراحية متأخرة جداً ، سافر إلى موسكو في إبريل من نفس العام لتلقي العلاج في مستشفى الكريملين وبعد ذلك في مصحة « بريجيج » ثم أعيد إلى كردستان بعد ثلاثة أشهر ، حيث توفي هناك في شهر أكتوبر من نفس العام (١)

مدرسة العلم بكركوك عام ١٩٢١ م إلا أنه تركها بعد مقتل أخيه الأكبر ، وعاد إلى مدينته للاعتناء بوالدته ، فامتن التعليم بين ١٩٢٥ - ١٩٣٧ في مدارس ابتدائية في حلبجة وهو رامن ، وأثناء الحرب العالمية الثانية عمل لدى إذاعة الحلفاء والتي كانت تبث من « يافا » بفلسطين برامج باللغة الكردية تتصدى للدعاية الفاشية ، ونشط كوران سياسياً وناضل من أجل الديمقراطية والسلم في ظل الحكم الملكي العراقي ألقي القبض عليه عام ١٩٥١ لأول مرة مع عديد من المعارضين وظل سجيناً حتى أكتوبر ١٩٥٢ ثم عمل محرراً لصحيفة زين » الحياة » بين ١٩٥٢ - ١٩٥٤ ثم أعيد اعتقاله في خريف ١٩٥٤ وحكم عليه بالسجن لمدة سنة إضافية قضاها في « بدرة » في سبتمبر ١٩٥٦ أطلق صراحه ليعتقل مرة أخرى بعد

لدى الأكراد شعراء أفذاذ يعتبرون من قمم الشعر المعاصر عالمياً ، ولكن قلما تتم الإشارة إليهم وتتناولهم الصحف والدوريات العربية قد يكون لذلك أسباب سياسية وإعلامية تقضي إلى عدم توفر معلومات كافية لدى الصحافة العربية عن هؤلاء الشعراء ، ولكن ومها كانت الأسباب فالأمر يدعو إلى تسليط الأضواء على بعض كبار الشعراء الأكراد الذين استطاعوا الوصول إلى قمم المجد الشعري والنضالي ، ولعل الشاعر الكردي الخالد - عبد الله كوران - أحد هؤلاء الشعراء الذين يفتخر بهم الشعب الكردي باعتباره النجم الساطع والينبوع الدافق والجبل الشامخ في الشعر الكردي المعاصر من هو عبد الله كوران:

هو عبد الله سليمان ولد في « حلبجة » عام ١٩٠٤ ، درس في

موضوعات كوران الشعرية :

يعتبر كوران أستاذاً لمدرسة الشعر الكردي الحديث (٢)، لقد ساهم بشكل جدي في تطور الشعر الكردي ، وتغيير أوزانه وعروضه وإيقاعاته متلائماً مع الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمعه ، لقد دشّن كوران مدرسة جديدة في النصف الأول من القرن العشرين ، ونبذ كوران عملية التقليد والتكرار وأوصل الشعر إلى قمة الإبداع وأحب كوران الجمال وغنى له وتمحور شعره حول الجمال في جانبه : المرأة والطبيعة . لننظر قليلاً إلى بعض قصائده لنرحل في عالمه الشعري الزاخر بالرومانسية والجمال الأسئلة الفلسفية والتمرد والحزن والثورة:

في مقطع من إحدى قصائده يقول:

« يا ذكريات عمري الغابر
حنانيك لا تغرقني حبي البائس
في بحر البعاد » (٣) برومانسية
حزينة وادعة يعود كوران للماضي
لتداعيات ذكرياته، ويحن لحبيبته
بشوق وشغف غريبين مفعماً
بالحنين إلى اللحظات الهائلة
الوادعة وفي جو رومانسي جميل .
لقد وصف كوران الطبيعة كثيراً
وصور جمالها وروعته ولكنها
اعتبر جمال المرأة أفضل بكثير من

جمال الطبيعة ، ويجد كوران أن
الجمال في الإنسان هو الروح والعمل
الطيب ، فالجسد سوف يفنى
ويضمه القبر المظلم بين دفتيه ،
وهناك جمال واحد سيخلد عبر
القرون :

« آلاف من جميلات العيون
ضامرات الخصور قد ضمهن
الثرى المظلم ما كان أجمل
خد من خدودهن المتوردة
وسواد عيونهن ولكن جمالاً واحداً
لن تستطيع ريح الخريف أن تسقط
أوراقه أو تطفئ خضرتة الأبدية
ذلك هو الجمال النابع من
الروح ومن منبع القلب
والمتدفق المنهمر أبداً » (٤) ويكتب
كوران قصيدة لتخط على لوح قبر
فتاة غدر بها شاب ثري ثم أدبر
عنها قتلت بيد والدها غسلاً للعار ،
ويبرز كوران المأساة الإنسانية حتى
تمسخ صورة « فلذ الكبد المذبح
» في عدسة عين الأب ، وتضطر
الأم لحبس دموعها وتخجل من أن
تذرفها جهاراً .. إن هذا التقييم
للإنسان يدفع بكوران إلى أن يرى
الجمال الأكبر في النفس الإنسانية
الطيبة . لقد كان كوران مع الفن
مع المطالب المشروعة مع التمرد
على السلطة الجائرة ، ها هو يصور
صرخة الشعب بوجه الانتخابات
المزيفة تضامناً مع انتفاضة ٦
سبتمبر ١٩٣٠ عندما أطلقت النار

على الجماهير المحتشدة أمام
سراي ساحة السليمانية للاجتماع
للانتخابات المزيفة التي كان يراد
لها إعداد برلمان ليصادق على
معاهدة ١٩٣٠ الاستعمارية الجائرة ،
ويصور كوران صورة البطل الشعبي
« حلوبك » الشهيد ويقول على
لسانه : « أواد يا بلبل حديقة السراي
رغم إننا في فصل الخريف فأنا أسقي
لك دورك بدمائي فأنشد لراثك
وقل لعروستي التي عاشت
مع ليلة واحدة إن جاءني
لا تقولي لي قد مات من أجل
الوطن ولم يحي من أجل حبي ..
واجباً كان علي أن أفدي روحي
لوطني » (٥) ويغني كوران لعيد
شعبه « نوروز » ، وموضوع نوروز
يحتل صفحات هامة من الأدب
الكردي المعاصر ويندر أن تجد
شاعراً كردياً معاصراً لم ينظم
شعراً حول « نوروز » وكوران وحده
تناول الموضوع في خمس قصائد،
إنه يرى في نوروز عيد الشعب
المقدس وانتصاره عيد للحياة
والنمو لكل ما في الوجود، وهو
يصور فظاعة السلطات في قصيدة
« سجن التنين » ويصور الضحك
القديم وقد لبس ثوباً جديداً ثوب
الملوك والحكام المعاصرين الذين
كانوا يحكمون العراق بسجونهم
وخرابهم ومشانقهم التي تذبج
الأنفاس والآمال والأهداف، إنه



كوران إذ يصور نوروز إنما يصور في الوقت نفسه تلك القوة الديناميكية العظيمة التي تأتي وتتحول ، دماء أريقَت ظلماً إنها تنهض في مطرقة « كاوا » مشعلاً ينير الدرب للشعب ويوحد الجموع ويهشم الطغيان ، ويهدم السجون ، ويخلد الشهداء ، يرى كوران في هذه النتيجة انتصار إرادة الشعب أمراً تاريخياً حتمياً يسير بمعزل عن إرادة الطغاة والواقفين بالضد من عملية التطور التاريخي .

يقول كوران:

«سأصنع نوروزي وسأحتفل به

سأجعله حقلاً زاهياً

سأضع عيده المقدس

ككردي مجاهد

نوروز خضرة ربيع

بنسمة تفتح في السهول الرائعة

في هذا العيد أحتض الورود»

وكان كوران دائماً مع الحدث،

ويعد من أبرز الأدباء الذين

انخرطوا في الممارسة الأدبية

النضالية، ذلك أن الأدب النضالي

انطلق مع انطلاق الشعب في ثورة ١٤

تموز وقد سجل هذا الأدب البطولة

الخارقة التي أبداها الشعب والجيش

في الانتفاضة على السلطات الجائرة

المنهارة في لحظات قد صورت أعمال

أدبية عديدة هذه البطولة ، ويقف

كوران في مقدمة من صورها في

أعمال أدبية ، فهذا الشاعر الذي

كان يعيش في عصر الزنانات منذ

سنين وكان يعبر بقصائده العديدة

مثل « أنشودة الصامد » عن بسالة

السجناء وصمودهم أمام التعذيب

والألم لكونهم « جنود أمناء لقضية

عادلة » ويصور كوران منذ اليوم

الأول للثورة شاعره الذاتية

مشاعر السجين الذي كان ينتظر

الموت في أية لحظة وهو في قبضة

النظام:

« صوت بعيد

أبعد من الأفق البعيد

بالكاد يخترق الحدود

فما لونك أبيض أم أسود أم أحمر

تعال واقترّب أكثر فأكثر

هذا الصوت وهذه البشري السعيدة

إنه عرس الجمهورية

يا راقدا في شبر من الأرض

ابتسم في أمان

فقد ولى الموت والفناء» (٦)

ويجسد كوران في قصيدته « قصة الأخوة » الأخوة الكردية العربية ، وذلك بنفس شاعرية ملحمية ويؤكد على تاريخية هذه الأخوة وحيويتها وأهميتها في العملية النضالية كأساس متين لمقاومة الاحتكارات الاستعمارية والخطط الاستغلالية :

« أخي العربي

لمع سيف

وغرق بريقه في دماء

سالت في عنق أبي

على تراب التاريخ

وفجعنا كلانا بأبويننا

الهموم تعصر أعيننا قطرة
قطرة

فتعانقنا وبكينا معا

فجعل البكاء منا أخوين»

نتاج كوران الشعري:

نشر كوران الشعر في أغلب الصحف الكردية التي صدرت من عام ١٩٣٠ وحتى مماته عام ١٩٦٢، وفي عام ١٩٥٠ نشر له ديوان « الجنة والذاكرة » و« الدموع والفن » وظهرت له دواوين عديدة بعد رحيله ونشرت قصائده الكاملة في

عام ١٩٨٠ ، ويمكن القول بأن شعر كوران ينقسم إلى ثلاث مراحل أساسية (٧) من حيث الشكل والمضمون : كان في البداية شاعرا كلاسيكيا ثم تحول إلى الشعر الرومانسي فأصبح شاعرا رومانسيا تمحور شعره في المرحلة الرومانسية حول المرأة والطبيعة ، والمرحلة الثالثة من نتاج كوران الشعري هي مرحلة الواقعية حيث أنه ارتبط - من خلال أشعاره - بقضايا النضال الوطني الديموقراطي ، قضايا الكفاح من أجل الحرية والأمن والسلام ، وكان الصوت المجسد لطموحات وآمال الجماهير العريضة وسائر الوطنيين والثوريين آنذاك ، لقد كتب في هذه المرحلة « سجن الضحاك » وفيها تناول أسطورة كاوا الحداد الذي كان قائد الإنتفاضة الكردية ضد الطاغية الضحاك قرأ كوران لشعراء الأنجليز ويمكن أن نجد تأثير الرومانسيين في شعره ككيثس وبايرون وشيللي (٨) ، ولكننا لانجد تأثير ت.س.إيليويت في شعره كما يدعيه بعضهم ، وهكذا نجد أن الشاعر كوران تميز

بخصائص متعددة: بشعره الغزير الغني بالمضامين المتنوعة وكذلك بكونه الرائد المجدد في الشعر الكردي بما يتلاءم مع المرحلة التاريخية وبكونه الثوري الذي ناضل والتصق بهموم شعبه ، ولقد كان الشاعر الرومانسي والسجين والمناضل ونصير السلم والمكافح من أجل قضايا الشعب العادلة إنه بحق الظاهرة النادرة في الشعر الكردي خصوصا والأدب الكردي

عموما

الهوامش:

- ١- ملف «كوران» ترجمة هيام جاويد - مجلة الثقافة الجديدة - العددان ٥ - ٦ آذار ونيسان ١٩٨٩
- ٢- تطور الأدب الكردي - هيمن موكرياني
- ٣- ديوان «الفن والدموع» بغداد ١٩٥١ نقلا عن الواقعية في الأدب الكردي - عز الدين مصطفى رسول
- ٤- الواقعية في الأدب الكردي - عز الدين مصطفى رسول
- ٥ - المصدر السابق
- ٦- مجلة «هيو» آب ١٩٥٨ نقلا عن الواقعية في الأدب الكردي - مصدر سابق
- ٧- الثقافة الجديدة مصدر سابق
- ٨- الثقافة الجديدة - مصدر سابق



هل تحققت أمنيتك يا بيره ميرد؟

جمعة الجباري *

نشاطه السياسي وتودده لقوميته؛ نقل الي محافظة كربلاء عام ١٨٩٥ بصفة معاون لمدير المدينة، لكنه رفض الذهاب واستقال نهائيا من الوظائف الادارية.. ثم عينه الشيخ مصطفى النقيب وكيلا له لقضاء اعماله وتسهيل اموره.

وفي عام ١٨٩٨ وبدعوة من السلطان عبد الحميد، سافر مع الشيخ مصطفى النقيب والشيخ سعيد الحفيد الي تركيا ونزلوا في ضيافة السلطان، وبعد سنة ذهبوا ثلاثتهم مع عدد من المثقفين والمتنورين الي اداء فريضة الحج.

وبعد عودتهم من الحج؛ منحه السلطان العثماني لقب (بك) فاشتهر بعد ذلك باسم (توفيق بك).. ومن الصدف السعيدة ان الشاعر الكوردي الكبير (وفايي) والسيد احمد خانقاه الكركوكي كانا مرافقين له في طريق الحج وفي

في السابعة من عمره، فتعلم القرآن ودرس الكتب الابتدائية علي يد معلمه الملا حسين كوجه، ومن ثم تعلم علي يد الملا سعيد الزلزلي. ثم تعلم العربية علي يد الملا محمود في جامع جده (جامع همزة آغا) وبعد تقدمه في تعلم اللغة العربية، تحول الي قراءة «السيوطي» ثم سافر مثل بقية الفقهاء الي بلدان ومدن اخري، فوصل الي مساجد مدينة (بانه) في كردستان ايران. وبعد بقاءه هناك فترة عاد الي مدينة السليمانية.

عيّن عام ١٨٨٢م عندما كان عمره (١٥) سنة، كاتباً لدائرة نفوس السليمانية وبعد فترة قصيرة عين كاتباً لـ (الضبط) في محكمة السليمانية وفي عام ١٨٨٣ عين كاتباً لاملاك الهمايوني في حلبجة، وفي ايلول ١٨٨٦ اصبح باسكتابا لمحكمة شاربازير. وبسبب

مثلما ينبت الورد في التربة النظيفة والماء الصافي، كذلك تُنبتُ ارض كردستان الطاهرة عقول متنورة وابداعات فذة تستحق الاهتمام والتذكير، ومن هذا الباب سندخل في عالم المتنور المبدع (بيره ميرد) الذي كرس حياته كلها في سبيل تقدم امته، ومات وهو يردد «كانت امنيتي دائماً ان اري قومي وهم في مكانة من تعلم وتقدم ارفع من هذه، اصبحت حسرة في قلبي..».

من هو بيره ميرد؟

انه الشاعر الكوردي الكبير (توفيق بك محمود آغا همزة آغا المصري). ولد عام ١٨٦٧ في محلة (گويزه) في مدينة السليمانية. كان جده مسؤولاً إدارياً لامارة احمد باشا الباباني آخر امراء البابانيين، ولهذا عرف بالمصري. دخل توفيق بك الكتاتيب وهو



طريق العودة علي طريق الحجاز، توفي الشاعر وفايي؛ فدفنه السيد احمد خانقاه هناك وعاد وحده الي العراق. إلا ان توفيق بك توجه في عودته الي تركيا.

في حادثة طريفة كان لها تأثير في تغيير مسار حياة توفيق بك، وهي عندما هم عزت باشا كاتب ديوان بلاط السلطان عبد الحميد العثماني ان يرد علي رسالة كان قد بعث بها (ناصر الدين شاه) الي السلطان، كلف عزت باشا الحاج توفيق بك بكتابتها، فيتعجب الجميع بأسلوب كتابته بالفارسية وخطه الجميل وذكائه في اجابة الرسالة، لذا يصدر في ١٤ ايلول ١٨٩٩ امراً سلطانياً لانتسابه كعضو في المجلس العالي لاستنبول وفي ذات الفترة ايضا وبواسطة عزت باشا يقبل في «كلية الحقوق» ثم يحصل علي شهادة الحقوق.. عندما اعلنت «المشروطة» في تموز عام ١٩٠٥، انحلت تلك المجالس التي كانت تدير البلاد. فانشغل توفيق بك حتي عام ١٩٠٨ بالعمل في المحاماة والكتابة في المجالات والجرائد.

وقد شغل بيره ميرد مناصب ادارية اخري كثيرة منها:

- شغل منصب قائم مقام جوله ميرك عام ١٩٠٩.
- شغل منصب قائم مقام (بالاوا) في عام ١٩١٥.

- في نيسان عام ١٩١٨ اصبح متصرفاً لمدينة أماسية التركية وبقي هناك الي عام ١٩٢٣.
- عين في ٢٦ شباط ١٩٢٦ مديراً لدرسة (زانستي) الاهلية في السليمانية فخرج علي يده جيل من الكتاب والمثقفين.
- عندما تشكلت الحكومة في العراق عام ١٩٢٣-١٩٢٤ رجع من تركيا الي بغداد ومن هناك عاد الي السليمانية في كانون الثاني عام ١٩٢٥. فبقي فيها دون استلامه لوظائف حكومية، وعندما صدرت جريدة (ثيان) من قبل بلدية السليمانية عام ١٩٢٦ واصبح (حسين ناظم) مديراً لإدارتها ورئيساً لها، اصبح بيره ميرد مشرفاً عليها. وحين توفي حسين

والالغاز، تصلح لأن تكون مشروع كتاب جيد.

الدلالات الخاصة بشعره

كان الشعر عند بيره ميرد يعني (صوت الاعماق).. الذات الانسانية، الخوالج ومنغصات الحياة.. والمذهب الرومانتيكي طاغ بشكل عام علي اشعاره، اما آلام الانسان والارض، روح الوطنية والثورية فتظهر علي اشعاره بشكل خاص جدا.. وتتكون اشعاره من عدة مذاهب ادبية: الكلاسيكية، الرومانتيكية والريالزمية، وليست لنتاجاته الشعرية مراحل ادبية خاصة، كأن يتحول من المرحلة الكلاسيكية الي الرومانتيكية ثم الي الريالزمية، كونه كان يعمل عمل الصحافة كصحافي وشاعر في آن واحد.. وكان عليه ان يصدر جريدته في وقتها المحدد، لذا كان عليه التركيز مع اعماله الصحافية اكثر من تركيزه في عالمه الشعري الخاص، فمثلا كتب في عام ١٩٣٢ شعرا رومانتيكيا ثم في عام ١٩٥٠ وكما مبين في اعداد ثين الاخيرة كتب شعرا كلاسيكيا تقليديا. وبالعكس في عام ١٩٤٨ نشر قصيدة قيمة اخذت طابعا ريالزميا تماما. بيد انه في الثلاثينات من القرن الماضي قلد الشاعر مولوي واصبح صوفيا يعشق الخلوة ويلتجئ الي مزار زاهد ويترجاه لمساعدة قومه

مولوي (الاصل والروح) عام ١٩٣٥ وقد طبعه في مطبعته بجزاين. وسمي النص الاصلي المكتوب باللهجة الهورامية (الاصل) وحوله الي اللهجة السورانية تحت اسم (الروح) أي (روح مولوي) وقد ساعده في تحويل بعض الكلمات الصعبة في اللهجة الهورامية كل من: ملا عبد الله المريواني، ملا عزيز مفتي السليمانية والشاعر الكبير كوران. ديوان مولانا خالد النقشبندي- نشره علي حلقات في جريدته ولم يبق لديه وقت لجمعها في كتاب. اشعار الشعارين (وه لي ديوانه) و(بيساراني) جمع من شتاتها الكثير وحولها من اللهجة الهورامية الكوردية الي اللهجة السورانية. مجموعة من الكتابات النثرية الجميلة جمعها الكاتب (اوميد آشنا) وحققها في كتاب طبع من قبل (دار ئاراس للطباعة والنشر) في اربيل. مجموعة مقالات عن تاريخ الكورد: تاريخ اماره بابان، عشيرة الجاف والكثير من الاحداث التاريخية التي هي مادة جيدة لمشروع كتاب ضخمة. الآلاف من الابيات الشعرية القيمة نشرها في صحيفته، ثم جاء من بعده الشاعر المرحوم (كاكهى فلاح) وجمعها وطبعها في كتاب. العديد من الابيات الفلكلورية والقصص الفلكلورية وقصص الاطفال

ناظم عام ١٩٣٢ اصبح بيره ميرد هو المسؤول عنها ومديرا لها، وفي عام ١٩٣٧ وقعت خلافات بين موظفي البلدية والشاعر بيره ميرد، ادت الي سحب المطبعة منه، لكنه لم يتوقف عند هذا الحد؛ فقام برهن منزله الي مديرية الايتام وحصل علي امتياز إصدار جريدة اخري باسم (ثين). وكذلك اسس (مطبعة زين) واستمرت الجريدة في الصدور الي ١٥ حزيران ١٩٥٠ وطبع منها (١٠١٥) عددا.

كان بيره ميرد ينشر نتاجاته باسم (حاج توفيق بك) الي ان نشر قصيدته (استيقظت في الصباح فرأيت الثلج متساقط) في العدد (٣١٢) من جريدة (ثيان) عام ١٩٣٢ فغير اسمه من حاج توفيق بك الي (بيره ميرد) أي (الشيخ الهرم) فبدأ ينشر نتاجاته بالاسم الجديد وقد كان شاعرا فذا خلد قصائد جميلة واديبا بارعا، سطر نتاجات رائعة مثل (فرسان مريوان الاثني عشر- ١٩٣٥).

رواية (محمود آغا شيوه كه ل-١٩٤٢). (كالتة وكه ب-١٩٤٧) وهي قصص كوميدية ساخرة، رواية (مهم و زين-١٩٣٤)، حكم بيره ميرد -جزءان- ويبلغ ٦٤٤٨ مثلا وحكمة، (كةمانجة ذةن- ١٩٤٢) وهي قصة ألمانية مترجمة من التركية الي الكوردية. ديوان

للنجاة والتوحيد من اجل التقدم. وقد كتب قصائده في العديد من الاغراض الشعرية مثل: الوطنية، الدينية، الحب، الرثاء، الالغاز شعراً، الاجتماعية، القصص شعراً، المناسبةية.. الخ، هذا بخصوص مواضيع وخلاصة اشعاره.

اما ما يخص «الشكل» عند بيره ميرد فليس بذات اهمية، فالموضوع او الفكرة كان هو الاهم لديه. ونستطيع القول ان غالبية اشعاره بعد رجوعه من تركيا واستقراره في السليمانية اخذت شكل نظام الـ(١٠) مقاطع، والذي هو نظام صياغة الشعر الفولكلوري الكوردي، وقد اخذ هذا الشكل الفولكلوري لبساطته وسهولة ولوجه الي قلوب الناس وفهمه وحفظه لديهم. ولا يعني ذلك انه كان غافلاً عن معرفة البحور الشعرية العربية. بل كان بين الحين والآخر ينظم قصائد قوية على نظام البحور الشعرية العربية ليبين جدارته الادبية لاقرانه من الشعراء.

دوره في تقدم الادب والفولكلور الكوردي

عاد بيره ميرد الي السليمانية عام ١٩٢٥ تاركاً وراءه مناصبه كمصرف لمدينة الاماسية التركية، مناصبه الصحافية، دراسته العليا وعمله كمحام في تركيا.. عاد

وكله امل بأن يرى مدينته التي تركها عام ١٨٩٨ وهي ترثى لها، قد تطورت وتحضرت اكثر من ذي قبل، إلا انه صدم عندما عاد وراها على حالتها الاولى، لم يكن رجوعه طمعا للمناصب او المال، بل عاد الي البيت القديم لجده محمود همزة آغا المصري. وبدأ باصدار جريدة ثيان عام ١٩٢٦ ومن ثم اصبحت (ثين) واصدر (١٠١٥) عددا منها، املا في نشر الثقافة المتحضرة والوعي الاجتماعي. ولم يكن سلوكه لهذا المسلك الصحفي، نابعا من الاعتباط؛ بل كان مخاض تجربة شاقة ومريرة لمدة (٢٥) عاما في استانبول التي كانت حينها ملتقى عالمين مختلفين، عالم الشرق المتخلف وعالم الغرب المتقدم والمتقدم. لذا كان يحاول ان يلبس رداء تلك الحضارة المتقدمة على جسد شعبه واشترط لذلك ان يكون التعلم والتعليم اول خطوة لذلك.

ومن جهة اخرى كان سباقاً في فتح مدرسة للبنات في السليمانية ويبحث العوائل لارسال بناتها الي المدارس، فتعرض للكثير من المضايقات والانتقادات الشديدة، ولكنه لم ييأس، بل اخذ ينظم قصائد اقوى عن الفتيات ودورهن في المجتمع وضرورة تعليمهن.. كانت نتاجاته غزيرة وافكاره التقدمية

اغزر. لذا التجأ الى اساليب جديدة لاستخدامها في نشر افكاره وايصال رسالته مثل:

اولاً: الصحافة من خلال نشره لنتاجاته واصداره صحيفة خاصة تعنى بالادب والفولكلور الكوردي. ثانياً: طبع في مطبعته العديد من الكتب المفيدة ونشرها واحيا تاريخ وفولكلور قومه.. عدا ذلك، قسم جريدته الاسبوعية الى ثمانية اجزاء:

١- الادبي: لاهياء الاشعار والادبيات الكوردية المنسية وتركيز الضوء على جوانب مظلمة من حياة الشعراء الكورد ونتاجاتهم، وبذلك حث الآخرين ايضا على ان يبحثوا وينقبوا عن صور وحياة الشعراء. ٢- الاجتماعي: كان يحاول فيه عرض الحالة المتخلفة لمجتمعه. ٣- الاقتصادي: زين كل عدد من اعداد جريدته بمقالة حول اقتصاد بلاده وتطوير اقتصادها. كما تحدث عن هموم الفلاحين والكسبة وآلامهم وكان يتحدث دائما عن فتح الشركات وتبليط الطرق والمواصلات.

٤- الفلسفي: خصص هذا القسم للتطرق الى النظرة الفلسفية للشعر والادب وتحليل ظواهر العالم والفلسفة الاسلامية.

٥- التاريخي: خصص زاوية له باسم (تاريخ واشخاص) وكان

يتحدث في كل مرة عن حادثة معينة وقعت في عشيرة من العشائر الكوردية. وكان يهدف من وراء ذلك تنوير عقول قومه بعدم جدوى تعقيد المشكلات وضرورة العيش كأخوة تحت سقف واحد، وكتب كذلك تاريخ امارة بابان وتاريخ عشيرة الجاف.

٦- العلمي: حاول ربط اهمية العلم بضرورة التعليم وبالتالي تقدم المجتمع.

٧- الديني: كان يسمى هذا القسم (فقهري) وبما انه كان انسانا طيبا زاهدا في الحياة وراعيا للدين، فقد ابرز في هذا القسم عظمة الدين الاسلامي ورجال الدين عبر التاريخ من الكورد وغيرهم. كما نشر فيه على حلقات قصيدته (نالهي پيرى پيران).

٨- القسم الفكاهي: وكان يسميه بـ(مزاحي وفكاهي).. كما زين كل اعداد جريدته ومنذ الثلاثينات بـ(الامثال والحكم) وتتجلى روعة عمله هذا في ان احيا الفولكلور الكوردي من خلال معالجته للامثال والحكم الفولكلورية الكوردية في اشعار منسجمة وخلدها فيها بشكل تثير القارئ حين يقرأها.

وايضا حاول پيرهميرد بالاستناد الي ثقافته واكتسابه للمعارف من خلال تجواله وبحثه في تركيا، ان يطور حركة المسرح وخاصة في

السليمانية. وخصص في جريدته مكانا خاصا للنقد والتحدث عن المسرح والمسرحيات التي كانت تعرض في السليمانية. وكتب ونشر مسرحيات ألفها مثل: (مه م وزين، محمود آغا شيوه كه ل، شريف هموندي) وفي احيان كثيرة كان يوزع ريع هذه المسرحيات على طلاب فقراء وانايس معوزين، لقد حاول پيرهميرد بشتى الطرق ان يحيي اللغة والادب والتاريخ والفولكلور الكوردي ويطوره، واعماله آنفة الذكر دليل دامغ على ذلك.

پيرهميرد وجريدة "كورد"

بعدما تعرضت خلافة السلطان عبد الحميد في بداية القرن العشرين الى الضعف بسبب نشاطات سياسية لشبان ترك، ومن ثم الانحلال بواسطة (حزب اتحاد والترقي)، تغيرت الاجواء العامة في تركيا وبات للصوت اذان تسمعه والاجهار بحرية.

وفي عام ١٩٠٨ اعلن عن اول تجمع سياسي كوردي في تركيا والذي كان قد تشكل عام ١٩٠٧ بشكل سري في زمن السلطان عبد الحميد. وكان اسمه الكامل (كورد تعاون وترقي جمعيسي) ومن مؤسسي هذه الجمعية السياسية: (امين عالي بدرخان، فريق شريف باشا، شيخ عبيد الله زاده، شيخ

عبد القادر افندي) وكان توفيق بك - پيرهميرد - احد الاعضاء البارزين فيها.

اول عمل قامت به الجمعية هو اصدار صحيفة ناطقة باسمها بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٠٨ باسم (صحيفة كورد) صاحب امتيازها (المحامي توفيق بك - پيرهميرد) ورئيس تحريرها (احمد جميل باشا) وكانت الصحيفة اسبوعية في (٨) صفحات. استمرت بالصدور لمدة ٨ اشهر؛ إذ اغلقت في شهر حزيران عام ١٩٠٩ بعد ان منعت جمعية كورد من ممارسة عملها السياسي. كذلك صودرت مطبعة الجريدة من قبل السلطات التركية.

تعد صحيفة (كورد) لسان حال جمعية (كورد تعاون وترقي جمعيسي) ثاني جريدة كوردية في تاريخ الصحافة الكوردية، بعد صدور الجريدة الام (كوردستان ١٨٩٨) حيث صدرت جريدة (كورد) عام ١٩٠٨.

نبذة عن حياته الشخصية

قبل رحيله عن السليمانية تزوج پيرهميرد من (غزالة خان) وكان له منها ثلاث بنات وهن: ١-مهديّة: توفيت وهي طفلة، ٢-آمنة: تزوجت من (ميرزا محيي الدين) شقيق ميرزا فرج، وانجبت بنتان وقد توفيتا بعد ذلك. ٣-رحمة خان: وهي والدّة (فائق

هوشيار واحمد زرنك) وقد توفيت عام ١٩٧٧ ودفنت في تلة (مامه ياره) في السليمانية بجانب والدها. ثم تزوج بيرهميرد في تركيا من امرأة اخرى، وانجب منها خلال فترة ٢٥ سنة التي قضاها فيها هناك ولدان، الاول اسمه (نذاد) والثاني اسمه (وداد). ولد ابنه البكر نذاد في مضيق (هه كبه لي أظه) او (أظه بازاري) حيث كان بيرهميرد ذلك الوقت قائمقاما له، حصل (نذاد) على شهادة الحقوق، وقد زار والده في السليمانية مرتين، المرة الاولى عام ١٩٣٣ والمرة الثانية في اربعينية وفاة والده عام ١٩٥٠. توفي نذاد عام ١٩٥٤ في تركيا وترك من بعده ولدان (اتيلا ومحمد). اما (وداد) ابنه الثاني ولد ايضا في تركيا وحاصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد. زار والده في السليمانية قبل الحرب العالمية الثانية ومن هناك عرج على بغداد ثم الى هندستان وهناك حصل على الشهادة العليا في اللغة

(السانسكريتية).

توفي شاعرنا الفذ بيرهميرد في ١٩ حزيران ١٩٥٠ في الساعة الرابعة بعد الظهر. اثر مرض السكري والكلية، عن عمر ناهز (٨٣) عاما وبناء على وصيته ووري الثرى في تلة (مامه ياره) القريبة من السليمانية. مقطوع مترجم الى العربية من قصيدة (نشيد المعرفة لنوروز) نشرها في (ثيان) باللغة الكوردية العدد (٤٧٠) لعام ١٩٣٦. اليوم بنوروز ازدهر الورد هام البلبل من عشق الورد هو ينشد حبا للورد نحن ننشد طوال الشهور هو هائم فقط للورد نحن املنا رفعة قومنا، البلبل لعشقه الورد يغرد نحن نعشق الام الحنونة لا يولد البلبل من ورق الورد نحن من هذه الثرى المحفوظة مقطوع مترجم الى العربية من قصيدته (سنوات) المنشورة عام ١٩٢٧

سنوات لسنوات كنا اسرى مثل القبج في القفص وهنا كان وكرا لقطاع الطرق بالليل لم نكن نجرأ للخروج والتنزه ليلا دون ارتجاف والآن بوجودكم لا نخاف نروح ونجىء دون مشكلات او خوف آه.. لو يدخل التعليم ايضا للميدان فالعلم وحده يصنع الانسان

المصادر:

-مجلة كولان العربي/ العدد (٤٧) نيسان ٢٠٠٠، مقال للكاتب بمناسبة مرور (١٠٢) عاما على صدور جريدة الام (كوردستان).
-ديوان بيرهميرد - جمع وتحقيق: اميد نأشنا، دار ثاراس للنشر والطبع، اربيل.
- مقالات منشورة في الانترنت.
* xadangv002@yahoo.com
كاتب وصحافي من كركوك

التداخل الأجناسي في الأدب الكردي المعاصر: البرزنجي والباشا أنموذجين

عبدالكريم يحيى الزبياري

ضعف روح البشرية وتضاءل). نتيجة هذا التداخل العنيف الذي يعصف بالروح البشرية ويمنعها النقاء الذي ترنو إليه، ويوجد في النصوص الكثير من العلامات التي تشير إلى جنسه، خلا التجنيس الذي يفرضه كاتب النص، بكتابتة الجنس بعد العنوان، وقبل اسم الكاتب، أو في مكان آخر (ومن أمثلة ذلك: أبنية مميزة في بداية النص، مثل: «كان يا ما كان».. تشير إلى حكاية خرافية.. و«باسم الشعب» وغيرها التي تُعدُّ نمطية لأحكام المحكمة، و«عزيزتي ماري» و«سيدي المدير المحترم»)،

فولفجانج هاينه مان - وديتر فيفجر - النص نوعه ونمطه - ترجمة سعيد سعد بحيري - مجلة علامات - جدة - المجلد ١٣ / الجزء ٥١ - ص ١٤٩ - ١٥٠.

ولكن هذا التجنيس من قبل

ما ينتمي إلى ذلك الجنس؟ هل تكفي بنية أي نص أدبي، أو هياؤه الخارجية والداخلية لتكوين صورة واضحة عن الجنس الأدبي الذي ينتمي له النص؟ إذا كانت تكفي، فإلى متى نظل مأسورين داخل ثوابت الموروث النقدي؟ إن الإبداع بات يُقاس اليوم بمدى قيام النص، بإحداث تغيير فعلي في البنية الداخلية والهياة الخارجية لجنسه الأدبي، وهذا التغيير قد يخضع لصدفة عابرة، أو لأحكام الضرورة التي تفرضها إسقاطات وصراع عناصر الحداثة وما بعدها، في أشكال هندسية وتصاميم داخلية وخارجية، تقترب من الخيال وتنأى عن واقعها المريع، ودوامة القلق المزمّن التي سَقَطَتْ فيها الإنسانية، كما قال برجسون (إن جسم البشرية قد تضخم تضخماً خارقاً للمادة، بينما

يلعب العنوان دوراً كبيراً في عمليات التداخل الأجناسي، ليس اعتماداً على قصدية المؤلف فحسب، بل لأن الأدب الحديث ما عاد يهتم بالفروق بين الأجناس، بحسب استشهاد تودوروف يقول موريس بلانشو عن هيرمان بروخ (تلقّى مثله مثل الكثير من الكتاب الآخرين في عصرنا، ذلك الضغط العنيف من الأدب الذي لم يعد يطبق التمييز بين الأجناس ويريد تحطيم الحدود). ويكمل تودوروف (أمّا عدم خضوع كاتب للتمييز بين الأجناس، فيشكل دليلاً على حداثة أصيلة لديه).

تودوروف - مفهوم الأدب - ترجمة عبود كاسوحة - ترجمة عبود كاسوحة - منشورات وزارة الثقافة - ٢٠٠٢ - دمشق - ص ٢١.

هل أن تشكيل بنية الجنس الأدبي، شرط حتمي، لإنتاج نصّ

هل يعقل ان تكون الكهرباء هي الهمّ الرئيسي للمواطن العراقي؟ في اقليم كردستان وليس في بقية مناطق العراق-هل يعقل ان (يموت الانسان وفي نفسه شيء من الكهرباء)؟ هل من مجيب؟!.

مجلة الصوت الآخر- العدد:

٢١٠- بتاريخ ١٠/٩/٢٠٠٨.

وصف لحالة الواقع المعيش في العراق الجديد، بطريقة ساخرة، هل من الممكن أن نعتبر نص الباشا قصة قصيرة، أم نص مفتوح؟

وهناك نصوص لتفاهتها تحارُ فيها أيضاً، كقول الشاعر من (نوع ب)(كأننا والماء من حَوْلِنا/ قومُ جلوسٍ حَوْلَهُمْ ماءً) وإن توفّرَ في هذا البيت الشّعري شروط الشّعري العمودي، من وزن وقافية، ولكن غاب الفحوى، ومثل هذا البيت نصوصٌ أخرى، من الصعب تجنيسها شعراً أو قصة أو رواية حتى لو استوفت لشروط الجنس الأدبي المزمع، فحيوانات بورخس لا تخلو أن تكون نوعاً من البشر، وهوشيفان قد يكون هو ديكارت أو كانت. والملكة المفقودة هي ملكة الحكم وتتصل بها ملكة الحكمة، وعموماً هي ملكة التفكير، ولكن قبل التأويل: ما هو جنس هذا النص؟ وراو تجريبي كالدكتور عمّار أحمد أدخل السلم الموسيقي في متن السرد الحكائي في محاولة

رائعة(ساعتان، ثلاث ساعات، ليل، نهار، كهرباء وطنية، مولدة المحلة، مولدة شخصية، ثلاثة أمبيرات، عشرة أمبيرات، فول، فول سوداني، فول مدّس، اطفئوا المصابيح، اطفئوا الثلاث، لا داعي للمبردة، الغسالة بيعوها، كانت لدينا مجمدة، مضخة الماء احترقت، ١٠ فولتات، استبدلوا المبردة بالمروحة السقفية، إعلانات السبلت في التلفزيون، أين المكوى الحديدي؟ استخدام الطاقة النووية لتوليد الكهرباء، استخدام الفانوس (واللمبة) للإضاءة، المولدة عاطلة، الكهرباء الوطنية (ماكو)، جيب فلوس المولدة، رمضان كريم، حرّ تموز، فطور تحت ضوء الشموع، تعا، روح، اركض، نام، موت، آخ، أوف ٤٨ درجة مئوية، سد دوكان، مشروع أحمد إسماعيل، سدّ دربندخان، المياه شحيحة، عام ٢٠١٠، عام ٢٠١٥، مشكلة الكهرباء ستحل، أزمة الكهرباء ما تنحل، ماكو ماء لأنه ماكو كهرباء! ماكو كهرباء لأنه ماكو نفض!! ماكو ماي ماكو كهرباء! ماكو يعني ماكو! اويلاخ يابه، حارة، جوعان، رمضان، انطفت الكهرباء، المسلسل راح، آخ يابه، آخ يُمّه، الكهرباء الوطنية، الكهرباء الرئيسية، الكهرباء الفول، سنة ٢٠١٥، سنة ٢٠٢٥، كهرباء، كهرباء، كهرباء!!

ويقول ديكارت "خير للمرء أن يعدل عن التماس الحقيقة، من أن يحاول ذلك من غير منهج" لكن إذا كان من الممكن إساءة فهم كل ما هو لغوي، فكيف بالإمكان تجذّب سوء التفاهم هذا؟ وأين هذا المنهج الذي لا يثير سوء التفاهم؟ نص غير قابل للتجنيس وإن أدرجه البرزنجي تحت مظلة الشّعري. وهذا النص فيه من التعالق النصّي مع قصيدة جاك بريفيّر: "الأسرّ الرفيعة" (لويس الأول/ لويس الثاني/ لويس الثالث/ لويس الرابع/ لويس الخامس/ لويس السادس/ لويس السابع/ لويس الثامن/ لويس التاسع/ لويس العاشر(الملقب بالمحارب العظيم)). لويس الحادي عشر/ لويس الثاني عشر/ لويس الثالث عشر/ لويس الرابع عشر/ لويس الخامس عشر/ لويس السادس عشر/ لويس السابع عشر/ لويس الثامن عشر/ وبعد ذلك لا أحد لا شيء.. ما هؤلاء الناس/ الذين لا يستطيعون/ أن يعدّوا إلى العشرين؟).

جاك بريفيّر- ترجمة صيّا ج الجهم- منشورات وزارة الثقافة- ١٩٩٥- دمشق- ص١٥٨.

وفي نص الكاتب عبدالرحمن الباشا والذي عنوانه ب(هلوسات صائم!!) يسرد الباشا حالة رمضان في ومضة قصصية

لاستحداث جنس أدبي أسماه بالمرواة، وكذلك جميع الحكايات الشعبية التي ساقها في النص كانت من تأليفه، ولم تحدث عملية تناص في أي جزء من المرواة، وإن رواية مثل عوليس لا تخرق قواعد الرواية فحسب، بل تؤسس للانهاية أساليب السرد، وإذا كان غوغول يقول قصيدة النفوس الميتة، فإن عوليس ليست قصيدة ولا رواية ولا ملحمة ولا أي جنس آخر، إنها العالمُ بأكمله، من أعلى نقطة وصولاً إلى سجل عقاري لشارع مغمور.

الحياة اليومية في حالاتها الإنسانية:

نماذج من الإبداع النسوي الكردي في سوريا

لقمان محمود



يخطو الإبداع النسوي الكردي في سوريا، خطوات حيثة نحو تأسيس خطاب يصب في الإنساني والحياتي، بكل إمتداداتها العاطفية والقومية والاجتماعية والسياسية والتاريخية، ضمن إطار مشروع متواصل لإعمار الأمل في الإنسان الكردي المعاصر.

ومن هنا سعت رابطة كاوا للثقافة الكردية في أربيل، إلى إصدار الجزء الثاني من كتاب « صفحات من الإبداع النسوي الكردي في غرب كردستان » كمحاولة لهذا التواصل والحوار والتفاعل مع الثقافات الأخرى. يضم الكتاب مختارات إبداعية لسبعة عشر كاتبة، غالبيةهن شاعرات، بإستثناء مها حسن (روائية)، لافا خالد (صحفية) وثناء الكردي (باحثة).

فبالنسبة للشعر، سأطرق أولاً إلى الشاعرة كجا كرد (١٩٤٤) بإعتبارها أول امرأة كردية سورية كتبت الشعر باللغة الكردية. وبإعتبارها - أيضاً - أول امرأة تلتحق

بالمعاهد الكردية في السليمانية في
الأعوام (١٩٧٢ - ١٩٧٤).

حيث تختلف الشاعرة -
كجا كرد - عن باقي الشاعرات
بانحيازها إلى القصيدة الكلاسيكية
المستندة إلى التراث الشعري الكردي
العريق: (الجزري، أحمددي خاني
وجكر خوين).

وتتبدى انجازها في حصافة
الأسلوب وقوة التعبير، ووحدة
القصيدة، وسلامة اللغة، كما في
هذا المقطع:

ترجلتُ فوق الهضاب العاشقة
كانت الروح ومشاعرها تتعاق
وسريعاً أنبعث ربيع القلب في
المصاف

صرنا أنا والسعادة في
تلك اللحظات صديقين
حيث في أغمارها كنتُ أتوه
في غيبوبة سعادة لا نهائية.

فالتابع للمشهد الشعري النسوي
في كردستان سوريا، سيلاحظ أن
التجربة الشعرية متسلحة بحيوية
الموضوعات الطافحة بالحركة،
والتي لا تنفصل عن الحياة اليومية
في حالاتها الإنسانية الواقعية،
مثل موضوع الحب والحزن الذين
يؤرقان الشعر منذ بدء الخليقة،
كما عند الشاعرة دلشا يوسف:

شمال قلبي هو
في عينيه أروْبُ عسل مُرار
الجب.

شمعتي هو
في كل ليلة

حين تكون أماسي الوحدة
ملتقاي.

ذات يوم، في غُرّة الخريف
وقد نديت الأرض بالرهمة
أضعته دون وداع،
هناك... في شمال القلب!

الملفت عند هؤلاء المبدعات
هو هذا البحث عن آفاق جديدة
في الحياة وفي الكتابة، في فترة
زمنية من عمر اللا استقرار في
المجتمع الكردي السوري، والتي
شكلت عبئاً باهظاً قيدت الحياة
بإرهاق سياسي واجتماعي وثقافي
وجمالي، جعلت معظم الكاتبات
تتوزعن على المنافي: (دلشا يوسف
(في السليمانية، (جانا سيدا) في
تركيا، (آخين ولات) في السويد،
(مها بكر) في ألمانيا، (مها حسن) في
فرنسا، و (كجا كرد) في ألمانيا.

ونلاحظ أن هؤلاء الشاعرات
تتفردن في التمايز والافتراق
والإضافة، في محاولة لنقل النص
الشعري إلى آفاق جديدة، كما عند
الشاعرة جانا سيدا:

كل مساء
تتقد النجوم في
أحضان السماء
كل ربيع
تبرعم الورد
في قلب الأنداء

فقط يداي
تموتان بين يديك
في كل لقاء.

تجليات هذه النزعة الإنسانية
التي تعتني كثيراً بمفردات الواقع
اليومي، أصبحت محوراً جمالياً
وأسلوبياً تقوم عليه التجربة
الشعرية النسوية السورية، بوصفها
استعادة غنائية على ما تنطوي
عليه الذات الشاعرة من شأن
خاص، لاستثمار العاطفة بالعودة
إلى الينابيع الأولى للحب، أو للحزن،
كمحمولات إنسانية لا بد من
اللجوء إليها بحثاً عن أمان شعري.
ومن ممثلي هذه القصيدة
- أيضاً - الشاعرة مها بكر التي
تقول:

جئتُ ولم أجدك في البيت
تركتُ لك أصابعي على مقبض
الباب
حين لم أعر في تلك البرهة
على ورقة يتسع عليها
توثيق دمة
تهرُّ من زفرة إشتياق.

كما لا تختلف الشاعرة آخين
ولات عن هذا السرب الرائع، الذي
أكد مصداقية هذه القصيدة، والتي
في أغلب نماذجها نفساً للمواصفات
المعتادة وللموضوعات الكبرى، رغبة
منها في الإفصاح عن مكونات
الذات المعذبة بلغة لا تفيض على
حاجتها الشعرية المقصودة:

كما أحبك، تعال
حلم ليالٍ.. وسراباً
تعال، رسائلي التي كتبت في السر
أقرأها
وأقرأ كل كلماتي المجهضة.
كما تحب تعال
قل لي أين كنت يوم مقتلتي
وماذا كنت تفعله؟

من هذا المنطلق تكتب أيضاً
الشاعرة نالين داوود بجميع
عناصر الخطاب الشعري المتفاعل
مع مكنونات النفس، ونتاج الحواس
مع الواقع الداخلي والخارجي،
بشوق مؤمن بذاته، وطامح إلى
تحقيق مبتغاه في الواقع الوجودي
الملمس، خصوصاً في قصيدتها

«كاد يقتلني»، التي تقوم على
الشفافية الأسرية والانسيابية، تقول
القصيدة:
كل جزء من ظلي الحزين
المتكوم الأنين
ينهار شوقاً إليك.

*

أشتاقك موتاً

وأنا لا أجراس، ولا نواقيس
ولا مآذن تُغني الفقر في عمري
تسد الجوع في قلبي
تعال نقتال القدر
فالشوق كاد يقتلني.. كاد يقتلني!
وبما أن هذا الشعر هو فن
الاحساس الجميل، والصورة
الناطقة والمعبرة عن أعماق

النفس، فإنه يخرج عن الحدود
الدلالية التي رسمتها لها المعاجم.
لذلك جاء مشغولاً ببناء شعري
مؤثث بمواقف جديدة من الحياة،
باعتباره - الشعر - هو المتبقي
الأكثر مقاومة لحالة الموت.

وكي أفي هذا الكتاب حقه،
أقول: هناك شاعرات أخريات
لهن حضورهن القوي والفعال في
المشهد الشعري الكردي، وهم
يتواجدون أيضاً - وبقوة - في
«صفحات من الإبداع النسوي»
- غرب كردستان - مثل: شهناز
شيخي، آسيا خليل، روفند تمو،
آناهيता حمو، فدوى كيلاني، هيفي،
مزكين حسكو، وديا جوان.

«إشراقات كردية: مقدمة للشعر في كردستان»

للكاتب لقمان محمود.. كتاب ينحاز للشعر ويحتفي بالشعراء

فتح الله حسيني



نتاجاتهم الشعرية في صحف
متنوعة ومختلفة في العواصم
العربية، ولم يكتف بذلك، فحسب،
بل راح يكتب بشغف ونهم كبيرين
عن الأسماء الشعرية اللامعة في قمة
المشهد الشعري العربي، بالإضافة إلى

غيرها، مهما كانت قومية الشاعر
أو مذهبه أو دينه أو اتجاهه، فهو،
أي الشاعر لقمان محمود، قدم
للمشهد الثقافي العربي العشرات،
بل المئات من الأسماء الشعرية
المبدعة، عبر تسليط الضوء على

اقتزن اسم الشاعر والكاتب
الكردى لقمان محمود، على الدوام،
وطيلة ما يقارب ربع قرن من
الكتابة والعمل الصحفي في الصحف
الخليجية والعربية والكردية،
بأنحيازه جداً إلى روح الشعر دون



الى ديوانه الشعري «شعب الثالثة فجراً من الخميس الثالث» ومن ثم قراءة تجربة الشاعر لطيف هلمت في كتابه «كليوباتر وأطفال المطر» وقرائتين في تجربة الشاعر دلشاد عبدالله، ثم دراسة قصائد الشاعر حامد بدرخان، تحت عنوان «حامد بدرخان الذي نكاد أن ننساه»، وقراءة في تجارب كل من الشعراء فريد زامدار، فرياد فاضل عمر، كزال ابراهيم خدر، كاميران حرسان، أوات حسن أمين وقوباد جلي زاده، هذا بالإضافة الى إدراج قسم خاص لـ «قصائد الأنفال» كتجسيد حقيقي للهوية الكردية، ونماذج من الابداع النسوي الكردي، وانطولوجيتان للشعر السوراني والكرمانجي، وأخيراً أفراد دراسة خاصة حول الشاعر الكردي الكلاسيكي الملا الجزري، بعنوان «الجزري مؤسساً

يؤكد الكاتب بان الشعرية الكردية اكتسبت عبر جميع مراحلها بعداً إنسانياً تمثلت في الروح الكردستانية التي ما زالت تنشد الحب والسلام والحرية، فيتطرق الكاتب الى تجارب الشعراء شيركو بيكس في مجموعته الشعرية «مضيق الفراشات» وانطولوجيا الشاعر والكاتب حسن سليفاني من خلال قصائد مترجمة من اللغة الكردية الى اللغة العربية تحت عنوان «قصائد من بلاد النرجس» والوقوف حيال كتاب «سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل الى التأويل» للناقد محمد صابر عبيد، الذي خصصه لدراسة كتاب «قصائد من بلاد النرجس» ودراسته نقدياً والوقوف أيضاً أمام تحارب الشعراء خليل دھوكي، عبدالرحمن مزوري، مؤيد طيب، بيزان آليخان، سكفان خليل هدايت، الشاعر هزرفان، والشاعر شكري شهباز.

يستند الكتاب بعمومه الى عدة دراسات نقدية، منها «البناء السردى ومراتب القصيدة لدى الشاعر شيركو بيكس، ومن ثم المقارنة بين جسد القصيدة بين شاعرين هما أدونيس وبيكس، ثم قراءة تجربة الشاعر والروائي سليم بركات عبر دراسة (كمال الغيبوبة) والتطرق

تقديم كم هائل أيضاً من الأسماء التي ظهرت وتظهر بشكل متجدد في المشهد الأدبي كل عام، وبذلك ظل، لقمان محمود، الصديق، وفيّاً للثقافة من خلال قراءة الشعر والكتابة له، وعنه، وكتابته بوجع خاص أيضاً، إذا عرفنا أن له ثلاث مجموعات شعرية صدرت بين دمشق وبيروت والمغرب.

الشاعر والكاتب لقمان محمود في كتابه الجديد، الموسوم بـ «أشراق كوردية: مقدمة للشعر في كردستان»، الصادر مؤخراً ضمن السلسلة الثالثة عشرة لمهرجان كلاويز الأدبي الثالث عشر في مدينة السليمانية، كاتب يحتفي بطرائقه الخاصة بعدد غير قليل من المبدعين الكرد، على اختلاف انتماءاتهم المكانية، وعلى اختلاف رؤاهم للشعر والدفاع عنه، وعلى اختلاف جنسهم أيضاً، حيث أن الكتاب والكاتب معاً يحتفيان بعدد جميل من الأسماء النسوية الشعرية في كردستان، مثل الشاعرات مها حسن، لافا خالد، دلشا يوسف، كجا كرد، كزال ابراهيم خدر، شيرين. ك، جانا سيدا، آخين ولات، مها بكر ونالين داوود، لأن الشعر، بحسب الكاتب، هو فن الاحساس الجميل والصورة الناطقة والمعبرة عن أعماق النفس، فانه يخرج عن الحدود الدلالية التي رسمتها المعاجم».

خارجها، الذين ما زالوا يتنفسون الشعر أو هم غياب في حضرة الفناء، حيث يظل الشعر الجسر الأكيد للتواصل.

من القطع المتوسط، كتاب يحتفي بالشعر على طريقة خاصة، هي طريقة احتفاء شاعر بزملائه الشعراء، سواء المقيمين في الحياة أو

للشعر الكردي الكلاسيكي». كتاب «إشراقات كردية: مقدمة للشعر في كردستان» للكاتب لقمان محمود، الموزع على ١٣٣ صفحة



التشكيلي عمر درويش

يجسد روح الانسان الذي تغلبه المعاناة والاغتراب

خالد النجار

فيها لأول مرة اقلام الرصاص، ثم انتقلت الى مرحلة استخدام الألوان في أعماله وكانت في العام 1985، ثم أنجزت الكثير من اللوحات الفنية باستخدام أنواع أخرى من المواد مثل (الباستيل وألوان الماء والزيت).

وعن نوعية اللوحات التي أنجزها، قال درويش "بداية لم يكن لديّ توجه معين سوى انني وجدت نفسي أرسم الواقعية، من المناظر الطبيعية والمجتمع والظواهر والحياة البسيطة التي يعيشها مجتمعنا سواء في المحلات الشعبية والاسواق والاعمال التي يزاولها الناس، وفي فترة التسعينيات حاولت العمل في انجاز (البوسترات) وفعلاً نجحت بذلك، وعملت لأكثر

في الغربية، فقال درويش "أنا من مواليد السليمانية في محلة شيخان القديمة، أتممت دراستي الابتدائية والثانوية في السليمانية، كانت امنيتي ان أتمم دراستي في أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد.

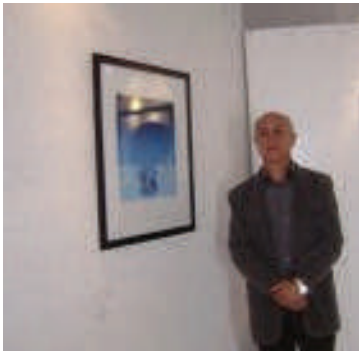
ويضيف درويش "أن تلك الظروف قد وقفت حائلاً بين الشباب الكوردي واطمأن دراساته العليا في كل المجالات، ولكن والحمد لله بدأت عندي موهبة الرسم منذ المراحل الابتدائية والمتوسطة، وقد برزت منذ تلك الفترة من عمري، وقد نلت العديد من الجوائز لمشاركاتي الفنية في النشاطات الفنية المدرسية، وأتذكر في العام 1979 كانت مشاركتي الأولى مع فناني السليمانية، واستخدمت

لقد اختار ومنذ نشأته في السليمانية ان يكون فنانا تشكيميا يشق طريقه في الحياة ليعبر عن افكاره وهواجسه الفنية، شأنه شأن جميع الفنانين الكورد الذين خربتهم الحياة وصعابها والظروف السياسية التي عاشتها البلاد واقلية كوردستان بالذات، حيث اخترق الفنانون الكورد جدار الصعاب، وأثبتوا للعالم أن الفنان الكوردي هو مبدع بالفطرة ووضع اقدامه على الطريق الصحيح وحتى وهو في بلاد الغربية جسدا وفي وطنه روحا وقلبا نابضا.

من هؤلاء الفنانين الكورد المغتربين الفنان التشكيلي (عمر درويش) الذي جسّد في معرضه الأخير معاناة الانسان

بالضبط ولكنها تجاوزت اكثر من 25 معرضاً شخصياً .

وبعد جولة بين اروقة المعرض وبين تلك اللوحات الرائعة التي جسدها درويش في اعماله استوقفتني لوحة لوجوه تسبح في الماء وتندمج في عيون الاسماك وسالته عن تلك اللوحة قال درويش: بصراحة ان هذه اللوحة بالرغم من جمالياتها وبساطتها كما تلاحظ , الا ان فيها المعاني الكبيرة لانها تجسد مأساة المهاجرين في العالم، وكيف ذلك يقول درويش: انها لوحة تعبر عن الماسي التي وقع فيها الكثير من اخواننا سواء العرب او الكورد في (بحر ايجه) نعم لان معظم المهاجرين الذين يحاولون عبور ذلك البحر كانوا يقعون ضحية (المهربين) الذين يلقون بهم في عرض البحر ومصيرهم يكون الموت المحتم، لذلك جسدت تلك اللوحة في تلك الوجوه وتلك الاسماك التي التهمت اجسادهم واخذت قلوبهم تتحدث مع بعضها البعض عن هذا المصير.



بالرغم من قساوتها. وعن تاثر الفنان درويش بالفنانين الكورد والعراقيين او العرب او الاجانب يقول: بالتأكيد فانا ومنذ بداياتي كنت ولا ازال متأثراً بالفنانين العراقيين ومنهم الفنان جواد سليم، والفنان الراحل فائق حسن رائد الفن التشكيلي، كما وتأثرت ايضاً بالفنان الدكتور علاء بشير الذي وظف مهنته الطبية فنياً، وانجز لوحات رائعة من السريالية والواقعية، وقد تعرفت على الفنان علاء بشير من خلال مشاركتي في مهرجان الربيع الذي اتاح لي الفرصة للتعرف عليه وشاهدت الكثير من اعماله في بغداد , كذلك هناك الفنانين العراقيين الكبار منهم خالد الرحال واسماعيل فتاح الترك وغيرهم من الفنانين الذين تركوا بصماتهم على الفن العراقي وتأثيره على الفن العالمي .

وعن عدد المعارض التي اقامها درويش يقول: لقد شاركت بالعديد من المعارض المحلية في بغداد وفي دول العالم واول مشاركة لي كانت في معرض الفنانين العراقيين في بغداد , كما واقمت معارضي الشخصية في اربيل وكنت مصمماً في مطبعة جامعة صلاح الدين، واقمت معارض اخرى في السليمانية ايضاً ولا اتذكر العدد

من سبع سنوات، وجسدت الكثير من المعاناة التي عاشها شعبنا الكوردي من عمليات الأنفال سيئة الصيت الى قصف حلبجة بالاسلحة الكيماوية والتهجير والقتل والاستبعاد وكل جرائم النظام البائد، كذلك شكلت لي مسألة الاخلاء (الهجرة المليونية للشعب الكوردي قسراً) من مناطقه ومدنه الأصلية والهرب الى المصير المجهول، حيث هرب الكثير منا الى الدول المجاورة ايران وتركيا والى دول العالم، شكلت لي دافعاً آخر نحو الابداع .

وعن فترة العمل الفني الاخرى يقول درويش: هناك ايضاً فترة اخرى عاشها الاقليم حين كان هناك صراع الاحزاب الذي انتهى والحمد لله بالخير اضطررت الى الهجرة الى هولندا وهناك تمكنت من اقامة اول معرض فني شخصي وعرضت فيه اعمال الواقعية والسريالية ايضاً، وبعض الاعمال القريبة من التجريد ايضاً، وفي العام 2005 توجهت الى النرويج وهناك انجزت الكثير من الاعمال الفنية، وبعد مضي فترة بدأت الغربية تأثيرها علي. أن الغربية عن الوطن صعبة جداً ومهما كنت في الخارج فان الغربية لها تأثيرها السلبي على الذات، فلجأت الى تنفيذ أعمال عن الطفولة لأن هذا العالم البرئ يذكرنا أيضاً بطفولتنا

برعاية فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني

كركوك تحتضن مهرجان المحبة والسلام للفنون التشكيلية والموسيقية

تحقيق: رزكارشواني



السيدة هير و ابراهيم أحمد تفتتح المعرض التشكيلي

كركوك بمشاركة سبعون فنانا وفنانة تشكيلية حيث جسدت لوحاتهم أفكارا ورؤى حديثة ..
تشكيليو كركوك ..
حضور متميز في الإبداع
خلال لقاءاتنا بالفنانين المشاركين في المعرض التشكيلي والفنون الموسيقية أشادوا بهذه

وضعت كي تخدم الفن وغايته النبيلة وهي بادرة جديرة بالتقدير والعرفان.. ففي اليوم الأول من المهرجان افتتحت سيدة العراق الاولى هير و ابراهيم أحمد المعرض التشكيلي المشترك لفناني كركوك بمختلف القوميات والأطياف والذي أقيم على قاعة القشلة بمدينة

للفترة من ١٢ ولغاية ٢٠١٠/١/١٤ شهدت مدينة كركوك مهرجان المحبة والسلام للفنون التشكيلية والموسيقية الذي أقامه مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان و برعاية فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني، في هذا المهرجان تشابكت أنامل المبدعين وتوحدت قلوبهم لرسم صورة المستقبل المشرق وتناغمت الألحان وصدحت الحناجر لتزدهر الحياة ويشع ضياء الحرية للتعبير عن جوهر الحراك الروحي للتأمل وبلورة الأفكار عبر رسائل ووثام ووشائج أخوة وسلام ، ان فنون المحبة والتعايش السلمي نراس البيارق البيض تخفق عاليا يضيء سناها سماء كركوك ويطرز أديمها بعطر أيام زاهية يضرع فيها شذى الشفافية ورونق العزم الدائم ، ان هذه التظاهرة الفنية الرائعة



جانب من الحضور

للفنان التشكيلي محمد حسيب رأي بهذا المعرض الجميل الذي قال : إنها أول تجربة فنية ناجحة والتي تشكل قفزة نوعية باتجاه الارتقاء بمستوى الفن التشكيلي في مدينة كركوك , مشيدا بالدور الذي لعبه الفنانين التشكيليين وجهودهم في سبيل إنجاح هذا المعرض الكبير , وشارك في المعرض الفنان غسان آل سعيد الذي تحدث إلينا قائلا: المعرض هو تظاهرة رائعة لمجموعة من فنانين كركوك , رائعة بطروحاتهم وبأساليبهم وبالمواضيع التي شملت هذا المعرض وأنه يمثل قفزة نوعية في مستوى الأداء الفني للمشاركين , إنها نقطة مضيئة في تاريخ الفن في كركوك , وأتمنى أن تتظافر الجهود دائما لكي تعطي صورة

والروحي بين القوميات وتآلفهاو تجسيد لقدرات الفنانين على مواصلة الإبداع , فقد اشارت الفنانة التشكيلية عائدة الربيعي الى ان المعرض قد تميز بجهود فنانين ومثقفين كركوك واعتبرته انتقاله الى مرحلة فن الجديد في كركوك , وتمنت لكر كوك بأن تكون سباقة في المهرجانات الثقافية , أما الفنان التشكيلي ناظم فرهود فقد عبر عن سروره البالغ بهذه التظاهرة الفنية التشكيلية المقامة في كركوك , مؤكدا ان المعرض حالة مفرحة , متمنيا أن تكون المعارض بهذا المستوى الإنساني العالي , وثنى الفنان ناظم فرهود الرعاية الكريمة لفخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني لفنانين كركوك بمختلف قومياتهم , وكان

التظاهرة الفنية التي احتضنتها كركوك , وفي هذا السياق أوضح الفنان آري بابان مسؤول مركز كركوك لمنظمة فنانين كردستان أن هذا المعرض تجسيد حي لواقع مدينة كركوك التي تتعايش فيها جميع المكونات بكردها وعربها وتركمانها وكلدو آشوريها , مشيرا الى احتضان المهرجان لفنانين المدينة بحد ذاته تظاهرة فنية واسعة حيث هنالك عروض موسيقية تشترك فيها فرق فنية وباللغات الأربعة الموجودة في كركوك , وعن مشاركته في هذا المعرض أشار الفنان التشكيلي آري بابان الى أن لوحته تعبر عن رقصة باليه والتي تمثل الحرية , فيما أوضح الفنان التشكيلي ناصر خلف ان المعرض بصورة عامة يشكل انعطافة تاريخية في الكم والنوع مع توازن رائع في حلقات العمل الإبداعي الذي جسدها أنامل فنانين كركوك وتناخيمهم وتواجههم بهذا الحجم وبهذا الاعتزاز الكبير بالأعمال التي قدموها، كانت الانطباعية والواقعية سائدة وهذا أيضا مع اللوحات المعاصرة ولكن هذا الميل هو دليل على عطش وحب الناس بأن يروا ماهو الواقع لانه لم يشاهدوا لوحات كثيرة ومعارض كثيرة , فهذا المعرض هو سجل نقلة نوعية في التعاون الأخوي

ابراهيم ترزي ونجم الدين رؤوف وأحمد نجيب وعلي عباس ريحاني (ومن العرب كل من (محمد خلف وعبد القادر الشيخ وأحمد الساري ومحمد الغريب , ومن الكلدو آشور كل من (أوديشو أخشير وإيشايا بنيامين) ومن الفنانين الكرد كل من (زاريا ستار وهه زار عبد الستار ووليد مظهر ونامو عمر وأوميد شواني وحسن غريب) .

التقينا بعدد من هؤلاء الفنانين الذين ثمنوا جهود القائمين على هذا المهرجان , حيث تمنى الفنان الكردي (حسن غريب) أن تستمر هذه المهرجانات في مدينة كركوك والتي جمعت شمل الفنانين بمختلف قومياتهم , ثمنا جهود مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان لإقامته هذه التظاهرة الرائعة التي شهدتها كركوك , موضعا انه شارك بأغنية عاطفية كردية بعنوان (زاني ده رون) أي

ان تستمر هذه المعارض بغية الارتقاء بمستوى الفن التشكيلي في مدينة كركوك ..

حناجر الفنانين صدحت للأخوة والتعايش والسلام وفي اليومين الثاني والثالث من المهرجان الذي شهدته قاعة النشاط المدرسي بمدينة كركوك وبحضور الدكتور نجم الدين كريم ممثل فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني و محمد عثمان عزيز مسؤول مركز كركوك لكتب العلاقات في الاتحاد الوطني الكردستاني وعدد من المسؤولين الحزبيين والحكوميين شارك نخبة من الفنانين في مدينة كركوك بكردهم وعربهم وتركمانيهم وكلدو آشوريهم بأغانيهم التي جسدت روح المحبة والسلام في ربوع هذه المدينة العريقة , ومن الفنانين التركمان الذين شاركوا في المهرجان هم كل من (اسماعيل

حقيقية لمستوى الفن وأخلاق الفنانين , ومن الضروري ان تتمثل أخلاق الفنانين بالمحبة والتسامح والسلام , أما الفنانة التشكيلية وهبية ياسين التي اشتركت في المعرض فقد ثمنت دور مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان لإقامته هذا المعرض الرائع والذي جسدت فيه لوحات المشاركين كل على طريقته الخاصة من خلال الألوان الجميلة التي اختاروها , كما وكانت للخزافة التشكيلية إنصاف عبد الكريم سليمان دور في المشاركة بأعمال السيراميك حيث عبرت عن سرورها بهذه التظاهرة الفنية التي تحتضنها كركوك والتي تعبر عن المحبة والسلام والتعايش الأخوي بين مكونات المدينة بعيدا عن الطائفية , أما الفنان التشكيلي علي درويش الذي شارك بلوحة زيتية أشار الى الجهود التي بذلت من أجل إنجاح هذا المعرض متمنيا



الفعاليات التركمانية



الفعاليات الكردية

وبتنظيم من مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان , ونتمنى أن تقام هكذا مهرجانات على أرض مدينة كركوك وباستمرار, مؤكدا ان عازفوا الفرقة الموسيقية الكردية قدموا إمكانياتهم المتواضعة في المهرجان , متمنيا أن تكون هذه الفرقة رسمية ومجازة من أجل دعمها وأن ترصد لها نثرية خاصة لكي تواصل حضورها في مدينة كركوك , وأن يتم بناء قاعات خاصة لمختلف الفنون والأدب والثقافة لغرض الارتقاء بمستوى الفن والثقافة في مدينة كركوك .. وفي ختام المهرجان قدمت الدبكات الفلكلورية الشعبية الكردية و العربية والتركمانية والكلدو آشورية التي جسدت عمق التآخي والتآلف الموجود بين مكونات كركوك..

الذي شارك بأغنية كلدو آشورية فقد وصف المهرجان بالتميز كونه شارك فيه الفنانين بمختلف قومياتهم , مثمنا الرعاية الكريمة لفخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني للمهرجان ودعمه اللا محدود لفناني كركوك , متمنيا أن تتواصل إبداعات الفنانين في مدينة كركوك وتآلفهم وتجسيدهم للأخوة والوئام في ربوع هذه المدينة , كما وأقترح أن تضاف الى برنامج المهرجان القادم الاوبريتات الهادفة التي تعبر عن الأخوة والتعايش في المدينة .. وكان للفنان العازف جالاک صديق والمشرّف على الفرقة الموسيقية الكردية دور كبير لإنجاح أداء الفرقة الذي تحدث عن دور الفرقة قائلاً: في البدء لابد لنا أن نشكر فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني لرعايته المهرجان

(وجع الروح) كلمات الشاعر ستار أحمد عبد الرحمن , أما الفنان (محمد خلف) الذي قدم أغنية عربية بعنوان (يا طيور الطائرة) فقد عبر عن سروره البالغ بهذه التظاهرة الفنية التي جمعت مختلف أطراف كركوك , متمنيا أن تتواصل إبداعات فناني كركوك من أجل خدمة الفن في هذه المدينة , فيما أشار الفنان التركماني (أحمد نجيب) الذي قدم مقام الحجاز و أغنية تركمانية بعنوان (أمان غريبم) الى ان المهرجان كان متميزا بالأخوة والتعايش السلمي وهو الأولى من نوعه في كركوك , مثمنا دور فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني لرعايته الكريمة لهذا المهرجان , داعيا ان يشهد المهرجان في العام القادم أكثر توسعا , أما الفنان (أوديشو أخشيرش أوديشو)



الفعاليات الكلدو آشورية



الفعاليات العربية

كركوك تحتضن معرض لمركز المرأة المهنية

إحياء التراث والفلكلور الأصيل

حوار: رزكارشواني



الضرورية التي تخص المرأة منها القضاء على الأمية والفتيات اللائي لم يتسن لهن مواصلة التعليم وهن جالسات في بيوتهن وهن بحاجة الى تعليم ووعي ، وقد قمنا برسم خطة في كيفية زج هؤلاء النسوة في مشاريع الأعمال اليدوية المنزلية وهناك تدريبات شهرية لهن في مجال الحياكة اليدوية والنسج اليدوي والخياطة وصناعة الإكسسوارات و المعجنات ، بالإضافة

- تأسس هذا المركز في العام ٢٠٠٧ عن طريق مجموعة من النسوة في محافظة كركوك بمختلف قومياتهن وهن لديهن خبرات في إدارة الأعمال والمشاريع ومحترفات في مجالات الزراعة والاقتصاد والهندسة والمالية ، وان الهدف من تأسيس المركز هو كيفية الارتقاء بمستوى المرأة في مدينة كركوك لكي يكتسبن خبرات وإمكانات لتصبحن نساء مهنيات في مجال المشاريع التي تخدم المرأة ، وان المركز متكون من سبع سيدات لا يزال يعملن مع البعض بشكل طوعي من أجل إدارة المشاريع ، ويواصل المركز نشاطاته وفق التمويل الذاتي ..

ماذا بصدد نشاطات مركز كركوك للمرأة المهنية؟

- منذ تأسيس المركز قمنا ببحث ميداني لمعرفة أحوال نساء وسيدات كركوك وكيفية البدء بالمشاريع

شهدت قاعة الشهيد القيادي سيروان طالباني بمدينة كركوك المعرض الخاص لإحياء التراث والفلكلور الكردي الأصيل لمركز كركوك للمرأة المهنية والذي أقامته الجمعية الثقافية والاجتماعية في محافظة كركوك ، وقد ضم المعرض الذي حضره جموع غفيرة من أهالي مدينة كركوك بمختلف القوميات والأطياف و مسؤولين حزبيين وحكوميين وممثلوا المنظمات المهنية والمجتمع المدني ، قطع من الألبسة والأقمشة للمرأة الكردية و العربية والتركمانية والتطريز وألبسة الأطفال وغيرها من حاجيات المرأة.. خلال تجوالنا في المعرض التقينا (نشوة حميد الجاف) مديرة مركز كركوك للمرأة المهنية ودار الحوار الآتي معها:

متى تأسس مركز كركوك المهنية والهدف من تأسيسه؟



الى إقامة ورش
عمل لتوعية
وتثقيف النسوة
حول الاقتصاد:
الميزانية
الشهرية
وميزانية
المشاريع
وإقامة المشاريع
الصغيرة
المنتجة وطلب
القروض كي
تتمكن المرأة
المنتجة في
استخدام كافة
الوسائل الممكنة

الست والحلويات المحلية المعروفة ويتم تجهيزها في الأسواق حسب الطلب، وتمت إضافة أجنحة خاصة لعرض الموسيقى والفن النسائية والبومات الفنانات ونتاجات الشاعرات والكاتبات من النسوة .. ما ذا تقولين بخصوص كيفية دعم مركزن؟

- نتمنى من الجهات الحكومية وغير الحكومية زيارة مركزنا لغرض الاطلاع على نشاطاتنا اليومية ونتائج النسوة اللائي يعملن في سبيل إحياء الفلكلور والتراث الأصيل ، وان مركزنا بأمس الحاجة الى الدعم والرعاية، وان طموحنا كبير بالنسبة لكركوك ولدعم نساء كركوك..

المواد الأولية للأعمال اليدوية .. أبرز النماذج التي احتضنتها المعرض؟

- كان المعرض مقسم الى أجنحة متنوعة منها جناح الأعمال اليدوية منها السجاد اليدوي والتطريز على الحقائق اليدوية الصغيرة والكبيرة و الموائد والشالات وربطات الشعر وقطع ملابس الأطفال ، وكذلك جناح الخياطة وإنتاج الملابس الفلكلورية الكردية والعربية والتركمانية ، وجناح لبيع الأقمشة وجناح لصناعة الجواهر والإكسسوارات منها الفضة والأحجار الكريمة ومواد كرسالية و جناح للمعجنات والحلويات حيث أنتجن قسم من النسوة الكليجة و زنود

لبناء مستقبل اقتصادي ملائم لها ولعائلاتها ، حاليا لدينا (١٥٠) امرأة منتجة مسجلة لدينا ..

وماذا بشأن هذا المعرض المتواضع؟
- هذا المعرض هو الأول من نوعه الذي يضم أعمال يدوية ومنتجات فلكلورية فنية وفي النية أن تستمر هذه المعارض في محافظات كردستان العراق والتنسيق مع المنظمات الدولية لغرض إقامته في خارج القطر تحت اسم كركوك ومن إنتاج سيدات كركوك ، وان المنتجات هي من أعمال السيدات من ذوات الدخل المحدود ومن ذوات الأرامل والأيتام وبيع تلك المنتجات تعود للعمل الخيري وشراء

28

Vol,7 - Summer & Autumn 2010

SARDAM/AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by
Sardam Printing & Publishing House

ADMINISTRATIVE BOARD MANAGER

Sherko Bekas

EDITING DIRECTOR

Nawzad Ahmad Aswad

Consulting editor

Muhyadin Zangana

ARTISTIC DIRECTOR

Jamal Darwesh

Sardam Printing & Publishing House

www.serdam.info

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 2000 دينار عراقي